نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد

لأبي العبّاس البسيلي التونسي (ت 830هـ)

ممّا اختصره من تقييده الكبير عن شيخه الإمام ابن عرفه (ت 803هـ) وزاد عليه

وبذيله

تكملة النكت

لابن غازي العثماني المكناسي (ت 919هـ)

الجزء الأوّل

تقديم وتحقيق

الأستاذ محمّد الطّبراني

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة - المملكة المغربيّة

الكتـــــاب : نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس البسيلي التونسي وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي

تقـديم وتحقـيق : الأستاذ محمد الطبراني

مـنشـــورات : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

الطبـعـــــة : الأولى 1429هـ/2008م

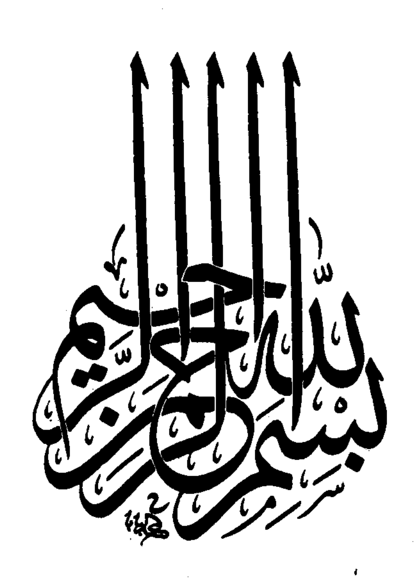
الـطـبــــع : مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء

الإيــــداع : 2008 MO 1786

ردمــــــك : 978-9954-0-5140-6



نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

مقدمة

الحمد لله الذي إليه تمامُ كل ظن، وبيده نواصي كلِّ أمر، وعليه التكلان فيما يُرتجى ويؤمل، وليس إلا عليه المعول، أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بباذخ الشأن، وابتعثه شهابا رصدا تصدى للظلمة فبدَّد مادتها، وكَسر من غلواء الجهالة فَفَتَّ في عضدها، به سلكنا السبيل إلى الله، وبه المنة في أن كنا مسلمين، والحمد لله رب العالمين.

أما بعد :

فقد تعلقت همتي مذ قيض الله لي أن أطلب العلم الشريف المنيف، بخدمةِ كتاب الله جل وعز والتوسلِ بأسبابه، والورودِ من سلسبيل عيونه وأمواهه، زلفى إلى مولاه، وتعلةَ أن أسلك فيمن أوتي بعض فهم من معناه، وما يعلم تأويله إلا الله.

وقد أكدتْ وسائلي حينها أن أظفر بمخطوط في فن من فنون القرآن وتفسيره لعَلَم من كبار أساطين الأندلس، لكون الكثرة الكاثرة من طلبتي كان قد حُقق أو على وشك أن يحقق، وكم مرة خلت أنني أصبحت على طرف الثمام من بغيتي، فيفجؤني خلاف ذلك ليرتد الطرف إلي حسيرا، فلا عليك إذن أن تعلم كم بت بهذا الغرض معنى، وأنني تصديت إليه بعد ذاك متيحا مِعنا، بيد أنني بحمد الله لم أك أخْيبَ من حنين، ولا مفوت كلتا الحسنين، فقد اقتنيت خلال التنقيب مصورات لم يقذف في رُوعي أن أعمل عليها، وإنما تشوفت لقراءتها عند الفراغ، فلما سُقِط في يدي، ولم أجد مناصا من الإسراع في التسجيل، عمدت إليها أتصفحها، فألفيت بينها كتابا قمينا بالإخراج، حقيقا بالتحقيق، فاستخرت الله تعالى في العمل عليه، والعكوف على إخراجه، فهممت ففعلت، وما توفيقي إلا بالله عليهِ توكلت.

التعريف بموضوع الكتاب

أما موضوع العمل، فتحقيق لكتاب "النكت والتنبيهات في تفسير القرآن المجيد" لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت 830هـ)، وهو علق ثمين من أنفس الآثار الإفريقية للتفسير القرآني العقلي في القرن التاسع، في جودة مبانيه وانتظام أصوله ومكنة صاحبه، رسم فيه أبوابا من علم التفسير ونكته وتنبيهاته ودقائقه، تفتح على المنتهي أبوابا من وثيق علم التأويل القرآني، وتجري به في مضمار فرسانه، وتهديه أقوم السبل إلى تجديد النظر في معاني كتاب الله جل وعز.

وقد أخذ مؤلفه العالم أبو العباس البسيلي، مادته الجلى من مجالس التفسير لأستاذه شيخ الإسلام بإفريقية أبي عبد الله محمد ابن عرفة الورغمي التونسي (ت 803هـ)، وزاد عليه ثم اختصره حسبما ذكر في ديباجته، ثم انقطع اختصاره عند سورة الصف، فانبرى لإكماله بعده أبو عبد الله محمد ابن غازي العثماني المكناسي ثم الفاسي (ت 919هـ).

دوافع الاختيار

درأني إلى تحقيق الكتاب أمور تالية :

1 - تشوفي القديم العهد، للإسهام في حركة بعث التراث الإسلامي من رفوف الخزائن، وإخراجه إلى النور إخراجا علميا، عوض أن يتكفل بذلك بعض من يمسخ الأصول، ويحيل الحقائق، ويعبث بتراث الأمة كيفما اتفق.

2 - أهمية الكتاب، من حيث إنه يعطي صورة عن واقع التفسير بإفريقية في النصف الأخير من القرن الثامن وأوائل القرن التاسع، وينفي ما علق بالأذهان من أن هذه الفترة لم تكن إلا فترة جمع غاب فيها الإبداع.

3 - قيمته العلمية التي حدت بشيخ الإسلام ابن حجرٍ إلى أن يقول في معرض التعريف بابن عرفة : «وعلق عنه بعض أصحابنا في التفسير كلاما ...كثير الفوائد، كان يلتقطه وقت قراءتهم عليه، وكلامه يدل على توسع في الفنون، وإتقان وتحقيق»، ولعله عين ما دفع أحمد بابا التنبكتي (ت 1360هـ) إلى وصفه بأنه «تقييد جليل في التفسير، فيه فوائد وزوائد ونكت...»، ولعل هذا كله مئنة الاهتمام به، فقد كان للسلطان المنصور السعدي اعتناء بتفسير الإمام البسيلي حسبما نص عليه الفشتالي في مناهل الصفا، فليس

بدعا من الأمر، أن نجد له فوق ذلك، أثرا في مصادر كثيرة ثَرَّة كمواهب الجليل لأبي عبد الله الحطاب (ت 945هـ) وكفاية المحتاج للتنبكتي (1036هـ) وأزهار الرياض لشهاب الدين المقري التلمساني (ت 1041هـ) والحلل السندسية للوزير السراج الأندلسي (ت 1149هـ) والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم (ت 1378هـ) والفكر السامي لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت 1376هـ) وفهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني (ت 1388هـ). ولا غرابة أن يهتبلَ العلماء به، فمن بعض ما احتجن بين دفتيه، مما تميز به الكتاب في مجال علم التفسير : الجمعُ بين ما يوهم التعارض في القرآن، وتوجيهُ الآيات المتشابهات في اللفظ، والكشفُ عن أسرار النظم القرآني وأسئلة القرآن، ومناقشةُ الفرق الكلامية المحادة الحائدة عن نهج السبيل، والعنايةُ بالمنطق وتطبيقاته على الآي، وتوظيفُ معطيات العلوم الطبيعية لخدمة التفسير، وتركيزُه على نقد تفاسيرَ طائرة الصيت، كأحكام ابن العربي ومحرر ابن عطية وكشاف الزمخشري ومفاتيح الفخر الرازي وبحر أبي حيان، ثم إنه ـ وحسبك به ـ أنموذج عن تفسير شيخ الإسلام ابن عرفة، وهو ممن لا تخفى إمامته ولا تدفع ريادته.

4 ـ أنه واحد من المؤلفات الإفريقية في التفسير في القرن التاسع، التي سلمت من عوامل الحدثان، وهو أمر تنفِسُهُ عليه كتب للتفسير كثيرة لا نعرفها لوما رُسمتْ أسماؤها في كتب البرامج والفهارس والمعاجم.

5 ـ كون هذا الكتاب نموذجا جديداً في حينه في طرائق التصنيف، وذلك أنه لم يجعل وكده تفسير القرآن كله، بقدر ما اهتبل بنكت التفسير ودقائقه وتوجيه مشكلاته، ومعنى هذا أنه لم يخض إلا في المواضع التي يستشكلها علماء التفسير؛ ومن ثم كان تفسيرا حي المباحث، مستقل الأنظار، متين المباني غزير الفوائد.

6 ـ علو قيمته من حيث منهجه في التصريح بالموارد، فحفظ لنا بذلك نقولا كثيرة عن مصادر منها ما هو مفقود أو مخطوط.

7 ـ أنه يمثل رافدا علميا تواشجت فيه صلات العلم بين أقطار المغرب العربي، فالتقت فيه على قدَر جهود ثلاثة علماء أفذاذ هم على الولاء : أبو عبد الله محمد بن عرفة التونسي وأبو العباس البسيلي التونسي وأبو عبد الله بن غازي المكناسي المغربي؛ ولعل ذلك ما رغبني أن أكون بإخراج هذا الكتاب من هؤلاء الشُّداة النشأ الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل.

التعريف بالمؤلِّف

وليسعنا في الحديث عن معالم سيرة البسيلي وثقافته أن نختصر القول اختصارا وأن نعتصره اعتصارا فنقول : المؤلف أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي (ت 380هـ)، شيخ عالم مفسر منطقي مشارك، وُصف بأنه كان كثير الصمت قليل الخوض فيما لا يعني، عليه آداب العلم من وقار وسكينة، وكان يقرئ بسقيفة داره كثيرا، وتقصده الطلبة تسأله عن المسائل المشكلة، وكان يحدثهم عن شيخه الإمام ابن عرفة رحمه الله تعالى.

ونضيف أنه - عدا ابنِ عرفة - قد أخذ عن المقرئ أبي عبد الله ابن مسافر العامري (ت 786هـ) والنحوي أبي العباس أحمد ابن القصار الأزدي (ت 790هـ) ومحدث تونس أبي عبد الله محمد البطرني التونسي (ت 793هـ)، والمؤرخ ابن خلدون الحضرمي (ت 808هـ)، وإمام جامع الزيتونة أبي مهدي عيسى الغبريني (ت 815هـ) وغيرهم، وتتلمذ له كثيرون منهم الفقيه الرصاع شارح الحدود، والقاضي أبو العباس ابن كحيل التجاني التونسي، وغيرُهم.

وله من التآليف كتاب حاذى به مختصر ابن عرفة الفقهي ثم اختصره، وتفسيرا كبيرا، وآخرَ صغيرا هو انتخاب من الأول مع زوائد، وهو كتابنا هذا، مع شرح للمدونة، وآخرَ على قصيدة الرامزة في العروض لضياء الدين الخزرجي، وثالثا على الجمل في المنطق لأفضل الدين الخونجي (ت 646هـ).

يرتكز تفسير البسيلي على مجالس ابن عرفة التفسيرية التي شهدها في الفترة ما بين 783هـ و803هـ، وعليه يظهر أن جمع المادة قد استغرق من البسيلي عشرين سنة إلى وفاة ابن عرفة، منضافة إلى خمس سنوات بعدها، إذ يرجع آخر تاريخ مذكور في التفسير إلى سنة 808هـ، وإذا ما أخذنا في الاعتبار أنه قد استعان بمدونات سابقة على حضوره مجالس ابن عرفة عرفنا أن نكت البسيلي صورة حية عن مجالس ابن عرفة في التفسير خلال ما يزيد على ثلاثة عقود.

وعلاوة على ما سبق، فإن المدونات التي تتغيا تقييد مجالس الدرس لا تتخذ صبغة التأليف المنهجي المدرسي، ولذلك يتضح أن تقييد البسيلي بالشكل الذي بين أيدينا قد خضع لعمليات متعددة بدءا من تخريج ما هو مدون سلفا دون ما دونه صاحبنا، ثم انتقاء النكت وترتيبها، مرورا بالإضافات التي ليست من فوائد ابن عرفة ولا ذكرها بحال.

إننا أمام عمل في التفسير في فترة تاريخية حرجة، ومنعرج حضاري كبير، عمل يجمع بين أمور مميزة : فرادته من حيث زهد العلماء وقصر باع أغلبهم في التفسير، ثم مَيْزُهُ على المستوى الأفقي، حيث إن مادته غنية تمثل لونا آخر من ألوان المنهج العقلي اللغوي في التفسير، يعالج مشكله ونكته ويبرز انفتاح البسيلي على فنون كثيرة من علوم القرآن والحديث والفقه والأصليين والنحو واللغة والأدب والتصوف والمنطق والرياضيات والتاريخ مما يصب في خدمة المعنى، مع ظهور للمنطق المدرسي بشكل لافت.

وفوق ذلك كله، فالكتاب أثر إفريقي مغاربي في التفسير، طبعته ملامح مدرسة علمية كبرى هاجسها التفقه، تتسلسل بابن زيتون وابن عبد السلام وابن عرفة.

التعريف بمراحل العمل وماهيته

من فصل الخطاب، الإقرار أنه من العسير تلخيص الأعمال التي تتصل بالتراث، وتقوم على التحقيق العلمي لنصوصه، ومن ثم فلست هنا بصدد التلخيص بما يعنيه المصطلح، بقدر ما أنا واصف لمراحله وأهم مضامينه...، وعليه فقد جعلت مقدمة التحقيق فصولا ثلاثة، أهمَّ أولَها أن يقدم إلماعة حول الحركة العلمية في عصر السلطنة الحفصية، من خلال مبحثين : أولهما عوامل النهضة العلمية في عهد الحفصيين. والثاني : نشاط الدراسات القرآنية في العصر الحفصي، تتبعنا فيه النتاج الإفريقي في علوم القرآن، مما هو منسوب أو مخطوط أو مطبوع.

أما الفصل الثاني فخصصته لحياة أبي العباس البسيلي وآثاره، من حيث مصادر ترجمته والأوهام الكثيرة التي عَلقتْ بها وما ادّارأ فيه المترجمون، ثم بما أثير حول نسبه وأصالة تونسيته وما إلى ذلك، مما درج المترجمون على إيراده من قبيل ذكر الإسم والنسب، والمولد والوفاة، والشيوخ والتلاميذ والمؤلفات؛ إلا أن الذي وسم هذه الترجمة أنها لم تعول على الترجمة المكرورة القصيرة التي نقلها المترجمون أولهم في إثر آخرهم آخذين بإخذ واحد، وإنما استقينا أكثر مادتها من خلال تلقف الإشارات والإلماعات والفوائد الموضوعية التي تناثرت بشكل متباعد خلال كتب المؤلف، مستعينين في ذلك الترميم، بالاستنتاج والمقارنة وجمع القرائن والمعطيات، مما أغنى هذه الترجمة، بالتعريف بكثير من أعلام أسرة البسيلي وبالتوسع في تراجم شيوخه

وتلاميذه، والاهتمام بعلاقته بهم، ومبلغ تأثيره فيهم أو تأثرهم به؛ وساقنا كل ذلك إلى الوقوف على مؤلفاته وتقديمها. وأتبع الترجمة ذكر علاقة المؤلف بالحفصيين، وذكر صفاته الخلقية والخلقية، وما أثنى به العلماء عليه، فجاءت هذه الترجمة ضرورية لفقر المعلومات عن صاحبنا.

ثم ثنيت العنان في الفصل الثالث إلى أن أفردته للإفاضة في الحديث عن الكتاب ودراسته، من حيث عنوانه وتوثيقه وتحقيق نسبته إلى البسيلي و ما احتف بتأليفه من حكاية ذكرها المؤرخون، مع تقدير تاريخ التأليف، ثم أفضت في تِبيان ملامح المنهج العقلي في التفسير عند المؤلف متخلصا إلى سرد مصادره في "النكت والتنبيهات" مع المقارنة بين هذا وتقييد آخر عن ابن عرفة، هو تفسير أبي القاسم الشريف السلاوي، وجر ذلك الإلماع إلى جملة قضايا وثيقة الوشيجة بتجلية الكتاب للقارئ كمبحث عناية العلماء بتفسير البسيلي والنقل عنه، والوقوف عند بعض مآخذ على المؤلف لم تمنعنا إمامته من زبرها مقرونة بالبينات عليها، ولم يعزب عنا ما اشتكاه ابن غازي عند تكملته من رداءة نسخته من التقييد الكبير، فأفردنا لعمله في الاختصار قرصا من العرس، ثم عرجنا على ما طبع من التقييد الكبير، فقومنا ميله وسناده حين بدا لنا أنه اتخذ ظهريا قواعد التحقيق، وتجانف عن الصواب وسبيل التدقيق. وقادنا ذلك كله إلى أن يقدُمَ النصَّ المحقق ذَرْوٌ من الكلام هو منه بسبيل مقيم، عدّا للنسخ ووصفا لها، فلاريب أن سلكت في خطة التحقيق جَدَدَ المحققين الجلة، أمنا للعثار، ولم أحد عن نهجهم إلا بمقدارِ يفرضه حال النص، فكان أن قدمت بين يدي الغرض التنقيبَ في فهارس المخطوطات وذخائر الكتب، فلم أعثر مع مزيد البحث الجاد والعَنَتِ اللاّحق، إلا على ثلاث نسخ، تبين أنه لا يُعرف غيرُها لحينِه، بعد سؤال العارفين بالمخطوطات والمهتمين بها؛ وأما ما بقي من النسخ، فهي نسخ من التقييد الكبير، عدنا إليها للمقابلة باطراد، وللاحتكام إليها - أحيانا - فيما أشكل علينا، إلا أنه قد عنانا الحصول عليها، فلم نفِد منها إلا بعد لأي. وقد قابلت بين النسخ لأول الأمر، واصطلحت كالمعهودِ على رموز واختصارات غير يسيرة صدَّرت النص المحقق بها، وجعلت ما زادت به نسخة الأصل على غيرها بين مُعكَّفين، وما ربت به النسختان الأخريان عليه بين زاويتين متقابلتين، وما خلت منه النسخ من سقط لازم أو تتمة مُثْلى بين قوسين، ونبهت على أنه زيادة لدنية اقتضاها النص و استقام بها، ولم أفعل هذا إلا لماما. وأثبت أرقام مخطوط الأصل في صلب النص بين معكفين، وأرقام الباقيتين بالحاشية بحسب الورود. ورسمت الحروف القرآنية موضع التنبيهات بالرسم التوقيفي على ما اقتضت قراءة نافع

من رواية ورش، إلا مواطن لم تسعفني مميزات الطبع، فأثبتها على حالها ريثما أصوبها يدويا، وأخرى تركتها بياضا سودته باليد بعد الطبع؛ فمن الأول القاف والفاء عند المغاربة، ومن الثاني الألفات المحذوفات والياءات الموقوصات، وعلامة الصلة والإقلاب وما سوى ذلك. وجعلت ناصية كل آية منبَّه عليها رقمَها، تيسيرا على القارئ ومنعا للتشغيب عليه بالعَوْد المطّرِد إلى الحواشي عند كل آية. وضبطت الآيات والأحاديث والشواهد والأغربة ضبطا تاما وصوبت الأوهامَ والهنات الواردةَ بالنص، وأشرت إلى مصادر التصحيح وخرجت آيات الاستشهاد بالحاشية، لأني رأيت فعل ذلك في النص مع كثرة الآي مذهبا لطلاوته، كما خرجت القراءات متواترَها وشاذَّها ونصصتُ على القرَأَة بها، ومثلَها الأحاديثُ النبوية الشريفة، ناقلا عن علماء الحديث أحكامهم عليها بالتصحيح أو التضعيف، وصدّرْت التخريج بها. معرفا في أطواء الكتاب بمصطلحات الفقه والأصول والمنطق، وبعض أسماء الأماكن والكتب مخطوطها ومطبوعها. ثم عرضت ما أشكل من نص الكتاب على أصله «التقييد الكبير»، حين لا تكون النكتة من الزوائد.

وقد خرّجت شواهد الشعر والرجز بالعوْد إلى دواوين أصحابها، وإلى كتب الأدب والنحو واللغة والتفسير، كما شرحت الأمثال والأقوال ووثقت الحكايات وضريبَ ذلك كلِّه، وترجمت للأعلام كل بحسب طبقته. ثم انتقلت بعد ذلك إلى عرض محمولات النص على كتب التفسير والنحو واللغة والحديث والأصلين، باعتبار موضوع كل نكتة، ولم أخْلِ مع ذلك نفسي من عهدة عرضي لمادة الكتاب برمتها على التفاسير المعتبرة المشهورة، محترزا أن أصيد الحوت في غير بحره، إلا حين يَنْضُبُ معينُ المظان، فلم أبغ بدلا عن توثيق مسائل الأصول مثلا من كتب الأصول، ومسائل المنطق من كتب المنطق، وقضايا الكلام من كتب الكلام... وهكذا دواليك إلا فيما ندر؛ تعِرَّةَ أن أكون حاطب ليل.

ولم تكن نقول البسيلي خالصةً للاستظهار ليس إلا، بل أوردها على أحوال شتى، فتارة تكون نصا في الموضوع، وتارة لتكون مادة للتعقب، وقد ألزمت نفسي فرددت غالب النقول الكثيرة بالنص على أصولها، ليستبين وجه الحق في نقلها، فتكشَّف لي أحيانا ما في النقل من العَسْف أو الاختصار المخل، على ما في ربط النقول بمصادرها المخطوطة من نَصَبٍ ووصَب يخبره العارفون، سيما حين يكون توثيق النقول من كتاب مخطوط أو نادر لا يخضع لترتيب، ويعرى عن فهرسة، وبقدر

ما كان ذلك نقمة علي، فقد كان حُبرة سابغة على الكتاب، صححت مبانيَه، ووضحتْ معانيَه.

هذا وقد انتحيت في التعليق تفصيل المجمل أو توضيح المبهم أو التنبيه على الوهم أو إرشاد القرأة إلى مزيد البحث في المصادر، ولربما أرخيت العبارة في التعليق زيادة بيان أو حرصا على فائدة أو محاذاة لكلام المؤلف بما يشاكله ويماثله، فكان أن «رفعت أحيانا العنق إلى النص، وملت عن الأعم إلى الأخص، وأدمجت باع العبارة في فتر الإشارة، وفي مواضع أجحف فيها الحذف، وتقلص ثوب المعنى فلم يضف، مددت بقدر الحاجة من أنفاسها، وأضفيت إلى حد الكفاية من لباسها».

وتوجت العمل بأن ختمته بفهارس تفصيلية، بلغت أحد عشر ككواكب يوسف، وهي على الولاء : فهرس الآي والآثار والأشعار والأعلام والأماكن والأمثال والكتب المذكورة في المتن والجماعات والفرق، والمصطلحات المنطقية وجريدة المصادر والمراجع ،وفهرس مواد التقديم والتحقيق، ثم دليل الفهارس.

من نتائج البحث

1 ـ أنني أقدم اليوم، أول كتاب للبسيلي يحقق كاملا فيما أحسب، وما إخال أن الكتاب كان سيتأخر به العهدُ ليرْتد بصيراً لولا عَمَهُ الأفارقة عن تراثهم، وغضُّهم على جاري عادتهم مما لم يكن من القرون الأولى، وذاك ـ كما ترى ـ «قضاءٌ في القضاء مذومُ».

2 ـ أنني قدمت أوفى ترجمة للبسيلي بحمد الله، ولو كانت هاته مبسوطة في الكتب قريبةَ الجني، لما التفت إلى تسويد الأوراق بأمر هو على مرمى حجر من كل باحث، ولكن البسيلي من هؤلاء النكرات المجاهيل الذين حاق بهم من التاريخ إغماض غير يسير، فلم يحظوا في كتبه إلا بنتف يسيرة كالضّريع، فاستدعى مني شح الترجمة وخمول الرجل أن أسلك قيافة الإشارات والتلميحات التي تحتف به وبأسرته، مما تضمنته تلافيفُ كتبه، ومَطَاوي تراجِمِ المتَلبسين به، مستخدما قرائنَ الأحوال، والجمْعَ بين المُشاكِلِ والمؤالف، مما مكنني أن أرمِّم هذه الترجمة بذكر لفيف من شيوخه وأعلام أسرته، ووضع اليد على بعض من مؤلفاته التي نعرِّف بها لأول مرة فيما أحسب.

3- أنني عدوتُ على كرهٍ تصحيح المتن، إلى مناقشة المؤلف وتعقب بعض أوهامه، فاتخذ ذلك صورا متباينة، كالتنبيه على ما نقله غيرَ مصرِّحٍ بمأخذِه، ومن ثم رَدِّهِ إلى أصله، أو تبيينِ ما وَهِمَ في نسبته، أو تصحيحِ ما يعتري كلامَه من الخطأ، كلُّ ذلك مع الاعتذار له لغلبة إحسانه، وشفوف إتقانه، إذْ من ألف فقد استهدف.

4- أن البحث قادنا إلى إثبات حقيقة أن تفسير ابن عرفة لم يعكس الانزلاق التاريخي وبداية الخرف الحضاري في إفريقية، بل بقي لدنا متفتحا على بوابات الاجتهاد المشرعة.

5- أنني كنت مجدودا بأن قادني البحث إلى اكتشاف مخطوطات نادرة كانت إلى الأمس القريب ضائعة سائعة، من أهمها قطعة صالحة من رواية بلديِّنا أبي القاسم الشَّريف السلاوي، لتفسير شيخِهِ الإمام ابن عرفة، وهي روايةٌ طالما تشوف إلى معرفتها أعلام في العلم، وجزم بفقدانها كُبراء منهم. ومن ذلك أيضا كتاب المحاذي لمختصر ابن عرفة في الفقه، وهو شرح موسع لصاحبنا، ما ذكره أحد ممن ترجم له البتة، ولا وقفنا على أحد نقل عنه أو دل على وجوده.

وغانٍ عن البيان، أن أقول إنني قد انتحيتُ عند بدء التحقيق تَرْكَ التعليقِ ما وَسِعني، مُقِلا منه كيما لا يطغى على النص، بيد أن مادة الكتاب المكتنزة، وعمقَ نكته ودقائقه، وإبحارَه في فنون شتى، درأني إلى الشرح والتوضيح، فجاءت تعليقاتي غير زائغة عن هذا المضمار إلا فيما ندر.

وختاما فإن هذه المقدمة لا تغني بحال عن قراءة الكتاب والوقوف على مبلغ الجهد فيه، فقد علم الله ما كلفني من سفر وسهر، على حينِ ما عاد البحث العلمي يغري أحدا، ولا يدر مالا لبدا، فنحن فيه نحتسب الله جل وعز أكثر مما نرجِّي من وراءه بغية أوطلبة، ولو لم نفد منه إلا الاشتغال بالعلم عن الخلق، والالتقاء بنفر من السادة العلماء الأماثل، لكان ذلك من أكبر النجح، وأعظم الربح.

هذا والمأمول من برِّ الواقف عليه، أن يذكر أن إعداد هذا السفر، قد تم في أحوال شتى لا تُظاهر على العمل، ولا تزيد في المُنَّة، مما حقه أن يطوى ولا يروى، وهي كلُّها شهد الله دواع تجعلني في أكمل العذر، وتبسط لي أحسن التّعلات؛ على أنني لم أتخذ ذلك ذريعة إلى التَّرك، بل جهدت جهد المقل، وجهد المقل غير قليل، ﴿ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لاطاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

اختصارات الدراسة

- **و**: وجه.
- **ظ**: ظهر.
- **أ**: وجه.
- **ب**: ظهر.
- **ع**: ابن عرفة.
- رموز المخطوطات :

ن خ ع ك: نسخة الخزانة العامة بالرباط، حرف ك (كتاني).

ن خ ع ق: نسخة الخزانة العامة، حرف ق (أوقاف).

ن خ ع ح: نسخة الخزانة العامة، حرف ح (الحجوي).

ن خ ح د: نسخة الخزانة العامة، حرف د.

ن خ م: نسخة الخزانة الملكية، بالقصر الملكي بالرباط.

ن م ع ف: نسخة مؤسسة علال الفاسي.

الكبير (ص) : نسخة الجزائر من «االتقييد الكبير».

- **الكبير**: اختصار للتقييد الكبير.
- **ت**: توفي.
- **هـ**: هجرية.
- **اهـ**: انتهى.
- **ن**: انظر.

الفصل الأول

○○○○○

الحركة العلمية
في عصر السلطنة الحفصية

وفيه مبحثان :

1 ـ عوامل النهضة العلمية في عهد الحفصيين.

2 ـ نشاط الدرسات القرآنية في العهد الحفصي.



المبحث الأول:
عوامل النهضة العلمية في عهد الحفصيين

أ ـ رعاية خلفاء بني حفص للحركة العلمية:

يبتدئ العصر الحفصي بإمارة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي ـ صاحب الإمام المهدي ـ على البلاد التونسية، عام 603هـ[1]، وينتهي بعد ذلك سنة 981هـ، وقد تقلبت السلطنة في هذا المجال الزمني بين دَعَةٍ وأمن، واختلالٍ وفسادِ حال؛ وليس وكْدُنا تقرير ما أطنب المؤرخون فيه؛ وإنما القصد أن نبرز بعض ما أحاط به ملوك بني حفص العلم من عناية ورعاية.

شهد هذا العصر احتفالا بالعلم وأهله، واستطاع النشاط العلمي أن يغدوَ مِيْسما لازباً لتونس، تُذكر فيُذكر، ويُعرف فلا يُنكر، حتى إن الرحالةَ العبْدري، وهو النَّقادة الذي «ما رأيناه مَدح بلدةً ولا سكانهَا إلا مدينة تونس» ـ حسبما أفاد ابن عبد السلام الناصري في الرحلة الحجازية ـ[2] يعطف على هذه البلدة سنة 688هـ، فيُلْفي فيها أخْدَانه سَدَنَةَ العلم وأضرابَه في الطلب، ويُسَرِّح طرْفه وفكره فيما تلذّه الأنفس وتقرّ الأعين من الأنظار العقلية والأبحاث العلمية الجارية بين علماء الحضرة، فلا تمنعه محاققتُه الفذّةُ من أن يقول عن تونس: إنه «لا تَنْشُدُ بها ضالةً من العلم إلا وجدتهَا ولا تلتمسُ فيها بغيةً معْوزة إلا استفدتَها؛ أهلُها ما بين عالم كالعَلَم رافع بين أهله للعِلم، ومعطِّل حدَّ الظُّبى بالقلم»[3].

بل إن العبدري يُثبت أنه قد أقفر ما بين المغرب وتونس من العلم، ولمٍ يجد له رسما إلا عندما دخلها، وذلك حَادِيهِ للقول: «ولولا أني دخلتُها لحكمت بأنّ العلم في أفق

---

(1) «الصلات الثقافية بين المغرب وتونس الحفصية» للمنوني؛ مجلة المناهل المغربية، ص: 48؛ «تاريخ إفريقية في العهد الحفصي» (48/1).

(2) نقلا عن مقدمة محمد الفاسي للرحلة المغربية (م).

(3) «الرحلة المغربية» (39).

الغرب قد مُحِيَ رسمه، وضاع حظُّه وقَسْمُه، ولكنْ قضى الله بأنّ الأرض لا تخلو من قائم له بحجة يرى سبيل الحق ويوضّح المحجة، وما مِن فنّ من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائما، وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر، يجلُو الفخارُ بهم عن محيّاً سافر، وينير علمهم، وقد ألقت ذُكاء يمينها في يد كافر»[4]. وهُو لا يجيء في حكمه شيئا إدّاً ، إذا عُلم أن عِدَّةَ رجالِ العلمِ والأدب التونسيين المذكورين طَيَّ رحلتِه يُربي على غيرهم ممن لقيه في حجازيته كلِّها، فيذكر منهم ستة عشر عَلَماً ما منهم إلا شهيرُ الذكر، خطير القدر[5]. ولو لم تكن تونس على ما ذكر العبدري، لما أطال بها ابن رشيد السبتي الورود والصدور، حيث ضمّن "ملء العيبة" أسماء الكثير من علمائها[6].

ويعرِّج أبو البقاء البلوي على تونس في رحلته، فيُقيم بها من (يوم السبت فاتح شعبان عام 736هـ[7]، إلى يوم السبت 17 ربيع الثاني عام737هـ)[8]، فَلا يقَصِّر وصفُه عن وصف قرينَيْه، ويراها جنةً حُفّتْ من طرقها بالمكاره، وعقيلةً عقَلت قلب الطائع والكاره، فهي الدمية الغراء، والقبة اللّعْساء، والخريدة العيناء، تزهى بها المحافل، ويحتقبها الطالع والآفل[9]...؛ وينشد في مدحها :

لَـتُـونُـسُ تُـونِـسُ مَـن جـاءهـا
وتُـودِعُـهُ لـوعـةً حـيث سَـارْ
فـيـغْـدُو ولـوْ حَـلَّ أرضَ الـعـراق
يـحِـنُّ إلـيـهـا حـنـيـن الـحُـوَارْ
ويـأمُـلُ عَـوْدا ويشـتـاقُـه
اشـتـيـاقَ الـفـرزدق عَـوْدَ الـنّـوار[10]

ولعل السبب في ابتهاجه بحلول تونس هو ما سيذكرُه بعدُ، وهو أنه ظلّ يلقى أكابر الأولياء، والعلماء الأتقياء، وسيذكر منهم لفيفا مهما[11].

(4) «الرحلة المغربية» (42).
(5) سياتي ذكرهم حين الحديث عن أعلام العلماء التونسيين في العهد الحفصي.
(6) أنظر ذكرهم عند د. محمد الحبيب بلخوجة في «من صلات الإخاء والصفاء والعلم والرواية بين رجالات تونس والمغرب»، مجلة المناهل المغربية، عدد 6، السنة 3، 1976 : ص 36.
(7) «تاج المفرق»(166/1).
(8) «تاج المفرق» (193/1).
(9) «تاج المفرق» (166/1).
(10) «تاج المفرق» (167/1).
(11) انظر تفصيل ذلك خلال الرحلة، وتسميتهم على حدة عند الحسن السايح في المقدمة (61/1).

وهذه النهضة العلمية التي يشيد بها هؤلاء العلماء الرُّحْلة، هي في بعض منها، من ثمار الحظوة التي حازها حملة العلم عند بني حفص، هؤلاء الذين «حرصوا على تشجيع العلماء وتنشيطهم والمساعدة لهم، فأقاموا بذلك على أيديهم دولة باهرة، وحضارة زاهرة»[12]. وقد درأت هذه العناية ابن حريز، لينشئ ديوانا في مدح الحفصيين، سماه "مهبّ نواسم المدائح ومصب غمائم المنائح في مدح الخلافة الحفصية"[13]، وصفات الرجل التي خلعها عليه البلوي تمنع مظنة التزلف والانتجاع، فقد كان الرجل كريما يُقصد ولا يقصد، فمدْحُه يصادف محلا :

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا
ما لم يجدوا عنده آثار إحسان

وقد أدرك الفقهاء سطوة لدى الحفصيين، بَلَغَ من قدرها في العهد الحفصي الأول أن كان للفقهاء دورٌ حتى في خلْعٍ أو تعْيين الخليفة، «فقد كان لرجال الدولة الحفصية الحظّ الأوفر من نصرة الحق وإعانة القضاة على إجرائه، فوسَّعوا للقاضي في السلطة والنفوذ، وأعانوه على المباشَرة، ومكّنوه حتى من أنفسهم وبنِيهم»[14]؛ مِن ذلك ما حُكي عن أبي محمد المرجاني (ت 699هـ)[15]، وذلك أنه لما مرض أبو حفص عمر، عُهد بالملك لولده عبد الله، فتحدّث الموحدون والفقهاء والقاضي مع المرجاني المذكور، تحدثوا معه في أن الولد صغير، واتفق رأيهم على أبي عبد الله المعروف بأبي عصيدة[16]، ابن الواثق بالله بن المستنصر[17].

ولم يكن يمتنع عن الفقهاء والقضاة في إجراء الأحكام الأمراءُ فمَنْ دونَهم، فمن ذلك أن أبا عبد الله المعروف بأبي ضربة، لما فَرَّ والدُه وبويع هو إنما أُخْرج من السجن بعد أن كان مثقَّفاً على يد قاضي الوقت أبي إسحق بن عبد الرفيع (ت 733هـ)، بسبب جناية[18].

---

(12) «من صلات الإخاء...» (37).

(13) «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» (185/1).

(14) مقدمة محمد بن قاسم بن عياد لـ«معين الحكام» (85/1).

(15) ترجمته في «كتاب العمر» (151/1 - 152) ومصادره.

(16) له ذكر عند البسيلي في «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611 : 527). وانظر في سبب تسميته بأبي عصيدة «من أيام...» (150 - 151).

(17) «من أيام...» (150 - 151)؛ «الفارسية» (152).

(18) «من أيام...» (154).

وأكبرُ أولاد أبي بكر الأمير الحفصي، حدثَتْه نفسه بأن يطلب الملك لنفسه، فحال بينه وبين ذلك القاضي أبو علي عمر بن عبد الرفيع (ت 766هـ)[19].

وفيما يتلو عروجٌ على مساهمات أعلام السلطنة الحفصية في الأنشطة العلمية وإقامتهم لصروح العلم، وبعثهم للمنتديات البحثية الرصينة[20].

- **أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي** (603 - 618)[21] :

كان عالما فاضلا خَيِّراً فطنا؛ فمِن إدراكه ما حكاه كاتبه ابنُ نَخِيل عنه، قال : دخل عليه الفقيه أبو محمد عبد السلام البُرْجِيني من تلامذة الإمام المازري، وكان تحت جَفْوَةٍ منه، فقال الشيخ : كيف حالك يا فقيه أبا محمد عبد السلام ؟ فقال : في عبادة. فقال له الشيخ : نُعَوِّضُ صبرَكَ إن شاء الله بالشكر. قال ابن نخيل : فسألت الشيخَ عن المراد : فقال : أراد قولَ رسول الله ﷺ[22]: «انتِظَارُ الفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ»[23].

- **أبو زكرياء يحيى الأول، بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص** (خلافته :625هـ - 647 هـ)[24] :

وهو الباني للمدرسة الشَّمَّاعية[25]، وزوجته عَطْف، هي مُنشئة المدرسة التوفيقية،سنة 639هـ وهي المسمّاة اليوم، بمدرسة جامع الهواء، وقد أحدثتْ معها جامع التوفيق، ونظَّمت بها دروسا، وجعلتْ لإقامةِ ذلك أوقافاً واسعة[26].

---

(19) «من أيام...» (161).

(20) سيسجل شاعر تونسي، مات أواخر المائة العاشرة؛ وهو أبو الفتح محمد بن عبد السلام التونسي، ما عرفته تونس في عهد الحفصيين من نهضة علمية في قصيدة طويلة أثبتها صاحب «عنوان الأريب» (351/1 - 352)، منها قوله :

لقد حل منها آل حفص ملوكها ... مراتب تسمو فوق هامة كيوان

إلى أن قال :

وكانت لطلاب المعارف قبلة ... لما في حماها من أئمة عرفان

وكان لأهل العلم فيها وجاهة ... وجاه وعز ومجد ليس بالفاني

(21) «الفارسية» (105 - 107).

(22) الحديث ضعيف.

(23) القصة في «الفارسية» (105)؛ «الحلل السندسية» (1/ق 4 : 1021 - 1022)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (113/1 - 114).

(24) شجرة نسب الحفصيين (مطوي بذيل «الفارسية» بعد ص 292). انظر ترجمته في «عنوان الأريب» (254/1 - 260).

(25) «من أيام الملوك الحفصيين» لأبي عبد الله محمد بن أحمد الشمّاع (144)، تحقيق إبراهيم جدلة، ضمن «الكراسات التونسية»، مجلة العلوم الإنسانية بتونس، فصل الثلاثة أشهر الأولى والثانية، 1992 صص : 139 - 168.

(26) «من أيام...» (146).

وقد كان مجلس أبي زكريا قبلة للعلماء والأدباء، بل لقد كان هو نفسُه معدودا في العلماء والأدباء والشعراء والنبلاء؛ يجالسُهم ويشاركهم، وله شعر[27]؛ فمِنه ما كان سببُه أن الأمير استدعى جماعة من خواصِّه وشعرائه لنزهة في رِياضه المسمّى بأبي فِهْر، فنظموا في وصفه قصائدَ رفعوها إلى الأمير، فأجابهم بأبيات تتضمن تفضيل شعر أبي عمرو ابن عربية[28] على شعر جميع من حضرها وفيهم ابن الأبار وغيره، وأبيات أبي زكرياء : [طويل]

ألا إنّ مضمارَ القريض لَمُمْتدُّ
بهِ شُعَرَاءُ السَّبْقِ أربعةٌ لُدُّ
فأما المجلِّي فهْو شاعرُ جَمّة
أتى أولا والناس كلُّهمُ بعدُ[29]
وأما المصلي فهو حبْر قضاعة[30]
بآدابه تزهو الإمارة والمجد

في أبيات أخر[31].

وقد أَخَذَ عن الشيخ الفقيه المقرئ أبي عبد الله محمد بن عبد الجبار الرُّعَيْني السّوسي (ت 662هـ)، ختم عليه المستصفى للغزالي وغيره[32]. وتتلمذ أيضا لأبي الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البَيَّاسِي(ت 653هـ)[33]، حيث جَمَعَ له أحاديث "المستصفى" واستخرجها من الأمهات ونَبَّهَ على الصحيح منها والسقيم[34]؛ وبرسمه ألّف كتاب "الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام"[35].

(27) «الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية» (112 - 113).

(28) انظر «رحلة التجاني» (375)؛ «الفارسية» (113 ؛ 122)؛«تراجم المؤلفين التونسيين» (3/373 - 375)؛ «عنوان الأريب» (1/268 - 271).

(29) «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/374).

(30) يقصد ابن الأبار.

(31) انظر تمامها في «رحلة التجاني» (376).

(32) «من أيام...» (146)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/89). وترجمة الرعيني في «رحلة التجاني »(52-53)؛ «الفارسية» (126)؛ «الحلل السندسية» (1/2/316 - 317)؛ «شجرة النور الزكية» (1/190).

(33) انظر في ترجمته ما كتبه عنه، د. محمد بنشريفة في مواضع متفرقة من كتابه «ابن حريق البلنسي».

(34) «تراجم المؤلفين التونسيين» (1/173).

(35) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (7/238 - 239)؛ «الفارسية» (119).

وقد كان يستدعي إليه العلماء، كما فعل مع أبي العباس الْمَلْتَاني (ت 644هـ)[36]؛ وهذا الأمير هو الذي هرع إليه ابن الأبار - الذي سَيَلِي له العلامةَ فيما بعد - سفيراً لابن مرْدَنِيش، يستفْتِحُ به ويستصْرِخُه، لرتق ما انخرق من حُلَّة الوجود الإسلامي بالأندلس، إذْ أنشد بين يديه سينيته المبكية التي ولع بها المتأدبون - والتي لا تضارعها إلا نونية الرندي - :

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خيلَ اللهِ أَنْدَلُسا
إنَّ السبيلَ إلى مَنْجَاتِهَا دَرَسَا[37]

ويجمُل ذِكْرُ أنه قد استُصرخ بقصيد آخر لم ينسبْه المقري - مرعىً ولا كالسعدان! - طالِعَته :

نادتْكَ أندلسٌ فلب نداءَها
واجْعَلْ طواغيتَ الصَّليبِ فِدَاءَها[38]

وناهيك برجلٍ يهْتَبِلُ بالأصول العلمية، فيفتشُ عنها ويتطلّبُها تطلب الصادي للماء القراح، حتى لقد سمع بنسخة من "فصيح" ثعلب بخط اللغوي أبي إسحق إبراهيم بن الأجدابي بيعت بطرابلس، فَبَرَدَ بريدا إليها في البحث عنه، فبُحث عنه ووجِّه به إليه[39]؛ وسمع كرّةً أخرى بوجود نسخة من "أمثلة الغريب" لأبي الحسن الهنائي المعروف بكُرَاعِ النمل بخط الأجدابي المذكور، فوجه إليها بطرابلس[40]. وقد خلَّف من الكتب ستة وثلاثين ألف مجلّد[41].

وهو من الحفصيين الذين شجعوا العلماء على التصنيف في مختلف مجالات العلم حتى الطب، فهذا أحمد بن محمد، ابن الحشَّا، الطبيب التونسي (من رجال ق 7هـ)

---

(36) «تراجم المؤلفين التونسيين» (373/4).

(37) «نفح الطيب» (475/4 وما بعدها)؛ «الرحلة المغربية» (257)؛ «عنوان الدراية» (312)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (18/1)؛ «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 258 - 259. وحدد البسيلي تاريخ إلقاء القصيدة بيوم الثلاثاء من سلخ شهر رجب من سنة ست وثلاثين وستمائة.

(38) «نفح الطيب» 4(479/؛ وما بعدها).

(39) «رحلة التجاني» (263).

(40) «رحلة التجاني» (264). ولم يردْ علينا من كتاب «الأمثلة» سوى ورقتين ضمنتا ضمن نسخة من كتاب «المنتخب» المطبوع، انظر مقدمة محقق «المنتخب» (1/20 - 21).

(41) «الحلل» (1/ ق 4 : 1026).

ألّف بطلب من أبي زكريا معجما في الطب سماه "مفيد العلوم ومبيد الهموم"[42]. ويرفِّع ابن سعيد في "المغرب" بتونس في عهده فيقول : «ومدينة تونس بإفريقية قد انتقلت إليها السعادة التي كانت في مراكش بسلطان إفريقية الآن أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد... وعُرَفَاءِ صنَّاعه من الأندلس... ووجوهُ صنائع دولته لا تجدُهم إلا من الأندلس»[43].

ويبدو أن وَلَدَهُ كان لاحقا لشأوه، فقد حاز مِدَحَ ابن عربية، وله ألف «الروضة الريَّا في امتداح الأمير أبي يحيى»[44].

- **أبو عبد الله المستنصر** (خلافته : 647هـ - 675هـ)[45] :

عالم متمكن[46] عظيمُ الشأن في ملوك بني حفص، لِما اجتمع بحضرته من أعلام الناس الوافدين على أبيه، وخصوصا الأندلس، من شاعر مُفْلِقٍ، وكاتب بليغ، وعالم نِحْرير، وملك أرْوَع، وشجاع أهْيَس، متفيّئين ظلَّ ملكه، مُتَنَاغين في اللياذ به لِطُمُوسِ معالم الخلافة شرقا وغربا على عهده، وخُفُوتِ صوت الملك إلا في إيوانه[47]. ومن تقديره للعلماء وزكانته في انتقائهم لِمَا أهمَّه أنه عهد إلى أبي موسى عمران ابن مَعْمَر[48] المتضلع في المذهب بمنصب قاضي تونس، وقرَّب أبا العباس اللُّلِيَاني[49] - وهو ممن عكف على دراسة المدونة -، ووجَّه ممن حاضرة تونس إلى أبي محمد عبد الحميد ابن أبي الدُّنْيا الطرابلسي[50]، الذي شَيَّدَ بعدُ - باسمه - مدرسةً بطرابلس

---

(42) وهو مطبوع بترجمة كولان ورينو . ن «تراجم المؤلفين التونسيين» (143/2).

(43) «عنوان الأريب» (246/1)؛ (244/1).

(44) «الفارسية» (122)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (374/3)، وصحفت فيه «الريا» إلى «الثريا».

(45) «من أيام...» (145).

(46) «الفارسية» (133).

(47) «عنوان الأريب» (247/1).

(48) انظر نتفا من أخباره في «رحلة التجاني» (254 - 257؛ 274؛ 280).

(49) ترجمته في «رحلة التجاني» (371 - 375)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (309/2 - 311)؛ «عنوان الأريب» (266/1 - 268). وكانت نكبته على يد المستنصر نفسه سنة 759هـ بإيعاز من أبي العباس الغساني، وذلك في حكاية ذكرها مترجموه. انظر «تراجم المؤلفين التونسيين» (224/4 - 225).

(50) ترجمته في «عنوان الدراية» (109 - 110؛ رت : 21)؛ «عنوان الأريب» (261—262)؛ «كتاب العمر» (710/2 - 713)؛ «الأعلام» (285/3).

سماها المدرسة المستنصرية[51]، ثم ولي له قضاء الجماعة والأنكحة والخطابة بالجامع الأعظم[52].

وقد عُرف عنه تقريبُه للعلماء والأدباء، يجالس طلبة العلم ويشاركهم أحسن مشاركة من غير مُمَارَاة، ولا إظهارِ إِيَّالة على أحدٍ منهم[53]؛ فمِمَّن حظي عنده ونفقت سوقُه لديه: أبو المطرف ابن عميرة المخزومي (ت 658هـ)[54]؛ وأبو العباس أحمد بن إبراهيم الغساني (ت 668هـ)، الذي جَلَّ عنده حتى بلغ الغاية لأنه كان من ظرفاء الأدباء[55]. وابن الأبار القضاعي الذي استدعاه المستنصر[56] فكان أول إنشاده لما مَثُلَ بين يديه:

بُشْرَايَ بَاشَرْتُ الهدَى وَالنُّورَا ... فِي قَصْدِيَ المسْتَنْصِرَ المنصُورَا
وإذا أميرُ المومنين لقيته ... لم ألق إلا نضْرة وسرورا[57]

واستدعى إليه أبا بكر ابن سيّد الناس[58] لمَّا اشتهر حاله، ونقل الناقلون ذكاءه وفهمَه[59]؛ ولم يكن ينمي إلى خبره جواز عالم لبلدِه إلا استدعاه، كما فعل مع أبي علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي[60] وأبي العباس الجدلي الشريف

(51) برنشفيك (304/2)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (309/2)؛ «رحلة التجاني» (252)، وفيها: «المنتصرية»، وهو وهم أصح منه ما أثبته حسن حسني عبد الوهاب، في هوامش الفروق رواية مرجوحة. وتم بناء هذه المدرسة ما بين 755 و758هـ.

(52) «رحلة التجاني» (273).

(53) «الفارسية» (113).

(54) «الفارسية» (122–123)؛ «نفح الطيب» (1/314 - 315)؛ «وفيات الونشريسي» (100)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (434/3). وانظر عنه دراسة الدكتور محمد بنشريفة في «أبو المطرف أحمد بن عَميرة المخزومي: حياته وآثاره»، نشر المركز الجامعي العلمي، الرباط، 1966.

(55) «تراجم المؤلفين التونسيين» (462/3).

(56) «الفارسية» (123).

(57) «عنوان الدراية» (311). وقد عاد فصب عليه جامّ غضبه، ولقي حتفه بين يديه؛ وسكت الغبريني - تقية - عن ذكر أنه لقي حتفه على يدي المستنصر؛ لأنه كان في حكم الحفصيين. أما ابن القنفذ فقد ذكر أنه قتل بالسياط ثم بالرماح! (الفارسية: 123). وانظر تفصيلا في ماجريات قتله عند محفوظ في «تراجم المؤلفين التونسيين» (1/25 - 27).

(58) انظر في ترجمته «كفاية المحتاج» (25/2)؛ «كتاب العمر» (1/304 - 309)، والمصادر بالحاشية.

(59) «عنوان الدراية» (294).

(60) «رحلة التجاني» (275)؛ «عنوان الأريب» (263/1).

الأصبهاني الرُّحْلة[61]. واختص بأبي القاسم ابن البراء التنوخي اختصاصا كليا[62]. وأما ابن عصفور فكان أحد خواص مجلس المستنصر، وقبل انتقال الإمارة إليه كان يقرأ عليه[63]، لكنه قَلَبَ له ظهر المجن عقيب ذلك وعفّى على سوالف المنن بكبائر المحن. أما حازم القرطاجني، فقد أشاد بتشجيع المستنصر للعلم وحملته، وأدار مقصورته على مدحه[64]، حتى أثار ذلك المكودي ليعارضه ولكن بمدح سيدنا محمد[65] ﷺ؛ قال حازم :

وقد رفعتَ عِماداً للعُلا فَغَدَا ... يعلُو قياما ويعلُو قدرُه قِيَمَا
أقمتَ وزنَ شمسِ العدل فاعتدلت ... فلم يدَعْ نورُها ظُلْما ولا ظُلُما
فتونسُ تؤنِس الأبصار رؤيتُها ... وتمنح الأُمم الآلاء والأَمَما
كأنما الصبح فيها ثغر مبتسم ... وحوة الليل فيها حوَّةٌ وَلَمَى
فأقبلتْ نحوها للناس أفئدةٌ ... تَرْتَادُ غَيْثاً من الإحْسَانِ مُنْسَجِمَا
فكلُّهم حضروا في ظلِّ حضرتكم ... فأصبحت لهمُ الدنيا بها حُلُما[66]

وقد مدحه مِدَحا باقيات صالحات؛ فمما ارتجله منها، وهذا طالعها : [الكامل]

بَلَغْتَ فِي الأعداءِ كُلَّ مُرَاد ... وَغَدَا لَكَ التأْيِيدُ ذَا إِسْعَاد[67]

ولم يكن المستنصر بحاثَّةً فحسب، بل كان نقَّادة يهتم بتقويم التآليف، فقد دفع بكتاب "وشي الحلل في شرح الجمل" لمَّا رفعه إليه أبو جعفر اللَّبْلِي[68]، إلى أبي الحسن

---

(61) «عنوان الدراية» (183).

(62) «كتاب العمر» (310/1)؛ «عنوان الأريب» (265/1).

(63) «عنوان الدراية» (318).

(64) صرح بذلك في قوله :

مستنصر بالله منصور به ... مؤيد بعونه على العدا

وقد عطف القرطاجني على قعدد ممدوحه فساقه منظوما، فانظر «رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة» (387/1 - 400).

(65) ولذلك نعى على ابن دريد أن أدار مقصورته على مدح ابني ميكال، والقرطاجني على مدح المستنصر فقال :

فَاقَت عَلاَءَ كُلِّ ذِي مَقْصُورَةٍ ... وَإِنْ همُ نَالُوا الأيَادِي واللُّها
فَحَازِمٌ قَد عُدَّ غيرَ حَازِمٍ ... وابنُ دُرَيْدٍ لم يُفِدْه مَا دَرَى

(66) «قصائد ومقطعات» لأبي الحسن حازم القرطاجني (224).

(67) «قصائد ومقطعات» (114).

(68) ترجمته في «رحلة العبدري» (43 - 44)؛ «عنوان الدراية» (345 - 346).

القرطاجني، وأمره أن يتعقب ما فيه من خلل وَجَدَه، فسعى اللبلي لتعرُّفِ مواضع التعقب فَبَشَرَها بمعرفة حازم[69].

ومن المفيد أنه قد حفظت لنا كتب الأدب نماذج مما كان يجوس خلال مجالس المستنصر من أبحاث ومساجلات؛ ذكر صاحب "التذييل والتكميل" أن من غريب الحكايات ما حدثه به بعض أدباء تونس، والعهدة عليه : «أن الفقيه المحدث أبا القاسم ابن البَرَاء، كان يحرِّض شيخنا الأديب الحافظ أبا الحسن حازم بن محمد ابن حازم، على أن يشتغل بالفقه ويكُفَّ عن الأدب، فحضر حازم وجماعة عند المستنصر ملك إفريقية، وذكروا قراءة ابن كثير ﴿وَكَائِن﴾، واستغربوها، وقالوا : لم يجئ منها في كلام العرب إلا قول الشاعر :

وَكَائِنْ بِالأَبَاطِحِ مِنْ صَدِيقٍ

فقال لهم حازم : قد ورد منها ما لا يُحصى، فطلبوا ذلك منه، فأنشدهم من هذه اللغة ألف بيت !»[70]، فدفع له المستنصر ألف دينار من الذهب، فجاء بها إلى ابن البراء فقال له : هذ مسألةٌ من الأدب أخذْتُ منها ألف دينار، فأرِني أنتَ مسألة من الفقه حصل بها المختبر ألف دينار. ـ زاد الإفراني ـ : والذي أقوله، أن هذه المسألة كانت مُبَيَّتة، طُولع فيها دواوين أياما كثيرة؛ على أن حازما كان من الحفظ في غاية لا يُشارك فيها[71].

وقد كانت المساجلات الدائرة بحضرة المستنصر تتطور فتثمر تأليفا ينصر أو يرُدُّ بعض ما اعتوره العلماء بالنقاش، ففي تفسير أبي القاسم السلاوي ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾[72] ـ : «ع : ويُحكى عن شيخ يقال له ابن عبد القادر، كان قرأ عليه الشيخ ابن الدَّراس[73] الطبيب، أنه اجتمع مع الفقهاء عند السلطان المستنصر، فبحثوا ثَمَّ في التشاؤم بعدد التسع وأنه مستَقْبَحٌ مرجوح، فبحث هو على أنه مستحسن؛ وألف فيه كتابا»[74].

(69) انظر القصة بتمامها في «نفح الطيب» (4/479؛ وما بعدها)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (4/205 - 206).

(70) في هذه القصة بعض مبالغة كما لا يخفى.

(71) «المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل» للإفراني (329 - 330)؛ وبنحو من هذا السياق وردت الحكاية عند البسيلي في «النكت» ن خ ع ق 271 : (28 ظ)؛ على اختلاف في تسمية الفقيه والأديب.

(72) المومنون : 17.

(73) كذا في النسخة؛ وهو تحريف. والمقصود أبو يعقوب بن أندارس، الواقع ذكره في «الفارسية» (163)؛ ومزيد ترجمته في «ملء العيبة» لابن رشيد السبتي؛ و«تراجم المؤلفين التونسيين» (1/70 - 71).

(74) «تفسير أبي القاسم الشريف السلاوي» : المجلد 3 / ورقة 1و.

- **أبو زكريا يحيى الملقب بالواثق بالله** (خلافته : 675 - 678هـ) :

وهو على قِصَرِ أَمَد خلافته، جدد بناء ما اختل من جامع الزيتونة وسائر المساجد[75]، وقد كانت مجالا للمطارحات العلمية والتدريس.

- **الأمير أبو زكرياء يحيى بن السلطان أبي إسحق إبراهيم الحفصي** :

وهو الذي أسس مدرسة المعْرِض؛ ويبقى أن تعرف أن وَلَعَ الرجل بالعلم دعاه إلى أن يحدث كُوَّةً في منزله ليسمع منها ما يقرأ بالمدرسة التي بناها بإزاء داره وزودها بالكتب النفيسة من كل فنون العلم[76]. وكان يحضر مجلس الوعظ يومي الإثنين والجمعة، فيطلق العنبر والعود ما دام المجلس[77].

- **زكريا ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ اللحياني محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي، أبو يحيى الحفصي** (خلافته : 711 - 717هـ)[78] :

العالم المحدث، الكاتب الشاعر، أمه أم ولد اسمها محرم أصلها رومية. قرأ على جماعة بتونس، ورحل إلى المشرق، ولقي جماعة، سماه ابن عمه السلطان الواثق بالله الملقب بأبي عصيدة، شيخاً للموحِّدين، عندما تولى المملكة سنة 694هـ[79].

من مؤلفاته : ديوان شعر، جمعه مدة إقامته بمصر. و«روضات الجنات» وهي خطب جمعية طبعت طبعة حجرية بالهند[80].

- **أبو العباس أحمد الحفصي** (خلافته : 772 - 796هـ)[81] :

وهذا أول خليفة أرجِّح أن البسيلي عاصره، فضلا عن أبي فارس كما سياتي.

وقد طرَّزَ أبو العباس حاضرةَ تونس ببدور علمية بادِيَةِ الوَضاءة، كالإمام ابن عرفة، وابن خلدون المؤرخ، الذي أكرم الأمير وفادَتَه، وآوى من عنايته إلى ظل ظليل، وهو الذي كلَّفه - لما لمْ يَخْلُ له وقت لمذاكرة العلماء - بالإكباب على تأليف تاريخه «العبر»،

(75) «من أيام...» (141).

(76) «الحلل السندسية» (1/4/1040)؛ «تاريخ الدولتين» (40 - 41)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/456).

(77) «تاريخ الدولتين» (41).

(78) «تراجم المؤلفين التونسيين» (2/161 - 163).

(79) «تراجم المؤلفين» (2/161).

(80) «تراجم المؤلفين التونسيين» (2/163).

(81) «الفارسية» (177).

لتشوفه إلى المعارف والأخبار، واقتناء الفضائل، فلما أتمه ابن خلدون رفع منه نسخة إلى الخزنة الأميرية، وشفع ذلك بقصيدة يقول فيها[82] :

هَـذَا أبُـو الـعبَّـاس خيرُ خليفةٍ شَهِدَتْ لهُ الشِّيَمُ التي لا تُجْهَل

إلى أن يقول :

وَإليكَ من سِيَر الزمانِ وأهلِه «عِبَرا»[83] يَدِينُ بفضْلِهَا مَنْ يعدِلِ

صحُفا تُتَرْجِمُ عن أَحَاديث الأُلىَ غَبَرُوا فتُجْمِلُ عنهمُ وتفصِّل

ثم قال :

أَهْدَيْتُ منه إلى عُلاَكَ جَواهِراً مكنونةً وكواكباً لا تَأْفُلُ

وجعلتُهُ لِصِوَانِ مُلْكِكَ مَفْخَراً يَبْأى النَّدِيُّ به ويزهو المحفل

ويحس ابن خلدون، أنه قد ينازعه في مديحه مَن يسِمه ـ كابن عرفة ـ[84] بالمبالغة وتزويق الخلان وإطراء المنتجع، فيؤكد على صفة الصدق فيما قاله، ويستظهر عليه بأن الأمير عالم كريم النحيتة، نافذ النظر :

وَلأنتَ أرْسَخُ في المعارف رُتْبَةً مِنْ أن يُمَوَّهَ عنده متطفِّل

والله ما أسرفْتُ فيما قلتُه شيئا ولا الإسرافُ مما يجمُل

ويلاحظ أن خلافةَ أبي العباس هذا أنفقها في تمهيد البلاد وقمع المخالفين، وتجهيز الحركات لاستتباب الأمن[85]، ولو وافق رخاء وأمنا لكانت له في إنعاش العلوم الشرعية والأدبية اليد الطولى؛ ويؤيد هذا الظنَّ قولُ ابن الشماع إنه «وجد نظام الملك بإفريقية قد اختل، والعربُ قد ملكوا من الجبال الجل»[86]، وفي أيامه نزل النصارى بالمهدية فأجلاهم[87].

---

(82) «التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا» لابن خلدون.

(83) يقصد «كتاب العبر».

(84) تحدث الخلدوني عن فساد ما بينه وبين ابن عرفة وقال : «كانت في قلبه نكتة من الغيرة من لدن اجتماعنا في المَرْبى بمجالس الشيوخ، فكثيرا ما كان يظهر شفوفي عليه، وإن كان أسن مني، فاسودت تلك النكتة في قلبه، ولم تفارقه» (التعريف : 249).

(85) انظر «الفارسية» (177 ـ 189)؛ «التعريف» (247 ـ 248).

(86) «من أيام...» (163 ـ 164).

(87) «الفارسية» (188)؛ «من أيام...» (164).

- عبد العزيز الحفصي (796 - 837هـ)[88] :

لم يكد يفرغ من تمهيد البلاد حتى هرع إلى قضاء حق العلم، ويرسم ابن القنفذ صورة عن مجلسه العلمي فيقول : «وفي سنة 782 حضرت مجلسه - نصره الله - في العلم، بقصبتهم السعيدة في الحضرة العلية في التفسير والحديث والفقه، والقائمُ حينئذ بِرَسْمِ العلم في مجلس الأمير قاضي الجماعة بالحضرة العلية الشيخ الحافظ أبو مهدي عيسى بن أبي العباس أحمد الغبريني؛ وهو شيخٌ نَالَ من المعارف ما اشتهى، وحازَ من العلوم الغايةَ والمنتهى، وهو في درسه حَسَنُ العبارة، لَيِّنُ القول قريبُ الإشارة، شاهدت المفيد درسه، وحضر جماعة من الطلبة مجلسه، وكان الشيخ الفقيه المدرس الخطيب المفيد أبو زكرياء يحيى بن منصور الأصبحي يحضر هذا الدرس، ولا يختص الخليفة فيه بطِنْفِسَةٍ ولا بغيرِها، بل جلوسُهُ على البساط الذي يجلس عليه الطلبة؛ وكان الخليفةُ يقرأ على القاضي المذكور دولته في "الرسالة" بعد افتراقِ المجلس؛ ورأيتُ في أيام حضوري بمرْفَعِ الكتب بالقُبَّة شَرْحِي لرسالة ابن أبي زيد في أربعة أسفار، رَفَعَهُ للخليفة من نَسْخِهِ»[89].

ويُظاهر ما سُقْناه عن ابن قنفذ ما ذكره ابن الشماع عنه : «ومن فضائله ملازمتُه لقراءة العلم بمجلسه سَفَراً وحَضَرا وتواضعُه وجلوسُه على الحصير حين قراءتِه للحديث النبوي ، وشاهدتُ ذلك منه رحمه الله أيام حضوري مع الوالد؛ وكانت تصدُرُ عنه حين القراءة نكتٌ تدل على جودة فهمِهِ وقوةِ ذهنِه، وكان هو الذي يستدعي الوالد في كثير الأوقات للقراءة، ولاسيما حين يَرد عليه من يَرِدُ من فحول العلم من الأندلس والمغرب، وكان مولعا بتمييز الرجال، وكان يعترف للوالد بأنه أحرز قصب السبق»[90]. ووالد ابن الشماع المذكور هو القاضي أبو العباس أحمد الشماع الهنتاتي (ت 833هـ)، وقد ألف كتاب «مطالع التمام ونصائح الأنام ومنجاة الخواص والعوام» بناء على مسألة أحيلت للنظر بين يدي أبي فارس في مجلسه[91]، وهي مسألة العقوبة بالمال. وخاطبه في الكتاب بقصيدة طويلة تخلص فيها بعد المدح إلى القول :

(88) «وفيات الونشريسي» (141).
(89) «الفارسية» (197).
(90) «الأدلة البينة النورانية» لابن الشماع (144 - 145).
(91) «مطالع التمام» (77).

فَوَفِّ بما عقَدتَ ولا تماطِل — فما تدري متى يأتي السَّفِيرُ
ولا تتْبعْ هوى من لا يُبالي — بما يريد فالمولى غَيُورُ
فقد وَضَحَ السبيلُ لِمن يراه — وبان الحق واتَّجَه المسيرُ
«أقيموا الدينَ» قال اللهُ حقا — وعمّا به شرعت فلا تجور
فلا يخدعْكُم عنها خيال — ووسواس يلمُّ به الغرور

ثم ختم قصيدته الموجهة لأبي فارس بوعظ مباشر :

بذلتُ نصيحتي شَغَفاً وحُبّا — وألجأ للإله وأستجير[92]
به من شَرٍّ مَن يُرْدي ويُعْدي — فما لله ضدٌّ أو نظير
فلا تحتجَّ لأكل المال ظلما — فظلمُ الناس شر مستطير
ولا يغررْك غرَّارُ قوم — عبوس من ورائك قمطرير[93]
ولا ترجع بما عاملت ربا — به إن التجارة لا تبور
وقم بالشكر إن الله يرضى — بشكر عباده وهو الشكور[94]

وليس علينا شيء مما ارتكبه الشماع في نظمه المهلهل هذا من ضرائر الشعر وتكلف الإجادة، فهو شعرُ فقيه؛ ولكننا أردنا من سَوْقِهِ بيانَ أن أبا فارس لم يكن ضيِّقَ العطن ليتبرم بهذا النصح الصريح الذي خاطبه به الهنتاتي، ولم يكن هذا ليسوقَهُ إلى ممدوحه لولا دَالَّتُه عليه، وعِلمُه بقدر ما يُكِنُّ للعلماء من التجلة والإكبار.

وقد بالغ في إكرام العلماء والأدباء، ومن مفاخره إقامتُه لخزانة الكتب التي جعلها بجوف جامع الزيتونة، وقد أوقف عليها أحباسا عظمى من الزياتين وغيرها بدرجة تفوق كفايتها[95].

– **محمد بن أحمد الحفصي الأمير، ابن السلطان أبي العباس، أخو السلطان أبي فارس صاحب تونس، ويعرف بالحسين**[96] :

كان من جلة فقهاء تونس وعلمائها، علامة محققا، أخذ عن ابن عرفة وعيسى الغبريني وغيرهما؛ ورافق البسيلي في الطلب، وهو الذي طالبه بنسخة من تفسيره في

---

(92) في الأصل : إلى الله، وصوبناها «للإله» ليستقيم الوزن.
(93) يعرِّض بالعلامة البرزلي.
(94) «مطالع التمام» (260 - 261).
(95) العنابي في «فهرست الرصاع» (33)؛ هامش رقم 2.
(96) «تراجم المؤلفين التونسيين» (164/2).

القصة المعروفة[97]. ولي إفتاء العسكر لأبي فارس، وخرج على ابن أخيه أبي عمرو عثمان إثر تولي هذا الأخير السلطنة، فلم يلبث إلا يسيرا حتى قبض عليه، وأودع السجن حتى توفي في ربيع الثاني سنة 839هـ[98].

وهو من الحفصيين الذين اندرجوا في سلك المؤلفين، بأجوبته عن مسائل الإمام أبي الحسن علي بن محمد ابن سمعت الأندلسي[99] الغرناطي المنوعة، حين وجهها إلى إفريقية، ذكرها القاضي الوزير أبو يحيى بن عاصم، ونقل عنه أبو القاسم ابن ناجي في «شرح المدونة»، ونقل عنه في «المعيار»[100].

* * * * * *

ب ـ هجرة العلماء الأندلسيين إلى الحاضرة التونسية :

لما ساءت الأحوال في الأندلس، بعد سقوط طليطلة، توجس العلماء خيفة من المقام بها، فأجابوا نداء شاعرهم :

يا أهلَ أَنْدَلُس شُدُّوا رِحَالَكُمُ ... فما المُقَامُ بها إلاَّ من الغَلَطِ
السِّلْكُ يُنثَرُ مِن أطْرافه وأَرَى ... سلكَ الجزيرَةِ مَنْثُوراً مِنَ الوَسَطِ
مَنْ جَاوَرَ الشَّرَّ لا يأمَنْ بَوَائِقَهُ ... كيف الحياةُ مَعَ الحيَّاتِ في سَفَطِ؟!

فعملوا في الهجرة إلى ما جاورهم من بلدان، وكان مقصدهم من ذلك تلمسان والمغرب الأقصى ثم إلى تونس. وبدخول رحَّالَةِ الأندلس أصبحت هاته الأقاليم وارثةَ العلوم الأندلسية[101].

وقد لقي هؤلاء الواردون مناخا علميا طيبا، ولَقِحَتْ منهم ثقافة الأفارقة، وحظوا عند الملوك والأمراء، وتبوؤوا مقاما عليا، خاصة بتونس حيث سهل أبو زكرياء الحفصي هجرتهم، وجَلَبَ العديد منهم صَنَائِعَ لغلبة الموحدين ومزاحمتهم[102]؛

(97) «كفاية المحتاج» (158/2؛ ر ت : 541)، وسترد فيما بعد بالتفصيل.
(98) «تراجم المؤلفين التونسيين» (164/2).
(99) الإمام الفقيه شيخ الراعي الأندلسي. من «كفاية المحتاج» (364/1؛ ر ت : 365).
(100) نقل الونشريسي عنه في المواضع التالية : (489/9)؛ (495/9)؛ (631/9). وانظر «كتاب العمر» (775/2 - 776).
(101) «أليس الصبح بقريب» (79 - 80).
(102) «العبر» (627/6).

وغَدَتْ هذه الحاضرة الإفريقية قبلتَهم، يستأنسون فيها لمواصلة نشاطهم العلمي، ويجدون أيْداً على نقل الثقافة الأندلسية إلى قطَّانها؛ وقد تفطَّن حازم لهذا الأمر فضمَّنَهُ قوله :

قد نَدَّ فيها الأَسَى عَنْ أَهْلِ أَنْدَلُسٍ والأُنْسُ فيها عليهم وفْدُه قَدِمَا
وأُبْدِلُوا جَنَّةً من جنة حُرِمُوا منها وقد بُوِّؤا من ظِلِّها حُرُما[103]

بل إن بعض الباحثين ذهب إلى حدٍّ أن هؤلاء الوافدين الأندلسيين زاحموا علماء وأدباء البلد من أهل تونس، ممن ساءهم أن يروا المهاجرين الأندلسيين يحتلون أرفع المناصب في الدولة الحفصية ويزاحمونهم عليها بما يملكون من ثقافات ومواهب، أي أن هناك نزعة بلدية ضيقة لا تنظر بارتياح إلى تسنم الوافدين الغرباء من الأندلسيين أعلى المناصب وأن في هؤلاء غرورا واعتدادا بأنفسهم وثقافتهم وكونهم أهلها وأحق بها من غيرهم[104].

وأيّا ما يكون، فعناية بني حفص بالعلماء؛ حملت الكثير من علماء الأندلس على انتجاع ربوعهم والانقطاع لخدمتهم، إجابة للرغبة العلمية الصادقة ووفاء بالواجب المفروض، فبثّوا العلم ونشروا الأدب، وقدّموا التآليف الجليلة لخزائن ملوك آل حفص، ونثروا على الأسماع محامدهم، وأشادوا بمفاخرهم[105].

وقد كان لهؤلاء الطارئين لواء مرفوع في نشر العلم، ووصل سلاسل إسناده بين الضفة الإفريقية والأندلس؛حتى إن ابن خلدون يدين في شطر من ثقافته لهؤلاء، حيث كان يعكف على لقاء المشيخة من أهل المغرب والأندلس الوافدين في غرض السفارة، ويُقِرُّ أنه حصل من الإفادة منهم على البُغية[106].

وحاصلُه أنهم طائفةٌ من جلة العلماء وأفذاذ الأدباء والشعراء من مهاجرة الأندلس إلى تونس اتخذوا القطر الإفريقي وطنا امتزجوا بسكانه، وانتظموا في سلك ذوي الرتب العليا به، اختاروه لهم وطنا ثانيا آواهم في حياتهم، واحتضن رفاتهم بعد مماتهم، فأصبحوا كآحاد أبنائه الأصليين[107].

---

(103) «قصائد ومقطعات» لحازم القرطاجني (224).

(104) «تراجم المؤلفين التونسيين» (23/1)؛ عند الترجمة لابن الأبار.

(105) العنابي، عن مقدمة «فهرست الرصاع» (ص).

(106) «التعريف» (61).

(107) «عنوان الأريب» (380).

وقد تتبعتُ ذِكْرَ هؤلاء الأندلسيين في كتب التراجم والرحلات، فتحصل لي منهم عدد غير يسير؛ فمنهم :

– محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز، ابن نخيل الأندلسي (ت 618هـ)، نزيل تونس، الأديب المؤرخ[108].

– محمد بن يحيى، ابن هشام الخضراوي نسبة إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس، يعرف بابن البرذعي (ت 646هـ)، نزيل تونس، النحوي اللغوي[109].

– يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي البلنسي الأندلسي جمال الدين أبو الحجاج نزيل تونس (ت 653هـ)[110].

– عبد الرحيم بن أبي جعفر أحمد بن علي بن طلحة الأنصاري المعروف بابن عُليم السبتي، أمين الدين، أبو القاسم (ت 655هـ)، نزيل تونس، والمتوفى بها، المحدث الرحال[111].

– أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عَميرة المخزومي، أبو المطرف البلنسي (ت 658هـ) : نزيل تونس، الفقيه العالم الأديب[112].

– محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس اليعمري الإشبيلي، أبو بكر، المقرئ المحدث الفقيه اللغوي، نزيل تونس، والمتوفى بها سنة 659هـ[113].

– محمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي العاص الأنصاري الأوسي البسطي الأندلسي، أبو الجيش، نزيل تونس، (ت 662هـ)[114].

– علي بن مؤمن، ابن عصفور الحضرمي الإشبيلي، أبو الحسن (ت 669هـ)، نزيل تونس، النحوي اللغوي[115].

---

(108) «تراجم المؤلفين التونسيين» (5/28 - 33).

(109) «الفارسية» (119)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (5/105 - 106).

(110) «تراجم المؤلفين التونسيين» (1/171 - 173).

(111) «لقط الفرائد» (169)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/417 - 418).

(112) «الحلل» (1/ق 3 : 658 - 659)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/433 - 436). وانظر مصادر ترجمته فيما سبق.

(113) «الفارسية» (123)؛ «الحلل» (1/ق 3 : 694 - 695)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/112 - 115).

(114) «تراجم المؤلفين التونسيين» (1/74).

(115) «رحلة العبدري» (38؛ 245)؛ «الحلل السندسية» (1/ق 2 : 518) ؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/391 - 396).

– محمد بن الحسين... يعرف بابن أبي الحسين الغرناطي (ت 671هـ)، نزيل تونس، من أسرة ابن سعيد المعروفة بالعلم والأدب[116].

– محمد بن الحسن... ابن حَبيش، أبو بكر اللخمي المرسي، نزيل تونس، الأديب الفقيه الحافظ المتفنن (ت 679هـ)[117].

– الترجمان عبد الله، واسمه الأصلي أتسلم ترمودا، قسيس إسباني من مدينة ميورقة، أسلم في عهد السلطان أبي العباس أحمد بن المستنصر الحفصي، له «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب»[118].

– حازم بن محمد بن الحسن... الأوسي القرطاجني (ت 684هـ) : الأديب الشاعر الكاتب المشارك في العلوم العقلية[119].

– إبراهيم بن محمد الخزرجي الأنصاري الجَزْري الأندلسي، نزيل تونس، أبو إسحق الفقيه الأصولي (كان حيا سنة 684هـ)[120].

– أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالقي المعروف بابن السَّكَّان، نزيل تونس (ت 689هـ)، الفقيه الأديب الكاتب الشاعر المؤرخ[121].

– أحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري اللبلي، أبو العباس (ت 691هـ) : النحوي الأديب الراوية المحدث المقرئ[122].

– محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يحيى الخزرجي الشاطبي (ت 691هـ) : نزيل تونس، الفقيه القاضي[123].

(116) «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/40–41).
(117) «الرحلة المغربية» (268 - 269)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (2/91 - 93).
(118) «تراجم المؤلفين التونسيين» (1/225 - 231).
(119) «درة الحجال» (1/254 - 255)؛ «الحلل السندسية» (1/ق 2 : 549؛ «شجرة النور» (1/197)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (4/62 - 66).
(120) «تراجم المؤلفين التونسيين» (2/27 - 28).
(121) «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/45 - 46).
(122) «الرحلة المغربية» (43)؛ «الديباج المذهب» (137 - 138؛ رت : 138)؛ «عنوان الدراية» (345 - 346؛ رت : 106)؛ «شجرة النور» (1/198)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (4/202 - 206).
(123) «الفارسية» (150)؛ «عنوان الدراية» (115 - 117)؛ «الحلل السندسية» (1/ق 3 : 692 - 693)؛ «شجرة النور» (1/198)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/134).

– أحمد بن محمد القرشي، الشريف الغرناطي، أبو العباس (ت 692هـ) : نزيل تونس، الحافظ المحدث المؤرخ المعمر[124]؛ نقل البسيلي عن كتابه «المشرق».

– أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن عبد الرحمن الأزدي الخزرجي، ابن الغماز البلنسي (ت 693هـ) : نزيل تونس، العلامة المقرئ الأديب[125].

– محمد بن أحمد بن عبد الله الكلاعي المعروف بابن الرومي، وابن النجار، أبو عبد الله (ت 693هـ) : نزيل تونس، الصوفي المحدث[126].

– أبو العباس أحمد بن عثمان بن عجلان القيسي الإشبيلي (توفي في عشر التسعين وستمائة بتونس)[127].

– عبد الله بن محمد بن هارون القرطبي (ت 702هـ)، نزيل تونس، المحدث الأديب الشاعر[128].

– عمر بن محمد بن خليل... السكوني، أبو علي الإشبيلي الأصل، نزيل تونس (ت 717هـ)، المتكلم المشارك في علوم[129].

– عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي السبتي (ت 749هـ)[130].

– محمد بن محمد البدوي الأندلسي (ت 750هـ)[131].

---

(124) «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/455 - 457).

(125) «الرحلة المغربية» (240)؛ «عنوان الدراية» (119 - 121؛ رت : 24)؛ «الديباج» (135 - 136؛ رت : 134)؛ «الحلل» (1/ق 3 : 661)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/464 - 467)؛ «فهرست الرصاع» (94 - 96؛ تعليقات العنابي).

(126) «تراجم المؤلفين التونسيين» (4/172 - 173).

(127) «عنوان الدراية» (99 - 102؛ رت : 18)؛ «كفاية المحتاج» (1/80 - 81؛ رت : 13)؛ «الحلل» (1/ق 3 : 660 - 661).

(128) «طبقات المالكية» (395 أ)؛ «برنامج الوادي آشي» (51 - 52)؛ «الرحلة المغربية» (42؛ 271) ؛ «الديباج المذهب» (234؛ رت : 296)؛ «فهرس الفهارس» (2/425)؛ «وفيات الفشتالي» (97)؛ «لقط الفرائد» (162)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (5/93 - 95).

(129) «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/47 - 51).

(130) «التعريف بابن خلدون» (39 - 43)؛ «وفيات ابن قنفذ» (طبعة نويهض : 352 - 353)؛ «وفيات الونشريسي» (117)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (2/158 - 160).

(131) «كفاية المحتاج» (2/59 - 60؛ رت : 468)؛ «الحلل السندسية» (1/ق 3 : 622).

– علي بن محمد بن أبي القاسم، ابن رزين التجيبي المرسي، أبو الحسن، نزيل تونس، الفقيه الأديب[132].

– أبو العباس أحمد البلنسي الشهير بابن الحاجة[133].

– يوسف بن إبراهيم بن أحمد، ابن عقاب الجذامي الأندلسي، نزيل تونس[134].

– عبد الله بن يوسف بن موسى الخِلاَسِي[135] الأندلسي، أبو محمد، الفقيه الصالح.

– أحمد ابن القصير الإشبيلي، نزيل تونس[136].

– أبو الحسن علي، الشهير بابن الزيات، من شيوخ ابن أبي جمرة الأندلسي، استوطن حاضرة إفريقية[137].

– إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى الإيادي القرموني ثم المالقي، ابن حبي، نزيل تونس[138].

– أبو بكر محمد بن أحمد بن شبرين الجذامي السبتي ثم الغرناطي، ورد على تونس في الخامس لذي القعدة عام 703هـ؛ فأقام بها مدة ثم ارتحل عنها عائدا إلى وطنه سبتة، في التاسع عشر من شهر المحرم عام 704هـ[139]؛ توفي عام 747[140].

* * * * * *

(132) «الرحلة المغربية» (252 - 256).

(133) «الحلل» (1/ق 3 : 640).

(134) «الرحلة المغربية» (271)؛ «طبقات المالكية» (446 أ).

(135) كذا رسمت في فهارس أعلام «الرحلة المغربية» (309)، وهو الذي أثبته المنوني في «الصلات الثقافية...» (53)؛ أما في متن الرحلة، فرسمت بالصاد : «الخلاصي» (244).

(136) «الصلات الثقافية بين المغرب وتونس الحفصية» : 54؛ نقلا عن «رحلة ابن رشيد».

(137) «عنوان الدراية» (97 - 98؛ رت : 43)؛ «كفاية المحتاج» (1/341؛ رت : 344)؛ «الحلل» (1/ ق3 : 678).

(138) «الصلات الثقافية...» (55)؛ نقلا عن «ملء العيبة».

(139) «رحلة التجاني» (164)؛ «المرقبة العليا» (153).

(140) «وفيات الونشريسي» (115)؛ «لقط الفرائد» (199).

ج- حملة أبي الحسن المريني على تونس، وتلاقح الثقافات المغربية والإفريقية والأندلسية :

كان في حملة السلطان أبي الحسن على تونس، عند ما ملك إفريقية سنة 748هـ[141]، عدا رجال الدولة جماعة كبرى من العلماء والأئمة والأدباء والنابغين بالمغرب، يُلزمهم شهود مجلسِه، ويتَجَمَّلُ بمكانهم فيه[142]، ولا بِدْعَ، فقد كان محُبا للعلماء مقدِّرا لهم، عاملا بما يرونه في صالح الدولة والأمة؛ وبعمله هذا فقد سبق نابليون في حملته على مصر[143].

فمنهم :

- شيخ الفتيا بالمغرب، وإمام مذهب مالك، أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي[144].
- إمام المحدثين والنحاة بالمغرب، أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي[145].
- الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي إمام المقرئين بالمغرب[146].
- شيخ العلوم العقلية، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي (ت 757هـ بفاس)[147].
- أبو القاسم عبد الله بن يوسف ابن رضوان المالقي[148].
- أبو عبد الله محمد بن محمد ابن الصباغ المكناسي (ت 750هـ)[149].

---

(141) «لقط الفرائد» (200).

(142) «التعريف» (20)؛ العنابي في «فهرست الرصاع» (28).

(143) العنابي في «فهرست الرصاع» (29).

(144) «التعريف» (20)؛ (32 - 33). وانظر ترجمته في «جذوة الاقتباس» (228/1 - 229)؛ «نيل الابتهاج» (408 - 410)؛ «كفاية المحتاج» (51/2 - 52؛ رت : 463)؛ «وفيات الونشريسي» (117)؛ «لقط الفرائد» (201)؛ «الحلل» (1/ق3 : 670 - 671).

(145) «التعريف» (21)؛ (39 - 42). وانظر مصادر ترجمته فيما سبق.

(146) «التعريف» (21).

(147) «التعريف» (21)؛ (33 - 39).شيخ المعارف العقلية والتعاليم، قال تلميذه المقري : كان إماما نسيج وحده ورحلة وقته، وإدراكه وصحة نظره مثل. ترجمته في «وفيات الونشريسي» (122)؛ «الحلل السندسية» (1/ق 3 : 616 - 621)؛ «كفاية المحتاج» (54/2 - 58؛ رت : 465).

(148) «التعريف» (23)؛ (42 - 45).

(149) «التعريف» (46). المبرز في المعقول والمنقول، أملى بمكناسة الزيتون أربعمائة فائدة على حديث : «يا أبا عمير ما فعل النغير»، وكان ذلك آخر ما أقرأ بها؛ فلم ينشب أن استدعاه السلطان فلم يجد مندوحة عن الذهاب؛ غرق ببحر تدلس. وذكر عنه أنه سمع بمقصورة تلمسان ينشد كالمعاتب لنفسه : =

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ابن عبد النور[150].
- أبو عبد الله محمد بن النجار التلمساني[151].
- أبو العباس أحمد بن شعيب الجزنائي التازي[152].
- أبو عبد الله بن أحمد بن مرزوق[153].
- أبو عبد الله محمد الرندي الفاسي[154].

ولم يقتصر على من جلبه معه من علماء المغرب الأقصى، بل استصحب معه عند عروجه على تلمسان، أبا موسى بن الإمام[155] معه مكرما موقرا عالي المحل، قريب المجلس منه[156].

وتحتفظ قصيدة لأبي القاسم الرحوي[157] في مدح علماء أبي الحسن المريني بأسماء لفيف من هؤلاء العلماء؛ فمنها :

هُمُ القومُ كلُّ القومِ أمَّا حُلُومُهم ... فأرسَخُ مِنْ طَوْدَيْ ثَبِيرٍ وثَهْلَانِ
فَلاَ طَيْشَ يَعْرُوهُمْ وأما علومُهم ... فأعلامُها تَهْديك من غيرِ نِيران
فلم يُبْقِ نأْيُ **ابنِ الإمام** شماخةً ... على مدن الدنيا لأنف تلمسان
وبعد نوى **السطي** لَم تَسْطُ فاسُه ... بفخْرٍ على بغدانَ في عصر بَغْدَانِ
وبالآبلي استسقَتِ الأرضُ وَبْلَهَا ... ومستوبل ما مال عنه لأظْعَانِ

= يا قلبُ كيف وقعتَ في أشراكهم ... ولقد عهدتك تحذَرُ الأشْرَاكَا
أرضيً بذلٍّ في هوىً وصبابة ... هذا لعمر الله قد أشقاكا

ترجمته في «وفيات الونشريسي» (117)؛ «لقط الفرائد» (200)؛ «الحلل السندسية» (1/ق 3 : 614 - 615)؛ «كفاية المحتاج» (2/53 - 54؛ رت : 464).

(150) «التعريف» (46 - 47).

(151) «التعريف» (48)؛ «وفيات الونشريسي» (118).

(152) «التعريف» (48 - 50)؛ «وفيات الونشريسي» (119).

(153) «التعريف» (50 - 56).

(154) «الكفاية» (2/45؛ رت : 453)؛ «الحلل» (1/ق 3 : 693).

(155) عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام : أحد الأخوين، عرفا بأبناء الإمام التلمساني، قال المقري : هو آخر فقهاء تلمسان. ترجمته في«كفاية المحتاج» (2/310 - 317؛ رت : 308).

(156) «التعريف» (32).

(157) انظر في ترجمته «عنوان الأريب» (1/326 - 331).

وهـامت عـلـى **عبد المهيمن** تونسٌ وقـد ظـفِـرتْ مـنـه بـوصْـل وقُـرْبـان
ومـا عـلـقَـت مـنـي الضـمـائـرُ غـيـرَه وإن هـويت كـلا بـحب **ابن رضوان**[158]

ويقول في قصيدة أخرى :

فـيـا عسـكـرا قـد ضـمَّ أعـلامَ عـالـم بـه طـاب فـي الـدنـيـا لـنـا مـتـقَـلَّـبُ
هـم الـفـئـة الـعـلـيـا والـمـعشـر الـذي إذا حـل شـعـب فـهـو لـلـحـق مشـعـب

ثم يتخلص لمدح أبي الحسن:

وأعـليتَ قـدْرَ الـعـلـم إذْ كـنتَ عـالـمـا فـفـيـه وفـي طـلابِـه لكَ مـأرَبُ[159]

وقد أثرى هؤلاء العلماء الساحة العلمية بمناقشاتهم ومساجلاتهم بمحضر أبي الحسن في مجالسه، فحفظت لنا كتب التاريخ والتراجم صورا منها. فمن ذلك ما في بعضها من ذكر انقطاع علماء فاس المصاحبين للسلطان أمام ابن عبد السلام، بعد أن ناقشوه وأبدوا اعتراضاتهم فقطعهم واحدا بعد واحد[160]. وهذا عبد المهيمن الحضرمي السبتي (ت 749هـ) يجلس للتدريس بتونس في مجلس السلطان أبي الحسن المريني، وكان القارئ هو الشيخ ابن عرفة في صحيح مسلم حديث مالك بن مغول ـ بكسر الميم وفتح الواو ـ فقال له عبد المهيمن وابن الصباغ : مغول بفتح الميم وكسر الواو، فأعادها القارئ ابن عرفة كما قرأها أول مرة قاصدا خلافه، فضحك السلطان وأدار وجهه لعبد المهيمن، وقال له : أراه لم يسمع منك، فأجابه بقوله : ﴿لا تبديل لخلق الله﴾[161].

والبسيلي يورد نماذج مما كانت تحفل به مجالس أبي الحسن من مساجلات علمية، فقد أورد عند قوله تعالى : ﴿وَكُنتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾[162] قوله : «أتى هذا على الترتيب الوجودي؛ والإجرام أمر حسي لأن الاستكبار سبب في الإجرام. وأشار بقوم إلى كونهم جماعة اجتمعوا على ضلالة. فإن قلت : هلاَّ قيل : «فأجرمتم وكنتم قوما

(158) «التعريف» (25 ـ 26).
(159) «عنوان الأريب» (329/1).
(160) «أزهار الرياض» (28/3)؛ «تراجم المؤلفين» (325/3).
(161) «تراجم المؤلفين» (158/2 ـ 159).
(162) الجاثية : 31.

مستكبرين». فالجواب أن الاستكبار أمر معنوي... فناسب التعبير عنه بالإسم المقتضي للثبوت؛ لا يقال : هذا السؤال دوري، لأنه لا دور مع ظهور المناسبة. قال شيخنا : وكان في مجلس الأمير أبي الحسن المريني، يورد ابن الصباغ على ابن هارون أسئلة فيقول له : هذه دورية، فيقول ابن الصباغ : لكنك تورد كذلك. فيقول ابن هارون : إنما أوردناه لكون صاحب «الكشاف» أورده؛ فما أورده أوردناه وما لا فلا»[163].

وذكر ابن عرفة أنه وقع البحث بين الفقهاء بالقصبة في مجلس السلطان:هل المنافقون يدخلهم الخلاف في خطاب الكفار بفروع الشريعة أم لا؟...[164].

وكان أبو الحسن يلزم أولاده حضور مجالسه العلمية، فعند قراءة قوله تعالى : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾[165]، برسم التفسير، التفت إلى بعض ولده وقال : الله الله، أكثر من قراءة هذه السورة، فإنها مشتملة على الدعاء[166].

وقد حمل أبو الحسن معه بعض العوائد، من قبيل استعماله ليلة الميلاد النبوي، بمحضر العلماء أهل تونس وغيرهم[167].

ولم تكن حملة أبي الحسن الداعية للعلماء إلى الورود على تونس، بل نجد أن كثيرا من العلماء الأفارقة، حلوا بها للاستزادة من العلم، أو إحياء رسوم الرحلة فمن المغاربة الواردين على تونس :

– محمد بن عبد الرزاق الجزولي (ت 758هـ)[168].

– أحمد السلاوي ثم التونسي المالكي (ت 773هـ في الطاعون)[169].

– أبو زيد عبد الرحمن العدناني المراكشي، قاضي الجماعة بتونس[170].

(163) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 728 - 729.
(164) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 584.
(165) نوح : 28.
(166) «تكملة النكت» لابن غازي (5 - و).
(167) «فهرست الرصاع» (24 - 30).
(168) «كفاية المحتاج» (61/2؛ رت : 470)؛ «الحلل» (1/ق 3 : 622 - 623).
(169) «الضوء اللامع» (263/2).
(170) «الحلل» (1/ق 3 : 677).

– أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي الأصل، القسنطيني التونسي[171].

* * * * * *

د ـ انتشار مدارس العلم :

تعددت أماكن التلقي عند الأفارقة، فلم تقتصر على المدارس المتخصصة والمساجد الجوامع، بل شملت مساجد الأرباض ومدارس سكنى الطلبة والمنتديات ودور الأشياخ. واتخُذ للمدارس أحباسٌ ينفَق عليها من ريعها، ورُسِم لها الإمام والوقَّاد والنقيب، يدل على ذلك ما حكاه ابن عرفة عن القاضي ابن عبد السلام، أن الفقيه أبا القاسم ابن البرا، لمّا ولي القضاء والتدريس بمدرسة الشماعين، ودخلَها جعل يسأل عن تحبيسها ومصْرِفِه فقيل له : فيها الإمام. فقال : الطّلبة كلُّهم عدول، مَن حضر منهم يؤُمّ، فقيل له : وفيها الوَقَّاد. فقال : لاحاجة إليه، مَن أتى يُشعل الفتيلةَ يُشعِل القنديل. فقيل له : وفيها النَّقيب. فقال : «إنما كانت النُّقَبَاء في بني إسرائيل، فهذا إسرافٌ في الحبس؛ فأنكروا ذلك عليه»[172].

فمن المدارس المتخصصة التي ذكَرَتْها كتبُ التراجم والفهارس :

– **مدرسة الكتبيين :**

كان يدرِّس بها ابن عبد الستار وقرأ بها البَلَوي واستوطنها مدة[173].

– **مدرسة ابن عبد السلام :**

ذكرها المجاري في «برنامجه»[174].

– **المدرسة الشماعية :**

أسسها أبو زكرياء ابن عبد الواحد بن أبي حفص سنة 633هـ، وسميت بذلك لوقوعها بسوق الشماعين، وهي أعرق المدارس المعَدَّةِ لسُكنى الطلبة ولإلقاء الدروس بها ممن

(171) «الحلل» (1/ق 3 : 688).
(172) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 125.
(173) «الحلل» (1/ق 3 : 628).
(174) «برنامج المجاري» (139).

يتولى النظر فيها، مثل ابن عرفة والبرزلي والأبي[175]. لقَّبَها أبو عبد الله محمد بن مرزوق (ت 781هـ)، بأمِّ المدارس، وقد ولي التدريس بها للسلطان أبي إسحق[176]، وقرأ بها ابن رُشَيد على ابن زيتون[177]، والبسيلي على ابن عرفة، والرصاع على أبي العباس أحمد القلشاني[178]، ودرَّس بها ابن عبد السلام وابن قدَّاح[179] و القلشاني[180] وأبو عبد الله محمد البحيري[181].

- المدرسة الحكيمية :

نسبةً إلى محمد بن علي اللخمي المعروف بابن الحَكِيم، المنتسب إلى بيت العَزَفيِّ الرؤساء بسبتة[182]. وبهذه المدرسة كان البسيلي يلقي دروسه في المنطق، وبها أخذ عنه الرصاع[183].

- المدرسة التوفيقية :

بَنَتِ الأميرةُ عَطْف زوجة أبي زكريا يحيى الأول جامع التوفيق والمدرسة التوفيقية في عهد ابنها المستنصر[184]، وأشرفت على تعيين المدرِّسين بها[185]، وجعلت لإقامة الدروس بها أوقافا واسعة.

قرأ بها البسيلي[186] والأبِّي والقَلْشاني على ابن عرفة[187]، والرصاع على القلشاني[188]؛ وتولى التدريس بها أبو عبد الله محمد المسراتي، ثم خلفه عليها أخوه من بعده[189].

(175) «فهرست الرصاع» (142؛ تعليق : 3).
(176) «تراجم المؤلفين» (326/3).
(177) «من صلات...» (39).
(178) «فهرست الرصاع» (141).
(179) «تراجم المؤلفين» (58/4).
(180) «الحلل» (1/ ق 3 : 625).
(181) «الحلل» (1/ق 3 : 614).
(182) «فهرست الرصاع» (175؛ تعليق 1).
(183) «فهرست الرصاع» (175).
(184) «الحلل» (1 / ق 3 : 1027). وقد ذكر السراج أن هذه المدرسة مما اندرس آثاره، فلم يعد له وجود.
(185) «المؤنس» (134- 135).
(186) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 137.
(187) «فهرست الرصاع» (122).
(188) «فهرست الرصاع» (141).
(189) «الحلل» (1/ ق 3 : 624).

وذكر ابن غازي في "فهرسه"[190] أن ابن عرفة كان يقعد للتدريس بمدرسته بتونس من بعد صلاة الغداة إلى الزوال، وكان يقري فنونا يبتدئها بالتفسير؛ فهل المقصود التوفيقية أم مدرسة أخرى لابن عرفة؟.

- المدرسة المنتصرية :

وتعرف بمدرسة سوق الفلقة أيضا. ابتدأ المنتصر تأسيسها ومات قبل إكمالها سنة 831هـ[191]، وأتمها أخوه عثمان[192].

ختم بها الرصاع التفسير على ابن عُقَاب[193]، وكان مُعيداً بها[194]. وتولى التدريس بها أبو عبد الله محمد الزواري[195] وابن عُقاب[196] كما مرَّ، وسكن بها القلصادي في رحلته الحجازية، أثناء مقامه بتونس[197]، وسمع فيها التفسير وبعض "صحيح مسلم" و"الموطا" وكتبا شتى من "مختصر المدونة" للبراذعي، وبعض "الرسالة" وابن الجلاب وابن الحاجب الفرعي، ورواية صحيح البخاري غير مرة، وكتاب "الشفاء" لعياض[198].

- المدرسة السيجومية :

بناها الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي فارس الحفصي، ونسبت إلى الشيخ حسن بن عطية السيجومي[199]. قرأ بها الرصاع على ابن عقاب[200].

- مدرسة المعرض :

أسسها الأمير أبو زكرياء يحيى بن أبي إسحق الحفصي سنة 683هـ، وبناها بإزاء داره، وأحدث كوَّة في منزله يسمع منها ما يُقرأ. الزركشي : وحبّس عليها ريعا كثيرا من ماله،

(190) «التعلل برسوم الإسناد» (68)؛ «الحلل» (1/ق 3 : 586 - 587).
(191) «الحلل» (1/ ق 4 : 1081).
(192) «الحلل» (1/ق 4 : 1084) «فهرست الرصاع» (140؛ تعليق 2)؛ «رحلة القلصادي» (115).
(193) «فهرست الرصاع» (140).
(194) «فهرست الرصاع» (157).
(195) «الحلل» (11 ق 3 : 626).
(196) «الحلل» (11/ ق 3 : 624).
(197) «رحلة القلصادي» (115).
(198) «رحلة القلصادي» (121).
(199) «فهرست الرصاع» (141؛ تعليق 1).
(200) «فهرست الرصاع» (141).

مع مكتبة نفيسة في كل فن من فنون العلم، ولما كمل بناؤها، جلس فيها المدرِّس أبو العباس الغرناطي، ووجَّه للمدرِّس قرطاسين من ذهب، وقال له : فرِّقها على كل من يجد في المدرسة، فسمع الناس بذلك فجاؤوها من كل المدارس، حتى امتلأت، ولم يجد أحد أين يجلس... وأجرى على المدرس رزقا كثيرا[201].

وبها درس أبو عبد الله بن الستار، حضر مجلسه محمد المقَّري، حسبما صرح به في كتابه «نظم اللآلي في سلوك الأمالي»[202].

- مدرسة دار صولة :

بناها أبو عمرو عثمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي فارس[203]، آخر بني حفص. وجعل بها مسجدا للصلاة ودرسا للعلوم أعدّ للطلبة.

- مدرسة ابن تافراكين :

أسسها الوزير ابن تافراكين (ت 766هـ)، فحملت اسمه وضمت جثمانه، وقد كانت واقعة بحي باب اسويقة[204]. درَّس بها على التوالي أبو القاسم القسنطيني والفقيه أبو البركات محمد بن محمد بن عصفور[205].

- مدرسة القائد قبيل :

ولي مشيختها أبو العباس اليزليتني، عرف بحُلُولُو[206].

وقد مثلت المساجد معاهد عليمة متخصصة، إلى جانب المدارس الرسمية، فمن هذه المساجد :

- جامع الزيتونة.

- مسجد القطانين :

جلس للإقراء به أبو عبد الله محمد البلنسي[207].

---

(201) «تاريخ الدولتين» (40-41)؛ «الحلل» (1/ق4 : 1040)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (456/3).

(202) مضمن في «أزهار الرياض» (71/5).

(203) جعل وفاته الونشريسي في 893هـ، ن «وفيات الونشريسي» (152).

(204) «الحلل» (1/ق4 : 1063)؛ «تاريخ الدولتين» (100).

(205) «الحلل» (1/ق 3 : 613).

(206) «الحلل» (1/ ق 3 : 645). وسقطت تسمية المدرسة من «كفاية المحتاج» (123/1).

(207) «فهرست الرصاع» (136).

- مقصورة سيدي محرز بن خلف :

وهي خزانة كتب بالمقصورة الشرقية من جامع الزيتونة، مشتملة على أمهات العلوم، أوقف عليها أبو عمرو عثمان وقفا كافيا يقوم بإصلاح ما تخرم منها، وما يقوم بالقائمين بخدمتها[208].

- مسجد حرز الله :

قرأ به الرصاع المنطق، على أبي يوسف يعقوب المصمودي[209].

- مسجد المشرف :

درس فيه الرصاع على أبي حفص عمر القلشاني[210].

- دويرة جامع الزيتونة :

درَّس بها ابن عرفة، وعنه أخذ بها ابن القنفذ[211].

- مسجد الشيخ المقرئ أبي عبد الله محمد بن محمد بن مسافر العامري قريباً من القباقبيين :

به درس البسيلي القرآن[212].

- مسجد الحنابليين :

كانت تعقد به مجالس العلم، ويجلس فيه الشيخ أبو إسحق البسيلي جد صاحبنا[213].

* * * * * *

ولم تكن مجالس العلم حكرا على المدارس والمساجد، بل عرفتها أيضا مساجد الأرباض ومدارس سكنى الطلبة والمنتديات ودور الأشياخ[214]؛ وهذه الأخيرة كثيرة

---

(208) «الحلل» (1/ ق 4 : 1083).
(209) «فهرست الرصاع» (130).
(210) «فهرس الرصاع» (122).
(211) «شرف الطالب» (89؛ طبعة حجي).
(212) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 139.
(213) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 139.
(214) «من صلات...» (39).

جدا، حيث جرت العادة باستقبال الشيوخ لتلامذتهم الرحالة أو نظرائهم بمنازلهم، فالبلوي قرأ على ابن عبد السلام «الموطأ» في مجالس كثيرة بمنزله[215]، وقرأ ابن رشيد على ابن زيتون بداره بتونس[216]، وكان البسيلي يقرئ بسقيفة داره كثيرا حسب شهادة تلميذه الرصاع[217].

(215) «تاج المفرق» (177/1).
(216) «من صلات...» (39).
(217) «فهرست الرصاع» (177).

المبحث الثاني :
نشاط الدراسات القرآنية في العهد الحفصي

لاشك أن مجالس ابن زيتون ومن بعده ابن عبد السلام وتلميذه ابن عرفة، أنعشت سوقا نافقة في تدريس التفسير وإجالة النظر في مرامي كتاب الله عز وجل؛ وقد آتت هذه السوق أكلها بإنتاج ضخم في التفسير وعلوم القرآن؛ فمن ذلك :

– «تفسير جزء من القرآن» لابن عصفورالإشبيلي (ت 669هـ)؛ قال أبو العباس الغبريني : «شرح جزءا من كتاب الله العزيز، وسلك فيه مسلكا لم يسبق إليه من الإيراد والإصدار والإعذار، بما يتعلق بالألفاظ ثم بالمعاني، ثم بإيراد الأسئلة الأدبية على أنحاء مستحسنة، وقال : لو أعانني الله وأمدني بالمعونة منه وأكمل هذا الشرح على هذا المنزع، لكان ذخيرة العالم»[218].

– «البيان والتحصيل المطلع على علوم التنزيل، الجامع بين مقاصد الزمخشري وابن عطية في تفسيرهما، المكمل بزيادات عن غيرهما...» لابن بزيزة عبد العزيز بن إبراهيم ابن أحمد القرشي التميمي التونسي (ت 673 هـ) :

خ ق 28 : المجلد 6، ابتداء من آخر سورة القصص، حتى نهاية سورة القتال[219].

– «إيجاز البرهان في إعجاز القرآن»، لإبراهيم بن محمد الجزْري الأندلسي (بقيد الحياة سنة 684هـ)[220].

– «منتهى الغايات في شرح الآيات» للجزري أيضا[221].

– «الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة» لأبي بكر بن أبي محمد عبد الغني، المعروف باللبيب[222]؛ منها نسخ كثيرة، منها بالمغرب :

(218) «عنوان الدراية» (318 - 319)؛ ونقله صاحب «تراجم المؤلفين التونسيين» (395/3).

(219) «فهرس مخطوطات خزانة القرويين» (1/72 - 73).

(220) «الديباج المذهب» (149)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (2/27 - 28).

(221) «الديباج المذهب» (149).

(222) «كتاب العمر» (1/169).

ن خ ح 8009.

ن خ ح 3893.

ن خ ع د 2262.

ن خ ع ق 399[223].

- «مختصر في الألفات المحذوفات والثابتات والياءات المحذوفات والثابتات والموصول وما كتب من هاء التأنيث بالياء»، للبيب أيضا، مخطوطة بالمكتبة الوطنية التونسية، رقم 9676[224].

- «تآليف وتصانيف على كتاب الله تعالى» لأبي العباس الغرناطي (ت 692هـ)، قال الغبريني: طالعت بعضها[225].

- «الفتوحات الربانية في المواعظ المرجانية»، أمالي في التفسير، لعبد الله بن محمد بن عبد الملك... التونسي الإسكندري المعروف بالمرجاني (ت 699هـ)، وهي دروس تفسير 26 سورة جمعها ابن السكري من كلامه[226]. ومنها مخطوطة في دار الكتب المصرية، تيمورية، رقم 261 تفسير[227].

- «نظم قراءة يعقوب من طريق أبي عمرو الداني»، لأبي العباس البطرني الأنصاري (ت 710هـ)[228]، شيخ تونس، حلاه الشمس ابن الجزري بالأستاذ، ووصف نظمه بأنه حسن[229].

- «التنوير مختصر التفسير»، لمحمد بن أبي القاسم ابن جميل الربعي (ت 715هـ)[230]:

(223) «فهرس المخطوطات القرآنية» (27).

(224) «كتاب العمر» (1/170-171).

(225) «عنوان الدراية» (347).

(226) «كتاب العمر» (1/151-152)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (4/300-301).

(227) «فهرس المكتبة التيمورية» (1/48).

(228) «وفيات الونشريسي» (101)؛ «كتاب العمر» (1/153-154)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (1/144-145).

(229) «غاية النهاية» (1/142-143).

(230) «تراجم المؤلفين التونسيين» (2/338-339).

اختصر فيه «مفاتيح الغيب» للرازي، الجزء السادس منه بدار الكتب الوطنية التونسية في 253 ورقة، تحت رقم 213، نسخ سنة 704هـ في حياة المؤلف، وجزء آخر بالقاهرة، المكتبة الأزهرية، رقم 13، أوله تفسير سورة الأنفال وآخره تفسير سورة يس[231]. و5 أجزاء متفرقة بالمكتبة الوطنية بباريس، تحت أرقام : 615؛ 617؛ 618-619؛ 614؛ 616[232].

– «التمييز لما أودعه صاحب الكشاف من الاعتزال في الكتاب العزيز»، لأبي علي بن خليل، عمر بن محمد بن محمد السكوني الإشبيلي نزيل تونس (ت 717هـ) :

انظر مخطوطاته في «الفهرس الشامل»[233]، حيث عُدت له 26 نسخة.

– «الاعتراض المشرق على كثير من أهل المنطق» للسكوني أيضا، وهي حاشية على الكشاف للزمخشري :

ولي الدين، تحت رقم 330[234].

– «مقتضب التمييز»، له أيضا[235] :

مخطوطات أوقاف الجزائر، تحت رقم 272، ت ن 1186هـ، عدد أوراقه 121[236].

المكتبة الوطنية التونسية: 56؛ 7262.

مكتبة فيض الله باستانبول 239[237].

– «تحصيل الكفاية من الاختلاف الواقع بين التيسير والتبصرة والكافي والهداية»[238]، لأبي عبد الله محمد بن جماعة التنوخي المهدوي (كان حيا بين سنتي 725و729هـ)[239].

---

(231) «كتاب العمر» (155/1–156).
(232) «الفهرس الشامل» (القرن الثامن) : 359.
(233) «الفهرس الشامل» (ق 8هـ : 360–361).
(234) «الفهرس الشامل» (ق 8هـ: 361).
(235) «أعلام الدراسات القرآنية» (242).
(236) موقع وزارة الأوقاف الجزائرية على الإنترنت.
(237) «كتاب العمر» (400/1).
(238) التيسير للداني، والتبصرة لمكي، والكافي لابن شريح، والهداية للمهدوي؛ وكلها مطبوعة.
(239) «كتاب العمر» (157/1).

– «اختصار تفسير ابن الخطيب»، المسمى «نفحات الطيب في اختصار تفسير ابن الخطيب» لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد النور التونسي (ت 726هـ)، في سبعة أسفار[240]؛ قيل إنه اختصار حسن[241].

– «تفسير القرآن»، لأبي فارس عبد العزيز ابن الدروال التونسي (ت 733هـ)[242] : قال ابن مرزوق : وهو من أعجب ما صنف؛ زاد الثعالبي: لم يكمل[243].

– «المجيد في إعراب القرآن المجيد»[244]، لإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الصفاقسي التونسي (ت 742هـ) : له 55 نسخة ورد ذكرها في «الفهرس الشامل»[245]؛ طبع جزء منه.

– «أحكام القرآن» للسفاقسي المذكور :

مخطوط الحرم النبوي رقم 228، ت ن 758هـ[246].

– «تفسير القرآن»، لأبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادي، شهر العشّاب (ت 736هـ)[247] :

جمع بين تفسيري «المحرر الوجيز» و«الكشاف»؛ ذكر ابن الجزري[248] أنه تفسير صغير، والموجود منه نسخة في عشرة أجزاء ينقصها الجزء 3 وبعض 6 ،مخطوط بدار الكتب المصرية، رقمها 147 تفسير. وبمراجعة وصفه يظهر أنه كبير خلاف ما ذكر ابن الجزري، وإليك عدد أوراق كل جزء منه :

---

(240) «تراجم المؤلفين التونسيين» (336/3).
(241) «الديباج المذهب» (418).
(242) «تراجم المؤلفين التونسيين» (305/2).
(243) «كتاب العمر» (158/1–159).
(244) «الديباج» (150)؛ «أسماء الكتب» (44–45)؛ «كتاب العمر» (164/1)؛ «التفسير واتجاهاته بإفريقية» (281–296).
(245) «الفهرس الشامل» (ق 8هـ : 387–389).
(246) «الفهرس الشامل» (ق 8هـ : 387).
(247) «كتاب العمر» (161/1)؛ وانظر «الديباج المذهب» (107–108)؛ «طبقات المفسرين» (66/1).
(248) «غاية النهاية» (106/1).

ج1 : 156و؛ ج 2 : 258و؛ ج4 : يبتدئ بقوله تعالى : ﴿وإذ نتقنا الجبل﴾ إلى آخر سورة هود؛ ج 5 : 199 و؛ ج6 : 50و قطعة منه؛ ج7 : 207و؛ ج8 : 173و؛ ج9 : 128و؛ ج 10 يبتدئ بتفسير سورة القلم، وينتهي بأول العاديات[249].

– اختصار تفسير ابن الخطيب المسمى «تحفة اللبيب في اختصار ابن الخطيب» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي (ت 736هـ)[250].

– «الدر الثمين في علم التفسير»[251]؛ له أيضا.

– «مفردة يعقوب»، لمحمد بن محمد بن حسن بن سلامة، أبو عبد الله الفقيه المقرئ (ت 746هـ)[252] : جمع فيها بين مفردة أبي عمرو الداني، ومفردة محمد بن شريح الرعيني الأندلسي[253].

– نظم قراءة يعقوب، لأبي عبد الله بن عرفة(ت 803هـ)[254].

– أرجوزة في ألفات وضادات القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الصَّفار (حي في عام 825هـ) :

مخطوط بدار الكتب الوطنية التونسية، رقم 19469 ضمن مجموع.

– أرجوزة في ألفات القطع والوصل؛ له أيضا ضمن المجموع السابق[255].

(249) وصفُها في «أعلام الدراسات القرآنية» (220–221) .

(250) «الديباج» (796/2)؛ «كتاب العمر» (739/2).

(251) «فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية» (76). وقد أحال فونتان على برنشفيك؛ وفيه ذِكْرُ ابن راشد في (305/2؛ 397؛ 398؛ 399) دون ذكر هذا الكتاب.

(252) في «طبقات المالكية» (387 أ)، أن وفاته سنة 740هـ.

(253) مفردة يعقوب لشريح، المُسَمَّاة «الجمع والتوجيه لما انفرد بقراءته يعقوب بن إسحق الحضرمي البصري» (ت 205هـ)، لابن شريح، مطبوعة بمجلة المورد العراقية مج 17، ع 4، 1988، بتحقيق د. غانم قدوري حمد : (251–291).

(254) «الضوء اللامع» (442/2)؛ «كفاية المحتاج» (103/2)؛ «الحلل السندسية» (1/ق3 : 584)؛ «كتاب العمر» 2(/765)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (370/3)؛ «تعليقات العنابي» (81)؛ «مقدمة المناعي» (24/1).

(255) «كتاب العمر» (328/1–329).

– تفسير القرآن، لأبي عبد الله محمد بن خلفة بن عمر الوشتاتي الأبي (ت 827هـ)[256] :

مخطوط؛ منه النسخ التالية :

ن خ ع ك 2030 ج 1، 2.

ن خ ع ك 2028 جزء[257].

مكتبة بلدية الإسكندرية 1069ب : 3 مج.

مكتبة بلدية الإسكندرية 1606ب : 2مج [258].

– تفسير أبي القاسم الشريف السلاوي رواية عن ابن عرفة :كان مفقودا، فوفقنا الله إلى العثور على مجلد يغلب الظن أنه منه.

– «نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد» لأبي العباس البسيلي (ت 830هـ)؛ وهو موضع عملنا هذا.

– «تفسير القرآن» لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن كرامة العقدي الزنديوي (ت 874هـ)[259].

–«الجمع الغريب[260] في ترتيب آي مغني اللبيب»[261] لمحمد بن أبي القاسم الرصاع (ت 894هـ) :

وهو تفسير للشواهد القرآنية الواردة في «مغني اللبيب» لابن هشام بعد أن أفردها، ورتبها على السور، وتكلم عليها في جزئين، يوجد الأول منه بمكتبة الزاوية الحمزاوية بتافيلالت، رقم 89، بخط مغربي[262].

---

(256) «كتاب العمر» (1/333–334)؛ «فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية» (80).

(257) «فهرس المخطوطات القرآنية» (256).

(258) انظر وصفها في «أعلام الدرسات القرآنية» (264–265).

(259) «الضوء اللامع» (9/180)؛ «كتاب العمر» (2/797)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (2/425–426).

(260) «دليل مخطوطات الخزانات الحبسية» (2/24).

(261) الكتاب كان موضوع دبلوم دراسات عليا، مسجل بجامعة محمد الخامس بالرباط، سنة 1997، تحت إشراف د. أحمد أبو زيد. انظر «دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب» لعمر أفا (ملحق 97 : 112).

(262) «مكتبة الزاوية الحمزية، صفحة من تاريخها» لمحمد المنوني (136)، بحث ضمن مجلة تطوان، العدد 8.

الفصل الثاني

○○○○○

حياة أبي العباس أحمد البسيلي وآثاره

وفيه مباحث :

1 ـ مصادر ترجمته وأوهام المترجمين.

2 ـ اسمه ونسبه.

3 ـ مولده ووفاته.

4 ـ شيوخه.

5 ـ تلاميذه.

6 ـ مؤلفاته.

7 ـ علاقته بالحفصيين.

8 ـ صفاته الخُلُقية والأعمال التي تولاها.

9 ـ ثناء العلماء عليه.



المبحث الأول:
مصادر ترجمته وأوهامها

أ ـ مصادر ترجمته :

- المصادر المخطوطة :

- «محاذي مختصر ابن عرفة في الفقه» لأبي العباس البسيلي (ورقة 1).

- «نكت وتنبيهات في تفسير كتاب الله المجيد»؛ للمترجم له :

أ ـ ن خ ع ق 271.

ب ـ ن خ ع د 1743/2 ضمن مجموع.

ج ـ ن م ع ف.

- «التقييد الكبير» :

أ ـ ن خ ع ق 611.

ب ـ ن خ ع ح 34.

ج ـ ن خ ع ك 2038.

- المصادر والمراجع الطبوعة أو المرقونة :

- «التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد» للمنوه به آنفا : تفسير سورة البقرة وآل عمران، تحقيق د. عبد الله بن مطلق الطوالة.

- «فهرست الرصاع» لأبي عبد الله محمد الأنصاري (ت894هـ) : (177−175).

- «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت 902هـ) : (190/11؛ قسم الأنساب).

- «توشيح الديباج وحلية الإبتهاج» لبدر الدين القرافي (ت914هـ): (58).

- «نيل الإبتهاج بتطريز الديباج» لأحمد بابا التنبكتي (ت 1032هـ): (461–462 : أصالة)؛ (297؛ 466؛ 469؛ 432؛ 635؛ 268؛ 107؛ 115؛ 252 : عَرَضاً).

- «كفاية المحتاج» للتنبكتي : (108/1–109؛ رت : 51).

- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: لأبي عبد الله محمد، الملقب بابن مريم المديوني التلمساني: (193؛ 197؛ 200 عرضا).

-«تفسير الإمام ابن عرفة برواية الأبي»، تحقيق د. حسن المناعي : (27/1–31؛ 32-36).

- «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة (ت1067هـ) : (304/1).

- «الحلل السندسية في الأخبار التونسية» للوزير السراج، محمد بن محمد الأندلسي (ت 1149هـ) : (1/ ق 3 : 650).

-«شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» لمحمد مخلوف المنستيري (ت1360هـ) : (251/1).

- «تعريف الخلف برجال السلف» لأبي القاسم محمد بن الشيخ الحفناوي (ت1361هـ) : (73/2).

- «الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام» للعباس بن إبراهيم (ت 1378هـ) (عَرَضاً في المواضع التالية : 271/2؛ 107/8؛ 248/5).

- «أعلام المغرب العربي» للأستاذ عبد الوهاب بن منصور (403/4).

- «تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان (ت 1375هـ) : «طبعة الهيئة المصرية للكتاب» : (ق 4 : 466).

- «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات» لعبد الحي بن عبد الكبيرالكتاني (ت 1382هـ) : (278/1؛ عرضا).

- «طبقات المفسرين» للأدنه وي (63/1-64).

- «كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التو نسيين» لحسن حسني عبد الوهاب (ت 1388هـ) : (172/1-174).

- «الأعلام» لخير الدين الزركلي (ت 1390هـ) : (227/1).

- «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة : (85/2).

- «تراجم المؤلفين التونسيين» لمحمد محفوظ (103/1-105).

- «مدخل لدراسة تفسير ابن عرفة الورغمي» لسعد غراب؛ ضمن ملتقى الإمام ابن عرفة : (397-406).

- «منتخبات من نوادرالمخطوطات بالخزانة الملكية بالرباط» للمنوني : (73-74).

- «التفسير والمفسرون بالمغرب الأقصى» لسعاد أشقر، د د ع تحت إشراف د. الشاهد البوشيخي، برسم السنة 1994، كلية الآداب بفاس.

- «فهرس المخطوطات القرآنية المحفوظة بأشهر الخزائن المغربية»، لمحمد صقلي حسيني :(255-256) : بحث لنيل الإجازة، تحت إشراف د. الشاهد البوشيخي، برسم السنة 1986 كلية الآداب بفاس.

- **مـجــــلات :**

- مجلة البحث العلمي، عدد 7 ؛ 1966؛ «فصلة تصف الدراسة بالقرويين أيام المنصور السعدي»، تقديم وتحقيق محمد المنوني (ص 261-263؛ حاشية رقم 34).

- مجلة تطوان، عدد 8، 1936؛ «مكتبة الزاوية الحمزية»، لمحمد المنوني : (111).

- مجلة دعوة الحق ، عدد ذي القعدة 1393هـ : (155).

–مجلة دار الحديث الحسنية، العدد 3، 1982؛ «مخطوطات مغربية في علوم القرآن والحديث»، لمحمد المنوني : (58–59).

ب ـ أوهام المترجمين :

– توهم الأدنه وي أن البسيلي تلميذ أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي النحوي (ت 323هـ)[263]، وبينهما شُقَّة تاريخية تحيل احتمال التلمذة. وإليك سياق قوله :

«إبراهيم بن محمد بن عرفة، أبو عبد الله الواسطي، نفطويه النحوي العالم الفاضل، صنف التفسير، اشتهر بتفسير ابن عرفة، وجمعه بعد وفاته، تلميذه العالم التقي الفاضل الزكي الشيخ أحمد بن محمد الشهير بالمسيلي»[264].

– سمى محمد مخلوف المنستيري في «شجرة النور الزكية»[265]، والد البسيلي «عمر» بدلا من «محمد»، ولعله تصحيف.

– جعل السخاوي وفاة البسيلي متأخرة إلى سنة 848هـ[266]؛ وهو وهم تابعه فيه حسن حسني عبد الوهاب[267]. ولعل السخاوي نقل عن ابن عزم التونسي من «دستور الأعلام»؛ ويظهر أنه يَهِم في مواطن تظهر بالتَّتبُّع لمسَاق النقول عنه.

– وقع للأستاذ عبد الوهاب بنمنصور تردُّدٌ بين عَلَمين، وغَلَب على ظنه أخيرا أنهما واحد، فخلط بين البسيلي والمسيلي، وقال : «وهذا الفقيه من المترجمين من يذكره مرتين، مرة باسم أحمد بن محمد البسيلي الذي كان حيا سنة 787هـ، ومرة باسم أحمد ابن أبي القاسم بن أبي عمار المسيلي المتوفى سنة 789هـ؛ ويغلب على الظن أن الترجمتين لرجل واحد»[268].

– تابع محقق "كفاية المحتاج" ما ورد في «أعلام المغرب العربي»، فوقع في الوهم عنه، في موضعين اثنين[269].

(263) انظر ترجمته مستوفاة في «بغية الوعاة» (428/1–430؛ رت:868).
(264) «طبقات المفسرين» للأدنه وي (63/1–64).
(265) ص : 251.
(266) «الضوء اللامع» (261/2).
(267) «كتاب العمر» (172/1)؛ وعدَّ تاريخ 830هـ غلطا.
(268) «أعلام المغرب العربي» (403/4).
(269) انظر «الكفاية» (100/1؛ تعليق 106)؛ (108/1؛ التعليق 4 بالصفحة المذكورة).

– نسب د. سعد غراب[270] وتابعه محقق الزهراوين من «التقييد الكبير»[271] البسيلي إلى المسيلة الجزائرية، وجوزا إبدال الباء في اسمه بالميم، وسياتي خلافه وعدم استقامته.

– رسم محقق «نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي» البسيلي بالميم، وجزم بكونه أحمد بن أبي القاسم المسيلي (ت 787هـ)، كما وهم في أبي القاسم الشريف السلاوي، فظنه ابن المجراد، وكل ذلك غلط[272].

---

(270) «مدخل لدراسة تفسير ابن عرفة» (397).

(271) (1/33-34).

(272) «نزهة الحادي» (218؛ تعليق رقم 8 و9).

المبحث الثاني :
اسمه ونسبه

أ ـ اسمه :

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي؛ كذا ترجمته المصادر التي بين أيدينا، وهي تكاد تكون مطبقة على هذا، فيما عدا أن صفحة العنوان من إحدى نسخ «نكت وتنبيهات» (نسخة خ ع ق 271)، والتي يرجع تاريخ نسخها لسنة ثلاثة وسبعين وتسعمائة (973هـ)، تَشِذُّ فتسوق كنيته ولقبه كالآتي : «أبو عبد الله، شهاب الدين أحمد البسيلي». ولم أظفر إلى اليوم بمستند يدعم هذه الرواية، وإن كنت أرجح أن الناسخ قد يكون واهما، لوهمه فيما تلا هذه الرواية مباشرة، وذلك قوله : «هذا المجموع بخط أبي عبد الله شهاب الدين أحمد البسيلي، تلميذ ابن عرفة»، وظاهر وهمه من حيث إن وفاة البسيلي متقدمة على تاريخ النسخ المذكور آنفا بنحو من ثلاث وأربعين ومائة سنة؛ وعليه يستحيل كون المجموع بخطه. ثم إن الورقة 85، وجها وظهرا منسوخة بخط مخالف، ويندُرُ أن نجد هذا في أصول تآليف العلماء؛ لأنهم لا يأمنون عندئذ على تصنيفهم من التغيير، اللهم إلا أن يكون ما نسخ بخط مغاير إملاء من المصنف على غيره.

ب ـ نسبه وسلفه :

لم يرد فيما بين أيدينا من المصادر ما يبل نقعة الصديان، بصدد أصل البسيلي، وكل ما يوجد هنالك استنتاج مبني على احتمال كون الباء الموحدة في اسمه مبدلة عن ميم، إذْ يصير أصله حينها جزائريا نسبة إلى «مسيلة» عاصمة «الزاب» الشهيرة في محافظة «قسنطينة» بالجزائر. والذين قرَّت أعينُهم بهذا الوجه ووجاهته، يُزكّون ذلك بأن الشيخ صاحب الترجمة ـ حسب «النيل»[273]؛ نقلا عن «التقييد الكبير»[274] ـ إنما ابتدأ حضوره

(273) ص : 77.

(274) ن خ ع ق611 (137)؛ وذلك قوله عند قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ الله الرُّسُلَ﴾ : «هذه أول آية حضرت تفسيرها في مدرسة التوفيق أول قراءتي على شيخنا أبي عبد الله محمد بن عرفة رحمه الله تعالى، وذلك عام ثلاث وثمانين وسبعمائة».

عند ابن عرفة عام (783هـ)، غير أنهم في هذا يحتاجون إلى عاضد من نقل أو أَثَارَةٍ من علم، سيما وأننا لسنا على بينة من الوِجهة التي وَرَدَ منها، ناهيك أنه ليس بالمكْنة استبعاد كون البسيلي من أهل تونس أصالة، وهو عند ورود حاضرتها للأخذ عن ابن عرفة، إنما ورد من مكان متاخم لها؛ وأيّاً ما يكون، فصاحبُنا بتوطنه تونس ووفاته بها من أهل تونس بلا ريب، وهو الذي جرى عليه البحاثة حسن حسني عبد الوهاب، حين ترجمه في «كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين»[275].

وأستطيع أن أجزم بتونسية البسيلي لأمور :

– تصريح المؤلف بتلقيه عن ابن مُسافر ـ وهو بتونس ـ وهو صغير، حمله أبوه إليه.

– كون جدِّ البسيلي لأبيه إمام وخطيب جامع الزيتونة؛ وقد جرى في عرف أهل تونس ألا يؤهمهم به إلا بَلَدِيُّهُم.

– أن لسلف البسيلي مقبرة بتونس عرفت باسم أبي إسحق إبراهيم البسيلي، ودفن فيها ابن أخته عبد العزيز البسيلي[276]. ويكفي أن لأسرة البسيلي مقبرة عرفت باسم أحد أعلامها ليكون ذلك أدل على عراقتها بتونس.

فيَبْعُد لكل ما ذكرنا أن ننفي عن البسيلي أصالةَ كونِه تونسيا. ثم إن هذا الخلاف في إبدال اسمه لم يثبت من طريق نركن إليها، فإن المغايرة بين العَلَمين متأكدة بأمور منها : أن البسيلي نفسه ينقل عن المسيلي في «تذكرته»[277]؛ ولوْ جَازَ على النُّسّاخ الوَهَمُ في رسم البسيلي بالميم، لجاز عليهم ذلك أيضا في رسم المسيلي بالباء، فلما لم يفعلوا ثبتت المغايرة. ثم إن تعليل جواز كون الأصل في البسيلي، المسيلي بالتقارب بين مخرجي الميم والباء، واستساغة الإبدال بينهما ـ والذي نقل عن الأستاذ سعد غراب ـ إنما يسري على غير الأسماء.

وقد كفاني مؤنة الرد على هذا التعليل الأستاذ محمد محفوظ، حين تعقب الأستاذ سعد غراب وهذا سياق كلام كل منهما :

---

(275) (172/1).

(276) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 783.

(277) وذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿وَلَكِن كَرِهَ الله انبِعَاثَهُمْ﴾، حيث قال : «الإمامُ في «الشامل»، والمسيلي في «التذكرة» : يدل أن الأمر لايستلزم الإرادة؛ لأنهم أمروا في قوله : ﴿انفروا ...﴾. انظر «نكت وتنبيهات» (ن خ ع ق 271 : 51–و).

- كلام سعد غراب :

«فالراجح أن اسمه في الأصل هو المسيلي، نسبةً إلى المسيلة عاصمة الزاب الشهيرة» إلى أن قال : «والإبدال بين الميم والباء أمر معروف شائع في العربية، وهما حرفان شفويان متقاربان، ومن أشهر الأمثلة القديمة بين هذين الحرفين أنه يقال مكة وبكة، ولاندري متى وقع هذا الإبدال في نسبة البسيلي، هل كانت شائعة في عهده في بعض اللهجات، وعلى كل فهو سمي في بعض المراجع الجزائرية المسيلي (خاصة «تعريف الخلف» و«أعلام الجزائر»). والتحريف ـ فيما يبدو لي ـ قديم لذا لم نشأ إصلاحه»[278].

-تعقب محمد محفوظ :

«ويلاحظ على كلامه أن الأنساب لا مجال للقياس والإجتهاد فيها وأن الإبدال بين الميم والباء إذا كان شائعا في اللغة الفصحى، فهو كذلك في اللهجة الدارجة العامية، ومن المعلوم أن ما هو شائع و مطرد في الفصحى لا يلزم أن يكون كذلك في اللهجة الدارجة؛ لأن لها قواعد وخصائص في الإستعمال غير التي في الفصحى. وإذا كان قد ذكر مثالا للإبدال بين الميم والباء في الفصحى، فلماذا لم يذكر مثالا من ذلك في اللهجة العامية ليكون كلامه أدنى إلى القبول ومقنعا وليكون القياس بدون وجود فارق ؟، وما نقله عن بعض المراجع الجزائرية هي مراجع حديثة وعمدتها ومعولها هي المصادر القديمة، فإذا خالفتها فإنه ينظر إلى هذا بعين الحذر والإحتراز، بل الرفض إن لم يوجد بعد البحث ما يؤيد خلافها المبني على الإجتهاد الشخصي بدون حجة و لامستند»[279] اهـ.

وأضيف أن إطباق النسخ المخطوطة من التقييد الكبير أو الصغير على رسم اسم البسيلي بالباء الموحدة، وكذا ورود اسم ابن عم والد المؤلف، أبي فارس عبد العزيز في «التقييد الكبير»[280] مرسوما بالباء أيضا قاطع للجاجة في هذا الشأن.

وحين سكتت معاجم البلدان عن ذكر بسيلة التي يمكن أن تكون نسبة البسيلي إليها أسعفني مخطوط خاص بهذا الأمر، فوجدت فيه ما نصه: «البسيلي، منسوب إلى

(278) نقلا عن «تراجم المؤلفين التونسيين» (103/1).

(279) «تراجم المؤلفين التونسيين» (103/1).

(280) انظر «التقييد الكبير» : القسم المطبوع (254/2). والقسم المخطوط؛ عند تفسير الآية 28 من سورة الذاريات.

بَسِيلَةَ، وهي قرية من قرى الأندلس، أظنها على قرب من غرناطة»[281]. ولعلها مثوى أسرة البسيلي قبل أن ينزحوا إلى تونس.

ومن سلف البسيلي :

1 ـ أبوه : أبو عبد الله محمد البسيلي :

لم يأت في المعلوم من كتب الرجال عنه شيء، إلا أنه كان مهتبلا بالعلم، فحمل ابنه صغيرا إلى ابن مسافر ليجود القرآن، وتلك خصّيصة حمدها الولد للوالد فذكرها طيَّ تفسيره[282].

وأسعفنا «محاذي مختصر ابن عرفة»، بأن ظفرنا فيه بتحليةٍ، جعلتنا منضافة إلى اسمه المعروف، نظن أن لهذا الرجل شأنا بعد أن عثرنا على عَلَم يوافقه في الإسم والكنية والنسبة، والفترة الزمنية، في مخطوط نادر خاص، هو «تلخيص التلخيص»[283]، من سماع أحد تلاميذه عنه، نفَسُه عال، يزكي نص منه ما ذهبنا إليه بُدَاءة من رفض الإبدال في اسمه بين الباء والميم، إذْ ينسبه هذا النص إلى الأندلس ويجعله تبعا لذلك أندلسيا، والتلميذ المجهول الذي أسند هذا النص تلميذ لابن مرزوق والبسيلي الأندلسي، ولكنه لم يأخذ عنه إلا خارج الأندلس، فليس يبعد أنه تلقى عن الرجل بعد أن نزح من غرناطة إلى تونس، حين فساد الأحوال في الأندلس، وإليك النصان :

ـ النص الأول :

«قال الشيخ الفقيه الإمام المتفنن، أبو العباس أحمد بن الشيخ الصالح الصدر أبي عبد الله محمد بن الشيخ»[284].

والصفة التي تستوقفنا في التحلية صفة الصدر، وليس تقال ـ والله أعلم ـ إلا لمن تصدر للعلم وأخذ عنه، وهي صفة تجعلنا نأنس إلى نسبة المؤلف المذكور إليه.

(281) «تلخيص التلخيص» (مخطوط خاص) : ورقة 1.

(282) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 139.

(283) أي : تلخيص لتلخيص «مفتاح العلوم».

(284) ديباجة «محاذي مختصر ابن عرفة الفقهي» للبسيلي : الورقة الأولى.

- النص الثاني :

بعد الحمدلة والتصلية : «... فهذا تلخيص التلخيص، أرجوا به الفوز في الجنان، ومثوبة الرحيم الرحمن، مما سمعته من الفقيه المحصل المحقق الحافظ المقدس المرحوم سيدي أبي عبد الله محمد الأندلسي، الشهير بالبسيلي... وقد قال شيخنا الرحلة العلم(285) سيدي أبو عبد الله محمد بن مرزوق، أنه كتب إليه من جزيرة الأندلس بأنه لم يترك بها أحفظ منه»(286).

وإذا ما وضعنا في الاعتبار أن ابن مرزوق ولد سنة عشر وسبعمائة (710هـ) وطوَّف البلاد للأخذ، ورجع إلى الغرب سنة سبع وثلاثين (730هـ) فأقام، ثم صُرِف إلى الأندلس إلى أن استدعاه أبو عنان إلى تونس سنة أربع وخمسين (754هـ)،حيث يصدُقُ عليه حينَها قول صاحب التلخيص إنه كُتِبَ إليه من جزيرة الأندلس، بأنه لم يترك بها أحفظ من البسيلي، فإن عمره حينها يكون أكثر من أربع وأربعين سنة، وهو أهل ليؤخذ عنه. وإذا ما اعتبرنا أيضا أن أول ما أخذ المنكِّت عن ابن عرفة، كان ذلك سنة 783 هـ، وأن عمره على الأقل خمس وعشرون سنة، علمنا أن أباه كان حيا على التقدير سنة 758هـ، وهي سنة تاتي بعد سنة 754هـ، حيث يحتمل أن يكون هو المقصود بقول الملَخِّص.

ولكنْ يشغِّب على هذه الاحتمالات أن المتبادر مما نعرف عن سلف البسيلي وأفراد أسرته المذكورين بعدُ أنهم قطَّان تونس، وأن ورودَهم من الأندلس إن كانوا منها كان قبل القرن السابع بكثير. وأيا ما يكون، فالبسيلي نفسُه يورد حكاية دالة على اتصال أسرته بابن مرزوق ـ سنذكرها بعد ـ مما يجعل القطع بيقين في هذا الأمر معروضا للشك.

2ـ جده : أبو العباس أحمد البسيلي :

حلاَّه ناسخ «المحاذي»(287) بالشيخ الصالح.

---

(285) انظر إلى البون الشاسع بين التحليتين، على ما نعلمه ونتحققه من إمامة ابن مرزوق.

(286) «تلخيص التلخيص»، مما سمعه أحد التلاميذ من أبي محمد البسيلي (مخطوط خاص) : الورقة الأولى. والناسخ أحد تلامذة المنجور كما تبين لي بعد قراءة إحدى الحواشي، فيكون تاريخ النسخ التقريبي لهذا المخطوط ما بعد 995 هـ تاريخ وفاة المنجور؛ وقد حشى عليه في أحد المواضع من قرأ الكتاب، وساق نقلا ثم كتب عقيبه : «من خط سيدي أحمد بن مبارك اللمطي رحمه الله».

(287) الورقة 1.

3 - جده لأبيه : أبو إسحق إبراهيم البسيلي (ت 759هـ) :

إمام جامع الزيتونة. ذكره الوزير السراج[288]؛ وخطيبه أيضا، حلاَّه ابن عرفة بالشيخ الصالح[289]. دفن بمقبرة عرفت باسمه، ودفن فيها ابن أخته عبد العزيز البسيلي[290].

عرض له البسيلي بالذكر عند قوله تعالى : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[291] وقال : «وهو جدي لأبي ... ومما يحقّق صحة اتصال نسبي بالشيخ أبي إسحق المذكور، أني لما أردت تجويد القرآن العزيز وأنا صغير، مضيت مع والدي إلى الشيخ المقرئ أبي عبد الله محمد بن محمد بن مسافر العامري... فوجدناه جالسا بإثر صلاة الظهر وحده ليس معه أحد، ولم يكن ذلك وقت جلوسه، فلمّا رآني قال : تكون فلانا ؟. قلت : نعم - ولم يكن يعرفني قبل ذلك - فقال : إني البارحة رأيت وأنا نائم الشيخ أبا إسحق المذكور... فقال لي : إن حفيدي يأتيك غدا ليجود عليك القرآن فاحتفظ عليه»[292].

نقل ابن عرفة أن أبا إسحق هذا ذَكَرَ في الخطبة لفظَ النفس في الله تعالى، فأنكر ذلك عليه الفقيه أبو عبد الله محمد بن مرزوق، فردَّ عليه بقوله تعالى : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، فَسَكَتَ وسلَّم له[293].

4 - عم والده : أبو فارس عبد العزيز البسيلي (ت 28 شعبان 784هـ) :

ولولا أنْ أتى على ذكره البسيلي في نكته ما عرفناه، وسياقُ ذكْرِهِ التدليلُ على بعض مناقب ابن عرفة وثبوت فضله حتى في الرؤى، كالرؤيا التي أسندها المنكِّت المنبِّه عن قريبه، قال : «وَ أخبرني عنهُ عم والِدِي، الشَّيخُ الصَّالِحُ الزَّاهِدُ العَابِدُ أَبُو فارِسٍ عبدُ العزيزِ البَسِيلِي؛ أنه رَأَى في نَوْمِهِ بعضَ مَنْ كَانَ مُعَاصِراً لشيخِنَا ابنِ عَرَفَةَ، وَهُوَ الشَيخُ الفقيهُ المفْتي القاضِي أَبُو العبَّاسِ أحمدُ بنُ حَيْدَرَةَ - وكَانَ في نفسِهِ مِنْهُ شيءٌ - فقالَ له : اطلُبْ لي مِنْهُ المُحَالة لأنِّي رأيتُ لهُ منزلةً عظيمةً عندَ اللهِ تَعَالى، فقال له نعم. قالَ لي

(288) «الحلل» (1/ق3 : 6).

(289) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 138–139.

(290) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 783.

(291) المائدة : 116.

(292) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 139.

(293) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 138–139. وعقب البسيلي على الحكاية بقوله: «ولا يؤخذ ذلك من الآية؛ لأنها على معنى المشاكلة،» مثل ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾.

العَمُّ: فالْتَقَيتُ بالشيخ ابنِ عَرَفَةَ وأخبرتُهُ بذلك، فقال لي : الْمُلْتَقَى بيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى. وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلك»[294].

وتحليةُ البسيلي لعَمٍّ والده بالشيخ الصالح الزاهد العابد، بعيدةٌ عن مظنة القرابة، وليس هو بالغمْر حتى يخلِّد في كتابه ذكْرَ من لا يشرفُ بذكره؛ ناهيك عن أن القصة تشي بالدالَّة التي للعم على الشيخين الكبيرين، الأكبرِ من مجرد المعرفة، فهو شفيعٌ أهلٌ لابن حيدرة ـ حتى وإن كانَ ذلك في المنام! ـ، ودانٍ إلى ابن عرفة ودودٍ إلى حدٍّ يسمح له بأن يقُصَّ عليه رؤاه، ونحن نعلم أن الرؤى لا تُقَصُّ إلا على الأخلاء. وليس من شك عندي في صلاح هذا العم، لأن الرؤية التي رآها، حتى على فرض عدم صحتها دليلٌ على حسن طويته، وسعيِه الحثيث إلى إصلاح ذاتِ بَيْنِ الرجلين، وأنْ يستحلَّ لأحدهما مظلمة الآخر.

وأخيرا فالقصة سيقت أصالةً للترفيع بابن عرفة، وذكْرُ العمّ فيها عارضٌ، فلم يكن مقصودُ المنكت التكثُّرَ بأهله، ولو شاء لتحدث عن نفسه، ولم يفعل... وليته !.

وفي ثنايا «التقييد الكبير»، عند تفسيره للآية 28 من سورة الذاريات، نجد ما نصه :

«قال كاتبه : وأخبر ابن عم والدي[295] وهو الشيخ الصالح العابد الزاهد أبو فارس عبد العزيز البسيلي أنه حين صلاته بالليل يرى الملائكة تدخل عليه ببيته وتسلم عليه في صفة طيور ذوي أجنحة[296].

قلت : ولما توفي رحمه الله، صبيحة يوم الخميس 28من شعبان عام 784هـ، رأيت كأني بين السماء والأرض، وإذا برُقْعة هابطةٍ من السماء فيها مكتوب بخط بَيِّنٍ : عبد

(294) «نكت وتنبيهات» (ن خ ع ق 271) : 5–و.

(295) «نكت وتنبيهات» : «عم والدي». و النسخ مضطربة كثيرا في هذا الموطن.

(296) الأخبار طافحة برؤية الصحابة للملك وسماعهم كلامه، ومن الدليل على جوازه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ التِي كُنتم تُوعَدُون﴾ الآية، فإن فيها نزول الملك على غير الأنبياء في الدنيا وتكليمه إياه. وقال ابن العربي في «قانون التأويل» : ذهبت الصوفية إلى أنه إذا حصل للإنسان طهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق وحسم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس والإقبال على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا كشفت له القلوب ورأى الملائكة وسمع كلامهم واطلع على أرواح الأنبياء والملائكة، وسماع كلامهم ممكن للمومن كرامة وللكافر عقوبة».
وانظر للتفصيل «روح المعاني» (22/40–41).

العزيز البسيلي من أهل الجنة !. ودُفِنَ رحمه الله بمقبرة خالِه الشيخ أبي إسحق إبراهيم البسيلي. قال لي شيخنا أبو مهدي عيسى الغبريني : لَمْ أَرَ أحدا في زماننا على طريق السلف غيرَه»[297].

وشهادة الغبريني في هذا الرجل، دالة على فضله ونبله.

وهؤلاء المذكورون قبْلا من آل البسيلي بالبتِّ، والذين يلونهم بعدُ، هُم ممن اتفقت نسبتُهم مع البسيلي، ولا يُدرى قدْرُ الوشيجة الجامعة بينهم؛ فمنهم :

– **أبو محمد عبد الله بن محمد البسيلي، الملقب بجمال الدين (ت 744هـ)** :

فقيه أصولي ترجمه الونشريسي في وفياته[298]. عثرت له على تأليف في أصول الفقه، سماه «غاية المحصول»، لا تزال مكتبة السليمانية بتركيا قسم الفاتح، تحتفظ بالجزء الثاني منه، تحت رقم 1362، في 380 صفحة[299]، ولعله أن يكون شرحا لمحصول الرازي؛ وله أيضا شرح مختصر منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، يوجد الجزء الأول منه مخطوطا بمكتبة المسجد الأقصى - انتقذه الله من براثن الصهاينة الغاصبين - رقم 65، نسخه محمد بن عبد الغني الخزامي الحنبلي بتاريخ 766هـ، عدد أوراقه 214، مقياسه 18 x 25.5[300] ولسنا نعرف لهذا البسيلي صلة بصاحبنا.

– **أبو محمد البسيلي** :

أندلسي من تلامذة ابن رُشَيْد، كان صديقا لابن البرذعي؛ حسبما أفادته حكاية للمقري[301].

– **أبو عبد الله شهاب الدين أحمد البسيلي** :

لم يَرِدْ له ذكر في أي المصادر، ولكننا استدللنا عليه بما كتبه أحد من تملكوا نسخة «نكت وتنبيهات» (خ ع ق 271) على ظهرها، والكنية واللقب المذكوران، مما يعد

(297) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 783.
(298) «موسوعة أعلام المغرب» (639/2)؛ «وفيات الونشريسي» (113).
(299) «مخطوطات جزائرية في مكتبات إسطنبول» (159–160).
(300) فهرس مخطوطات مؤسسة إحياء التراث الإسلامي بالقدس الشريف: موقعها على الإنترنت.
(301) ن «أزهار الرياض» (242/4). ونقلها بدوره العباس بن إبراهيم في «الإعلام» (361/9).

أن يقترحه المرء من تلقاء نفسه[302]، فالمتملك لا شك وقف عليهما في كتاب أو غيره، فتوهم أن شهاب الدين صاحبنا وهو غيره؛ وليس يبعد أن يكون من أسرته.

وهناك غير هؤلاء، بسيلي آخر، ليست بينه وبين صاحبنا شبهة صلة، وهو أسد بن البسيلي ثم القاهري، ترجم له السخاوي[303].

(302) إلا أن يكون ذلك اصطلاحا لدى المشارقة في تكنية الأحمدين بعبد الله، وتلقيبهم بشهاب الدين؛ والله أعلم.
(303) «الضوء اللامع» (279/2).

المبحث الثالث :

مولده ووفاته

أ. مولـــده :

ضربت المصادر صَفْحاً عن أن تذكر تاريخ ولادة البسيلي أو مكانها، وهذا أمرٌ يكثر في تراجم الرجال، وليست علَّتُه دائما تواضع أسرة العلم أو خمول ذكرها، فليس علينا من حرج إذن أن لا ننسب عدم الإشارة إلى تاريخ مولده إلى ذلك.

وقد حاول الأستاذ محقق «التقييد الكبير» تقدير مولده فقال : «يمكن تقدير مولده، وذلك أنه قدم تونس سنة (785هـ) وتوفي بها سنة (830هـ)، فتكون مدة إقامته بها خمسا وأربعين سنة مضافة إلى إقامته بتونس، فيكون مجموع عمره سبعين سنة تقريبا، تطرح من تاريخ وفاته عام (830هـ) فتكون ولادته : (760هـ)»[304].

وليس ينازع أحد حق الدكتور في التقدير، إذْ هذا المسلك مطروق، وما هو بأبي عذره، ولا بالمبتدع فيه، ولكني آخذ عليه تجانفه عن الصواب، حين أثبت تاريخ الولادة الإفتراضي على صفحة عنوان «التقييد الكبير» غفْلاً عن أي إشارة إلى كونِهِ افتراضيا، وكان يكفيه لوْ جعل على يسار هذا التاريخ علامةَ استفهام أو صدَّرَه بكلمة : «نحو» أو «في حدود» أو غيرها مما يحول بين القارئ وبين تَلَقُّفِهِ تاريخ مولده هذا، حقيقةً تاريخية، ثقة بالباحث ورُكُونا إليه.

ب. وفـاتـه :

عدا السخاوي الذي يجعل وفاة البسيلي متأخرة إلى سنة 848هـ[305]، فإنَّ كل مترجميه يثبتون تاريخ وفاته في سنة 830هـ.

---

(304) «التقييد الكبير» (34/1).

(305) «الضوء اللامع» (261/2).

المبحث الرابع :
شيوخه

تتلمذ البسيلي لجملة من الشيوخ، لهم يد طولى في العلوم الشرعية، وحظ وافر من الرسوخ، على ناصيتهم شيخ الإسلام بتونس الإمام ابن عرفة، الذي به تخرج وتفقه ولولاه ما عرف؛ فمنهم :

1 - **أبو عبد الله محمد بن محمد بن مسافر العامري** (بقيد الحياة سنة 786هـ) :

شيخ مقرئ، جلس للإقراء بتونس بمسجده قريبا من القْباقبيين؛ أقدّر أنه ثاني من أخذ عنه البسيلي بعد المكتِّب، تلقى عنه التجويد؛ وحدّثنا عن بداية ذلك فقال : «ولما أردت تجويد القرآن العزيز - وأنا صغير - مضيتُ مع والدي إلى الشيخ المقرئ أبي عبد الله محمد بن محمد بن مسافر العامري، بمسجده الذي كان يقرئ به قريباً من القباقبيين، فوجدناه جالسا بإِثْر صلاة الظهر وحدَه ليس معه أحد، ولم يكن ذلك وقتَ جلوسه، فلما رآني قال : تكون فلانا ؟ قلت : نعم - ولم يكن يعرفني قبل ذلك - فقال : إني البارحة رأيت وأنا نائم الشيخ أبا إسحق... [يعني جد البسيلي لأبيه] في مسجد الحنابليين فقال لي : إن حفيدي يأتيك غدا ليجوِّد عليك القرآن فاحتفظ عليه»[306].

وسيطولُ العمر بالشيخ - إن تمحَّض أنه هو - حتى يكاتِفَ تلميذَه يأخذان معاً عن ابن عرفة، فقد ذكر البسيلي عند الآية 80 من سورة يوسف في «نكت وتنبيهات»[307] الصغير : «هذا عشر يوم السَّبت، سابع شهر شعبان، منْ عامِ ستّةٍ وثمانينَ وسبعِمِائةٍ؛ وابْتَدَأَ قراءَةَ العشرِ والحديثِ مِنْ هَذَا اليَوْمِ، الفقيهُ أبُو عبدِ اللهِ بنُ مُسَافِرٍ، عِوَضاً عَنْ سَيِّدِي عِيسَى الغُبْرِينِي».

(306) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 139.
(307) «نكت وتنبيهات» (ن خ ع ق 1271 : 66ظ.

2ـ أبو العباس أحمد ابن القصار (حي في سنة 790هـ) :

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، شهر بالقصَّار الأزدي التونسي، من علمائها، عاصر ابن عرفة، كان على ما قيل إماما علامة محققا[308]؛ تتلمذ له ابن خلدون، وقال فيه إنه كان ممتعا في صناعة النحو[309]، متقدما فيه. له:

– **شرح شواهد المقرب**[310] : ولاشك أنه نحوي لغوي أريب حتى يُقْدِم على شرح هذه الشواهد البالغة 355 شاهدا[311]، قال التنبكتي عن الكتاب إنه نفيس جدا في مجلد[312]، ولعله وقف عليه، وعبارته تشي بذلك.

– ونسب له القرافي[313] **تحشية على الكشاف**[314]؛ وهو أهل لذلك؛ فقد حكى الرصاع عن بعض شيوخه قوله : «إن آخر من كان يقرئ سيبويه بالحضرة الشيخ أبو العباس أحمد القصار»[315]؛ وقد بقيت لنا قطعة صالحة من هذه الحاشية، في خزانة الجامع الكبير بمكناس، رقم 37، تبتدئ بشرح سورة مريم، وبداخلها بتر، أوراقها 318 ورقة[316].

– وله أيضا **شرح حسن على البردة**[317]؛ استطاع أن يسْلَمَ من أيدي الحدثان، فقد وصلنا مخطوطا ثاويا بدار الكتب الناصرية، تحت رقم 1614[318]؛ إلا أن فيه اسم المؤلف محمد بن عبد الرحمن الأزدي القصار، بإسقاط أحمد، وإثباته لازم، لأن تلميذَه ابن خلدون نسب هذا الشرح له[319].

---

(308) «نيل الابتهاج» (107)؛ «كفاية المحتاج» (1/100؛ رت: 38)؛ «أعلام المغرب العربي» (4/403).

(309) «التعريف بان خلدون» (19).

(310) يعني مقرب ابن عصفور في النحو، وهو مطبوع. والذي ورد عند السراج أنه شرح «شواهد المغني» فلعل في الأمر تصحيفا أو أنه شرح شواهد الكتابين معا. انظر «الحلل» (1/ق 3 : 662).

(311) انظر فهارس «المقرب» (2/211–236).

(312) «نيل الابتهاج» (107).

(313) «توشيح الديباج» (ت ر : 55).

(314) «كفاية المحتاج» (1/100)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (86).

(315) «فهرست الرصاع» (140).

(316) «فهرس المخطوطات المحفوظة في خزانة الجامع الكبير بمكناس» (مخ رقم 37).

(317) «التعريف» (19)؛ «النيل» (107)؛ «كفاية المحتاج» (1/100)؛ «الحلل» (1/ق 3 : 662)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (4/86).

(318) «دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية» (96).

(319) إلا أن يكون ابن خلدون واهما، فيكون المؤلف هو أبو عبد الله محمد بن القصار، الموصوف في «أزهار الرياض» (5/73)، بالأستاذ.

وقد تتلمذ له ابن مرزوق الحفيد والبسيلي[320]. ومن أدلِّ الدلائل على تلمذة البسيلي للقصار، أنه نقل عنه في «التقييد الكبير»[321] وصرح بأنه شيخه، وذلك عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوا كَمَ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن القُرُونِ أَنَّهُمْ إليهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾[322]، حيث قال: «قال ابنُ خَروف في «شرحه»[323] يريد أنه بَدَلٌ من المعنى، كقولك «عرفت زيدا أبو من هو»، أي: عرفت كنية زيد أبو من هو. وكذلك هذا بدل من المعنى، انتهى... قال الزمخشري: لأنّ عدمَ الرجوع هو بمعنى الإهلاك، والكونُ يصدق على الكثرة وعدمِها، فهو لا ينافي الكثرة، فيصحُّ أنه بدلُ شيء من شيء، وبدليل قولِ الزمخشري في الوجه الذي بعده: والبدل على هذه القراءة بدلُ اشتمال. ويظهر من كلامه أن تمثيله بـ«ألم يروا كثرة إهلاكنا» تمثيلُ معنىً لا تمثيلُ إعراب، وليس مراده البدل على هذا المعنى، بل بدل الاشتمال يتنزل على تفسير الإعراب، وهو: «ألم يروا كثيرا أهلكنا»، وهذا على أن شرط الإضافة في بدل الاشتمال فيه نظر، هل هو مُطَّرِد في جميع بدل الاشتمال أو إنما هو اتفاقي. قال شيخنا أبو العباس بن القصار: ولا أعلم أحدا شَرَطَ ذلك من النحويين».

وقد نَدَّ عن المؤرخين ضبطُ تاريخ وفاة ابن القصار، فذكروا أنه كان حيا بعد 790هـ[324]؛ وعليه يحتمل أن يكون أخذ البسيلي عنه قبل هذه السنة، والبسيلي لا يزال شابا، ومن ثم لا يُشْكِل ما نُلفيه في «الكبير»، من العَزْوِ إليه بعد القول «وقال صاحبنا الأستاذ أبو العباس أحمد ابن القصار»[325]، إذْ يكونُ ذلك من قول ابن عرفة لا من قولِ تلميذه.

3- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى البطرني الأنصاري التونسي (703- 793هـ)[326]:

يكنى بأبي الحسن أيضا[327]. الأستاذ الفقيه المميز الخطيب الصالح[328]، زاد البرزلي: الراوية المحدث المسن المقرئ[329]، محدث تونس.

---

(320) «الحلل السندسية» (1/ق 3 : 662-663)؛ «النيل» (107)؛ «كفاية المحتاج» (100/1).

(321) ن خ ع ق 611) : 636. وأظنه نقل عنه من حاشيته على «الكشاف».

(322) يس : 31.

(323) أي لسيبويه؛ ومنه مجلد ضخم بخزانة ابن يوسف بمراكش، وهو الجزء الرابع، كتب بخط أندلسي فائق النفاسة.

(324) «تراجم المؤلفين التونسيين» (86/4)؛ «مقدمة التقييد الكبير» (38/1)؛ وجميع المصادر السابقة.

(325) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 393.

(326) ترجمته في «وفيات الونشريسي» (132)؛ «طبقات المالكية» لمؤلف مجهول : 429و.

(327) ابن قنفذ : «والعامة تقول : عوض أبي الحسن أبا عبد الله، وهو أخبرني بالكنية الأخرى ببلده مدينة تونس» من «الوفيات» (378).

(328) «وفيات ابن قنفذ» (378).

(329) «كفاية المحتاج» (97/2).

قال أبو الطيب ابن علوان : سيدنا وولي الله ابن الحافظ أبي العباس، كان إماما راوية متقنا مشاورا أصيلا خطيبا[330].

أخذ عن والده أبي العباس البطرني[331] وماضي بن سلطان، خديم أبي الحسن الشاذلي، يروي عنه أحزابه[332]، وأجازه من المشرق نور الدين ابن فرحون (ت 746هـ)[333] والعز ابن جماعة.

وأخذ عنه أبو عبد الله بن علوان المصري[334] وأبو القاسم البرزلي[335] وأبو عبد الله محمد بن أحمد الوانُّوغي[336]، وأبو العباس أحمد ابن قنفذ القسنطيني، أخذ عنه بتونس سنة 777هـ[337]، ونقل عنه في «أنس الفقير وعز الحقير»، سندَه في أدعية الشاذلي، قال: «أخذتها عن الخطيب أبي الحسن محمد بن أحمد الأنصاري شُهر البطرني عن الشيخ أبي العزائم ماضي بن سلطان عن الشاذلي».

وذكر الشيخ مخلوف أن ابن خلدون أخذ عنه، ولم يذكر ذلك في "التعريف"، وإنما ذكر والده أبا الحسن البطرني عرَضاً في عِداد شيوخ أبي عبد الله محمد بن سعد بن بُرَّال الأنصاري، شيخِ ابن خلدون في القراءات[338].

ومن إنشاداته ما ذكر البرزلي أنه أنشده شيخه الشيخ الصالح أبو الحسن محمد البطرني عن شيخه أبي عبد الله عن شيخه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن حيان لنفسه رحمه الله في سنده لكتاب «الشفاء» :

أَأَحْبَابَنَا هَذَا الشِّفَا ... بِالْقُرْبِ فِي سَنَدِ الشِّفَا
بَيْنِي وَبَيْنَ عِيَاضِهِ ... شَيْخَانِ مِنْ أَهْلِ الصَّفَا

---

(330) «كفاية المحتاج» (97/2).

(331) قلت : أخذه عن والده مشكل؛ لأن والده توفي سنة 710هـ، فيكون أخذه عنه وله من العمر 7 سنوات فأقل، وليس يدرى أيَّ الذي أخذه عنه، مبادئ القراءة أم فنون العلم ؟. وانظر في ترجمة أبي العباس البطرني «كتاب العمر» (1/153–154).

(332) «كفاية المحتاج» (97/2)؛ «مقدمة الفارسية» (62).

(333) هو والد ابن فرحون صاحب «الديباج»، ترجم له فيه ابنه (307–308؛ رت : 412).

(334) «الحلل» (1 / ق3 : 682).

(335) «كتاب العمر» (784/2)؛ وذكر ثمة أنه جالسه فحسب.

(336) «الحلل» (1/ق3 : 678؛ 679).

(337) «الوفيات» (378).

(338) راجع «التعريف» (17).

شَــرَفُ الــوجُــودِ بــأسْــرِهِ قُــرْبُ الــنَّــبِــي الــمصْــطَــفَــى
صَــلَّــى عــلــيــه الــلــهُ مَــا شَــفَــعَ الــحــبِــيــبُ وشــرّفَــا[339]

توفي عن سن عالية سنة 793هـ.

نقل عنه البسيلي في «التقييد الكبير»، عند قوله تعالى: ﴿فَلَن أكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[340].

4. أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي[341] (716 - 803هـ)[342]:

ذكره أبو حامد ابن ظَهَيرة في «معجمه» وأثنى عليه ثناء جميلا. قرأ بالروايات على أبي عبد الله محمد بن محمد بن سلامة وغيره، وبرع في الأصول والفروع والعربية والبيان والمعاني والقراءات والفرائض والحساب، وسمع من ابن عبد السلام الهواري

(339) «فهرست الرصاع» (170مكرر ثاني). وهذا من شرط المقري في «أزهار الرياض» في الروضة الخامسة: «روضة النسرين في تآليفه العديمة النظير والقرين» (4/271–342).

(340) انظر (ن خ ع ق 611): 572.

(341) مصادر ترجمته:

«محاذي مختصر ابن عرفة الفقهي» للبسيلي: (ورقة 1)؛ «التقييد الكبير» ن خ ع ق 611: (69–70)؛ (596–597)؛ «نكت وتنبيهات» ن خ ع ق 271: (106 - ظ)؛ «فهرست المنتوري» (مخطوط خ م أول مجموع، رقم 1578: 239و)؛ «طبقات المالكية» لمؤلف مجهول (395ظ–399ظ)؛ «الفارسية» (197)؛ «برنامج المجاري» (138–147): ترجمة أصيلة؛ «تاريخ الدولتين» (63؛ 69؛ 86-87؛ 95)؛ «درة الحجال» (2/280–283)؛ «شجرة النور» (227)؛ «الحلل السندسية» (1/ق3: 577-594)؛ «الديباج المذهب» (419–420؛ رت: 585)؛ «الأعلام» للزركلي (7/43)؛ «تاريخ إفريقية في العصر الحفصي» لروبار برنشفيك (2/307–308)؛ «وفيات ابن قنفذ القسنطيني» (379–380: طبعة نويهض)؛ «وفيات الونشريسي» (134)؛ «لقط الفرائد» (231)؛ «الضوء اللامع» (9/240–242)؛ «غاية النهاية» (2/243؛ رت: 3422)؛ «طبقات المفسرين» للداودي (2/235–237؛ رت: 569)؛ «تفسير الإمام ابن عرفة برواية تلميذه الأبي» (1/11–24)؛ «توشيح الديباج» (251؛ رت: 277)؛ «بغية الوعاة» (1/229–230؛ رت: 414)؛ «التعريف بابن خلدون» (249)؛ «الفكر السامي» (القسم 4: 293 - 294؛ رت: 656)؛ «المحاضرات المغربيات» (16–17)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (3/363–371)؛ «ذيل التقييد» للتقي الفاسي (1/401؛ رت: 461)؛ «كفاية المحتاج» (2/99–108؛ رت: 49)؛ «عنوان الأريب» (1/334–335)؛ «شرح حدود ابن عرفة» (2/692–694)؛ «فهرست الرصاع» (في كل أطواء الكتاب؛ مع تعليق العنابي: 73–83)؛ «ملتقى الإمام ابن عرفة»: «الإمام ابن عرفة في مجلس درسه» لمحمد الصادق بسيس (413–440)؛ «تفسير ابن عرفة ورواياته»، لسعد غراب (381–386)؛ «كتاب العمر» (2/762–768).

(342) عثر الشيخ محمد الصادق بسيس على نقش مكتوب على قبره، وأثبته في بحثه «الإمام ابن عرفة في مجلس شيخه»، ضمن «ملتقى الإمام ابن عرفة» (440).

«الموطا» والفقه والأصول، ومن الوادي آشي «الصحيحين»[343]، وكان رأسا في العبادة والزهد والورع، ملازما للشغل بالعلم، رحل إليه الناس وانتفعوا به، ولم يكن في المغرب من يجري مجراه في التحقيق ولا من اجتمع له في العلوم ما اجتمع له. وكانت الفتيا تأتي إليه من مسافة شهر.

ووقع في «أزهار الرياض» : «وأما الإمام ابن عرفة، فانتفع به جماعة. وكان أصحابه كأصحاب سحنون؛ أئمةً في كل بلد، فمنهم أيضا من بلغ درجة التأليف ووقع الإتفاق على إمامته، وتقدمه وسمو رتبته[344]... وأمَّا من نجب من تلاميذ شيخ شيوخنا ابن عرفة، وتمكن من ملكة التعليم، فخَلْق يطول عددُهم، فمنهم من أدركناه وأخذنا عنه وأجازنا مروياته، ومنهم من لم ندركه»[345].

وقد حلَّى ابنَ عرفة، أبو عبد الله المجاري الأندلسي(ت 862هـ)، بالشيخ الفقيه المفتي المحدث الراوية، إمام أهل زمانه في فتح أقفال المشكلات، وكشف نقاب الشُّبَهِ المعْضِلات[346].

وهذا أبو العباس أحمد بابا التنبكتي في كفايته، يعد ابن عرفة مجدد القرن الثامن؛ وذلك حيث قال : «ابن عرفة... إمام المغرب وشيخ الإسلام العلامة المحقق القدوة النظار العالم المبعوث على رأس المائة الثامنة، حسبما ذكر السيوطي في نظمه رحمه الله»[347].

ولعل كلام التنبكتي يوهم أن السيوطي عدَّ ابن عرفة مجدد القرن الثامن، والواقعُ خلافُه فهو - أي السيوطي - في منظومته «تحفة المهتدين بأسماء المجددين»[348]، إنما يذكر البلقيني والعراقي :

والـثـامـنُ الـحَـبْـرُ هـو الـبُـلْـقِـيـنِـي ... أَوْ حـافـظُ الأنـام زَيْـنُ الـدِّيـن[349]

---

(343) «الحلل السندسية في الأخبار التونسية» (578/1).

(344) (25/3).

(345) «أزهار الرياض» (26/3).

(346) «برنامج المجاري» (138).

(347) «كفاية المحتاج» (99/2)؛ «نيل الإبتهاج» (274-279) بهامش «الديباج».

(348) انظر «أزهار الرياض» (57/3).

(349) لربما يرتفع الإشكال بما ساقه المقري في «الأزهار» (56/3) حين قال: «وسمعت شيخنا أحمد بابا السوداني التنبكتي، أبقى الله جلاله، وأدام عزته، وحفظ خلاله يقول : إن ذلك يكون في كل قطر بحسبه، وليس من شرطه أن يعم الدنيا أو غالبها، والله أعلم». فيتبين حينها المراد من الإشارة إلى نظم السيوطي، قول هذا الأخير : =

وعلى كثرة المترجمين لابن عرفة، تبدو ترجمة البسيلي له أصيلة من حيث إنه تلميذه، وباعتبار أنها كتبت بعد وفاته، فهي شهادةٌ حية لا يخامر الشكُّ في صدقها؛ ناهيك عن اهتمامها بالجانب الوجداني والاجتماعي الذي تغفل عنه كتب التراجم غالبا. وهذا سياق نصين من «نكت وتنبيهات»، ونص ثالث من «التقييد الكبير» تترجم كلها لابن عرفة[350].

– النص الأول :

«قلت : وولد شيخنا أبو عبد الله محمد بن عرفة سنةَ ستَّ عشْرَة وسبعمائة، وتوفي رحمه الله ضَحْوَةَ يوم الثلاثاء، الرابع والعشْرينَ لشهرِ جُمَادَى الأُخْرى، عام ثلاثة وثمانمائةٍ، ودُفِنَ بعد صلاة الصبح من يومِ الأربعاء غَدَ تاريخِه، وله من العمر ستَّةٌ وثمانونَ عاماً وأَشْهُر؛ وحج حجة الفريضة؛ كان خروجه لذلك من تونس بعد صلاةِ الظهر مِنْ يومِ الإثنين الحادي والعِشْرينَ لشهرِ جُمَادَى الآخِرَةِ من عام اثنين وتسعين وسبعمائةٍ، وقد كان بلغ في تفسيرِ القُرآنِ إلى قوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، ورجع من حجه فدخل تونس يوم الثُّلاثَاءِ، التاسع عشَرَ لشهر جمادى الأُولى، مِن عام ثلاثة وتِسْعِيَن وسبعمائةٍ قرب الزوال. وحَبَّسَ قبل موته كثيراً من الرّبَاع، وتصدق قرب موته بمالٍ كثيرٍ، وترك موروثا عنه ما قيمته ثمانيةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينارٍ ذَهَباً كبيرة، ما بين عَيْنٍ ودراهم وحُلِيٍّ وطعام ورِباع وكتب؛ وكان رحمه الله مستجاب الدعاء.

وَممَّا رأيت من بركته، أنِّي كنتُ أجلسُ قُبَالَتَهُ بمجلسِ تدريسِه، فرُبَّمَا تكلَّمَ مَعِي بِمَا يقع في خاطِرِي.

وَ أَخبرني عنهُ عم والِدِي، الشَّيخُ الصَّالِحُ الزَّاهِدُ العَابِدُ أَبُو فارسٍ عبدُ العزيزِ البَسِيلِي، أنه رَأَى في نَوْمِهِ بعضَ مَنْ كَانَ مُعَاصِراً لشيخِنَا ابنِ عَرَفَةَ، وَهُوَ الشيخُ الفقيهُ المفْتي القاضِي أبُو العبَّاسِ أحمدُ بنُ حَيْدَرَةَ ـ وكَانَ في نفسِهِ مِنْهُ شيءٌ ـ فقالَ له : اطلُبْ لي منْهُ المُحَالَّةَ لأنِّي رأيتُ لهُ منزلةً عظيمةً عندَ اللهِ تَعَالى فقال له نعم. قالَ لي العَمُّ : فالْتَقَيتُ

=
والشرطُ في ذلك أن تمضِي المئه	وهْو على حياتِه بين الفئَهْ
يُشارُ بالعلم إلى مقامِه	وينصُرُ السنةَ في كلامِهْ
وأن يكونَ جامعاً لكل فن	وأنْ يَعُمَّ علمُه أهلَ الزَّمَنْ

(350) لم نُفِض في ترجمة ابن عرفة، وإن كانت تحتمل أكثر مما ذُكِر، لاحتفال المترجمين فيها، فلتنظر في أحد المظان المذكورة آنفا.

بالشيخِ ابنِ عَرَفَةَ وأخبرتُهُ بذلك، فقال لي: الْمُلْتَقى بيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعالَى. وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلك».

- **النص الثاني :**

«... عام ستة عشر، هو عام مولد شيخنا ابن عرفة، ولد ليلة سبع وعشرين من شهر رجب من العام المذكور... وتوفي... يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الأولى عام ثلاثة وثمانمائة، وله من العمر سبعة وثمانون عاما غير شهرين وثمانية أيام. ومن نظمه قرب وفاته :

بلغت الثمانين بل جزتها ... فهان على النفس صعبُ الحِمام
وآحادُ عصري مضوْا جملة ... وصاروا خيالا كطيف المنام
وأرجوا به نيل صدر الحديث ... بحب اللقاء وكره المقام
وكانت حياتي بلطف جميل ... لسبق دعاء أبي في المقام

... وأنشدني بعضُ أصحابنا تخميسَه بقوله :

علمت العلوم وعلمتها ... ونلت الرياسة بل حزتها
وهاك سنِينِيَ عدَّدْتُها ... بلغت الثمانين بل جزتها
فهان على النفس صعب الحمام

* * * * * *

فلم تُبْقِ لي في الورى رغبة ... ولا في العلا والنهى بغيةً
وهيهات أرجيهما لحظةً ... وآحاد عصري مضوا جملةً
وعادوا خيالا كطيف المنام

* * * * * *

ونادى الرحيل وما لي مغيث ... وحث المطية كل الحثيث
وإني لراج وحبي أثيث ... وأرجو به نيل صدر الحديث
بحب اللقاء وكره المقام

فيا رب حقق رجاء الذليل ليحظى بدارك عما قليل
فيمسي رجائي بموتي كفيلْ وكانت حياتي بلطف جميل
لسبق دعاء أبي في المقام»

- النص الثالث :

يطرِّز البسيلي ترجمة ابن عرفة بنص ثالث، أورده في «التقييد الكبير»[351]، وإليك سياقه :

«... وهذه الأسولة وأجوبتها وأمثالها مما ذكرنا في كتابنا هذا هو مما كان يقع بين الطلبة في مجلس شيخنا ابن عرفة رحمه الله، أو بينه وبينهم، وذلك مما يدل على علو مرتبته وعظم منقبته، ولذلك كان حذاق الطلبة يفضلونه على غيره من مجالس التدريس، وأنشدنا من نظمه في هذا المعنى :

إذَا لَمْ يَكُنْ فِي مَجْلِسِ العِلْمِ نُكْتَةٌ بتَقْريرِ إيضَاحٍ لمشْكِلٍ صُورَةِ
وعزوُ غريبِ النقْلِ أو حَلُّ مشْكلٍ أو إشكَالٍ أبْدَتْهُ نتيجةُ فكرَةِ
فَدَعْ سَعْيَهُ وانْظرْ لنفسِكَ واجْتَهِدْ وإيَّاكَ تَرْكاً فَهْوَ أقبَحُ خلَّةِ

ولتلميذه الفقيه أبي[352] عبد الله محمد بن خلفة[353] الأبي جوابا لها :

يميناً بمن أوْلاك أرفَعَ رتبةٍ وَزَانَ بك الدنيا بأكمل زينةِ
لَمجلسُكَ الأعلى الكفيلُ بكُلِّها على حينِ ما عنْها المجالسُ وَلَّتِ
فأبقاك مَن رَقَّاكَ للخلق رحمةً وللدِّين سَيْفاً قاطعا كلَّ بِدْعَةِ

وقد أساء الأدب بعض من ينتمي إلى العلم، ووصْفُ الجهل أليَقُ به، فذَمَّ هذا المجلس بشعر سخيف لا يليق كَتْبُهُ، ولم يشعر بقلْبِ النكتة عليه، حسبما قرّره الجدَلِيُّون، وقال فيه شيخنا :

وما حال من يهجو أخاه بلفظة كذا داكر المروي عند الأئمة
وعلم أصول الفقه والبحث والنظر سوى حال من قد ساءه قلب نكتة

---

(351) (ن خ ع ق 611 : 69 - 70).
(352) في النسخة : «أبو».
(353) في النسخة : «خليفة».

فـبـاء بـفسـق قـالـه سـيـد أتـى	بـذكـر وقـرآن ووعـظ وحـكـمـة
روى مسـلـم مـع شـيـخـه عـنـد قـولـه	سـبـاب لـذي الإسلام فسـق بـحـجـة
بصـغـرى وكـبـرى ينـتـجـان فسـوقـه	فـبـالـلـه أعـرض عـنـه وادفـعـه بـالـتـي»

تآليفه الموجودة :

- المختصر الفقهي :[354]

وهو أعظم آثاره؛ عرف بأسماء عديدة؛ منها : «المبسوط في الفقه»، «التقييد الكبير في المذهب»[355]، لم يُسبق به في تهذيبه وجمعِه وحدودِه وأنقِ أبحاثه[356]، لضبطه في المذهب مسائلَ وأقوالا مع زوائدَ مكمِّلة، والتنبيهِ على مواضع مشكلة، وتعريف الحقائق الشرعية[357]، ابتدأ تصنيفه عام اثنين وسبعين وكمله عام ستة وثمانين وسبعمائة[358]. وقد أقرأه ابنُ عرفة بتونس[359] والمشرق، ويحدِّدُ الدَّماميني تاريخَ سماعِه للمختصر بإقْرَاءِ مؤلفه بالإسكندرية سنة 792هـ[360]، حيث كان هو القارئ، وهو ينقلُ لنا حكايةً عن بعض ما كان يجوسُ خلال مناقشة ابن عرفة لطلابه، حين يساجل المؤلفَ من لا أَيْدَ له في العلم، مِن قصير يطاول، وضعيفٍ يُقَاوي؛ قال الدماميني : «كان شخص من الطلبة الموسومين بالتشدق والتّكثُّرِ بما لم يُعْطَ حاضرا بالمجلس، فَمَرَّ موضع من كلام الشيخ عائد فيه ضمير على مضاف إليه، فقال له ذلك الشخص بجرأة : النحويون يقولون : لا يعود الضمير على المضاف إليه، فكيف أعدتموه ؟. فقال الشيخ على الفور بلا تعلم : قال تعالى : ﴿كَمَثَلِ الحمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾[361]، ولم يزد على ذلك؛ وفيه من اللطف ما لا يخفى، ولا شك أن النحاة لم يقولوا ما نقل هذا الرجل»[362].

---

(354) «محاذي مختصر ابن عرفة» للبسيلي (ورقة 1)؛ «فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية» لجان فونتان (78).

(355) «كتاب العمر» (763/2).

(356) «كفاية المحتاج» (100/2)؛ «نيل الابتهاج» (464).

(357) «نيل الابتهاج» (466).

(358) «نيل الابتهاج» (468)؛ «الحلل السندسية» (1/ق3 : 587).

(359) يذكر الرصاع في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عقاب أنه قرأ على ابن عرفة مختصره الفقهي بلفظه. «فهرست الرصاع» (161).

(360) «نيل الابتهاج» (490).

(361) الجمعة : 5.

(362) «نيل الابتهاج» (490).

وقد جاء «المختصر» منسوجا على منوال واحد في عُمْق النظر وعلوِّ الحكم، كبقية تآليفِ ابن عرفة، إلا أنَّه هو الذي سُلِّم له الفوزُ من غير نظير[363].

والمميز في «المختصر» أن صاحبَه خرج بالفقه من المنهج التقليدي الذي رَسَخ في البيئة الثقافية الإفريقية إلى هذه الطريقة الجديدة، والمعتمِدة على جَمْعِ الأنظار الفقهية، ومقارنِتها واستخلاصِ النتائج منها، بحسب منهج البحث العلمي المؤسَّسِ على المنطق والأصول[364].

والحدودُ التي أُخِذَت عن المختصر بالغة الأهمية، إذِ اعتبرت عمدةً في ضبط المسائل وتعريف الحقائق لدى علماء المغرب والمشرق، حيث أنه ما مِنْ تأليف كلي أو بحثٍ فقهي في القرن التاسع وما بعدَه، يأخذُ في بسْط بابٍ من أبواب الفقه إلاَّ وهو معتمدٌ قبل كل شيء على إيرادِ تعريفِ ابنِ عرفة لتلك الحقيقة[365]. وقد أعانه على هذه الصياغة الدقيقة المحكمة التي أثارت الإعجابَ شغفُه بالمنطق، وله فيه مختصر مركز[366].

وقد قصد في تأليفه أمرين اثنين :

– الأول : جمعُ أقصى ما يمكن جمعُه من مسائلِ الفقه ليمكنَ الرجوعُ إليها في القضاء والفتوى جمعَ تحقيق وترجيح.

– الثاني : تعريف أبواب الفقه تعريفا دقيقا موجزا مدخلا ومخرجا[367].

وقد دفع تقدير الأبي لهذا التأليف أن يمدحه فقال ناظما :

أيا طالِبِي العلم يبْغون حفظَه ... هلُمُّوا فإنَّ العلمَ هانت سبيلُه
فهذا هُدِيتمْ للصوابِ ابنُ عَرْفَة[368] ... أتاكم بوضْعٍ لم يُشاهَدْ مثِيلُه
فدونكُمْ يُغْنِي عن الكُتْبِ كلِّها ... وإنْ قلَّ حجماً والعِيَانُ دليلُهُ
وحَلَّ من التَّحْقِيقِ أرفَعَ رُتْبَةٍ ... وهُذِّب مَبْنَاهُ فَصَحَّتْ نُقُولُه

(363) «حاشية في أعلام الفكر الإسلامي» لمحمد الفاضل بن عاشور (68).
(364) «التفسير واتجاهاته في إفريقية» (327).
(365) «حاشية في أعلام الفكر الإسلامي» (67).
(366) «الإمام ابن عرفة في مجلس درسه» لمحمد الصادق بسيس؛ ضمن «ملتقى الإمام ابن عرفة» (434).
(367) «الإمام ابن عرفة في مجلس درسه» (436).
(368) تسكين الراء هنا لضرورة الوزن.

وأَحْكَمَ مِنْ كُلِّ الحقائِقِ رَسْمَهَا فلا خَلَلٌ يُخْشى لديها حُلُولُهُ
وَرَدَّ مِن التخريج والنقْلِ وَاهِياً وأوْرَدَ تنْبيهاً فَحَقَّ قَبُولُه
كذا فليكُنْ وضْعُ التآليف لو يدم ولا غَرْوَ ذاك العلْمُ هَذَا قَلِيلُهُ
فإنْ جاء فَرْضاً من يُرِيدُ اعْتِرَاضَهُ فَدَعْ أَمْرَهُ إنّ التعسُّف قِيلُه[369]

لكن أليس غريبا أن يكون الكتاب بهذا القدر، فلا يكتب له الاشتهار الذي وسم «المختصر الخليلي» ؟. والجوابُ من وجهين :

1 ـ أنه شديد الغموض، وَصَفه بهذا ابن حجر[370]؛ وهو عيْنُ مُؤَدَّى حكايةِ القباب مع ابنِ عرفة حين اجتَمعا بتونس، فأراه ما كتب من المختصر الفقهي ـ وقد شرع في تأليفه ـ فقال له القبَّاب : ما صنعتَ شيئا. فقال له ابن عرفة : ولم ؟ فقال : لأنه لا يفهمُه المبتدي ولا يحتاجه المنتهي؛ فتغَيَّرَ وجهُ الشيخ ابن عرفة، ثم ألقى عليه مسائلَ فأجابه عنها. ويقال: إن كلامه هذا هو الحاملُ لابن عرفة أنْ ليَّن عبارته في أواخر كتابه[371]. بل إن استغلاقَه لم يَجُزْ على عامة الباحثين فحسب، بل تعداه إلى مؤلفه، حتى إنه في آخر عمره صار يصعب عليه هو نفسه بعض المواضع منه، كما وقع له في تعريف الإجارة[372].

والحقيقة أن الغموض لم يكن وحده علة خبوٍّ وهَج الكتاب، فمختصر خليل أغمض منه وأعوص، ولكن هناك سببا آخر، وهو التالي :

2 ـ أن الكتاب لم يكن من «مقررات» الوقت، وكان مغربيا فجنى عليه ذلك، فلم يرتفع له صوت في المشرق، بدليل أن كل شراحه على قلَّتهم مغاربة، يُبين ذلك أن فقهاء مصر في ق 9هـ كانوا يرفضون دراسة كتب ابن عرفة، هذا بهرام الدميري (ت 805هـ) شرح المختصر الخليلي شرحين، وكان شيخَ الشيخونية، ومعه فضلاء مغاربة، فطلب منهم تصحيحه بين يديه على عادة الشيوخ فأبوا عليه حسدا وقالوا : لانسمع كتبك ولا كتب شيخك و لا ابن عرفة، ولا نسمع إلا كتاب ابن عبد السلام فمن فوقه[373].

(369) «النيل» (470 ـ 471)؛ «كفاية المحتاج» (107/2). وسقط البيت السابع من «عنوان الأريب» (344/1).
(370) «نيل الابتهاج» (466).
(371) «كفاية المحتاج» (99/1). وأظن أن الحكاية تستدعي توقفا، فمكانة القباب الفاسي في الفقه، تأبى أن ترمي المختصر الفقهي بهذا القصور؛ ولعل هذا هو ما دعا العلامة المقري إلى الشك أيضا فيها، ووصفها بأنها حكاية لا رأس لها ولا ذنب. ن «أزهار الرياض».
(372) «الفكر السامي» (2/ق 4 : 293 ـ 294).
(373) «نيل الابتهاج» (148 ـ 149)؛ «كفاية المحتاج» (178/1—179).

ويأتي كلام ابن حجر، أحد الآخذين عن ابن عرفة، حَكَما عدلا على هذا الكتاب بقوله : «وله كتاب في الفقه سماه المختصر، يبلغ عشرة أسفار أو دونها، جامع لغالب أمهات المذهب والنوازل والفروع الغريبة وكثرة البحث مع ابن شاس في «الجواهر» وابن بشير في «التنبيه» وابن الحاجب في اختصاره لهذين الكتابين، وشيخه ابن عبد السلام في «شرحه على ابن الحاجب»، إلا أن التفقه به صعب»[374].

ولعل بَعْثَ ابنِ عرفة للأنظار المهجورة في الفقه، وتَعَبُّدَ الفقهاء بألفاظ الكتب، سيما شرَّاح ابن الحاجب، صَرَفهم عن معاناة الكتاب ورَدِّ تلك الأقوال إلى أصولها والترجيح بينها وبين المشتهر في الإفتاء وما جرى به العمل، وهو عمل لا يطيقه إلا النُّظَّار المسْتبحر؛ فلعل هذا مظنة عدم إقبال العلماء على شرحه. إلا أن ذلك لم يمنع محمد بن أبي القاسم بن حمد الْمَشَذَّالي (ت 866هـ)، الفقيه المحقق من استدارك ما صرَّح ابن عرفة فيه في مختصره بعدم وجوده[375]؛ في تأليف اختصر فيه أبحاث ابن عرفة في مختصره، المتعلقة بكلام ابن شاس[376] وابن الحاجب، وشرحه مع زيادة شيء يسير في بعض المواضع مما لم يطلع عليه ابن عرفة في سِفْر، نحو 17 كراسا من القالب الكبير[377].

وقد سبق المشذاليَ، عيسى بنُ علال المصْمُودي الفاسي (ت 823هـ)[378]، فاستدرك على مختصر ابن عرفة، ووضع تَعْلِيقَةً عليه[379].

ثم ألف ابن غازي «تكميل التقييد وتحليل التعقيد»[380]، ومسمَّاه مغْن عن سيماه، ولكن الكتاب تُعُقِّب بقول محفوظ شهير : «أما التقييد فقد كمله، وأما التعقيد فما حلله».

وممن شرح المختصر شرحا وافيا جاء في مجلدات، ثم اختصر الشرح بعد ذلك، أبو العباس البسيلي، وسياتي الحديث عنه.

(374) «الضوء اللامع» (242/9).

(375) «الضوء اللامع» (290/8)؛ «كفاية المحتاج» (175/2).

(376) طبع بتحقيق د. محمد الحبيب بلخوجة.

(377) «نيل الابتهاج» (538)؛ «كفاية المحتاج» (175/2–176).

(378) ترجمته في «درة الحجال» (410/2)؛ «وفيات الونشريسي» (139)؛ «لقط الفرائد» لابن القاضي (242).

(379) «نيل الابتهاج» (298)؛ «كفاية المحتاج» (166/1).

(380) يسمى أيضا : «إتحاف ذوي الذكاء والمعرفة بتكميل تقييد أبي الحسن وتحليل تعقيد ابن عرفة».

ومخطوطات الكتاب كثيرة، احتفل المطوي والبكوش في ذكرها (35 نسخة من أجزاء متفرقة)[381]. وظهرت أخيرا نسخ عزب ذكرها عنهما، وهي كثيرة؛ فمنها :

- خزانة وزان :
- رقم 890 (أول الكتاب ـ كتاب النكاح)، ت ن 981هـ، خط مغربي مليح.
- رقم 891 (النكاح ـ بعض البيع).
- رقم 892 (بقية البيع ـ كتاب الشركة).
- رقم 980 (مبتور الأول؛ ج 5) خط مغربي.
- المعهد الإسلامي بتطوان، رقم 892. جزآن، غير تام[382].
- **المختصر الشامل في أصول الدين**[383].

عارض به «طوالع» البيضاوي[384]، وأتم تأليفه في سنة 789هـ، وحقّق د. سعد غراب فصل الإمامة، ونشره بحوليات الجامعة التونسية، عدد 9، 1972؛ [177–234].منه نسخ بتونس[385]، وبالمغرب، وقفنا منها على ما يلي :

- ن خ م ع ف 600.
- ن م خ ع ف 55 و ن خ ع ك 1.
- **المختصر المنطقي**[386] :

وهو تأليف مدرسي تعليمي، قال عنه الوزير السَّرّاج: «فيه من القواعد ما يعجز عنه الفحول»[387]،على صِغَرِ جرمه[388].

(381) «كتاب العمر» (763/2).
(382) انظر مخطوطات أخرى في «دليل مخطوطات الخزانات الحبسية» (جزآن) في مواضع متفرقة.
(383) «فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية» (78)؛ «فهرس الرصاع» (81)؛ «كتاب العمر» (764/2).
(384) «الديباج المذهب» (420).
(385) انظر مخطوطات الكتاب بتونس في «كتاب العمر» (764/2)، ومقدمة المناعي لتفسير الأبي (23/1).
(386) «محاذي مختصر ابن عرفة» للبسيلي (ورقة 1؛ «الحلل السندسية» (1/3: 589)؛ «كفاية المحتاج» (100/2)؛ «كتاب العمر» (764/2)؛ «فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية» (78).
(387) «الحلل» (1/3: 589).
(388) تعليقات العنابي على «فهرست الرصاع» (81).

وقد حققه وقدم له د. سعْد غراب، ونشره مرْفقا بـ«جمل الخونجي»، تحت عنوان: «رسالتان في المنطق»، عن مركز الأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس، 1976، في 136 صفحة.

وقد استفاد منه البسيلي، وصرح بالنقل عنه في «التقييد الكبير»[389]؛ مثاله قولُه: «قال شيخنا في «مختصره المنطقي»: لو استلزم المحال مُحالا لما صَدَقَتْ قضية مُقَدَّمُها كاذبٌ، مع أنها قد تصدق وقد تكذب».

وممن شرح هذا المختصر:

أ) محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ)[390]، ومخطوطاته كثيرة[391].

ب) محمد الشافعي العوني (ت 1173هـ)، وقد سماه: «نتائج الفكر في شرح المختصر»، توجد منه نسخة بدار الكتب الوطنية التونسية، رقمها 16328[392].

ج) مجهول، يوجد شرحه بدار الكتب الناصرية، رقم 1737، بخط مغربي[393]، ولعله أن يكون أحد السَّابِقَيْنِ.

- **شرح ابن الحاجب الأصلي**:

نقل عنه الرصاع[394]، وذكره التنبكتي[395] وجان فونتان[396]، ومحققا «كتاب العمر»[397].

وقد أحال هذان الأخيران إلى الكتاب باعتباره موجودا، وعيَّنُوا مخطوطةً ظهر أنها شرح لأصلي ابن الحاجب لا المختصر الفقهي، وهي مخطوطةٌ فريدة بالخزانة الحسنية

(389) ن خ ع ق 611 (576).

(390) «لقط الفرائد» لابن القاضي (271).

(391) انظر «كتاب العمر» (764/2).

(392) مقدمة المناعي لتفسير الأبي (22/1-23)؛ «كتاب العمر» (764/2-765).

(393) «دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية» (109).

(394) «الهداية الكافية الشافية» (63/1)؛ (79/1)؛ (603/2).

(395) «الكفاية» (765/2).

(396) «فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية» (78). ويبدو من الوصف الذي ذكره فونتان للمخطوط المذكور، أن الأمر يتعلق بمخطوط الرباط؛ لا بنسخة أخرى كما يظهر من خلال إحالته على أرقام 1931؛ 1932 بتونس!.

(397) (765/2).

بالرباط، تحت رقم 2091، وقد وقفتُ عليها، وهي في 536 صفحة (268 ورقة)، من القطع المتوسط، 23 سطرا في كل صفحة، بمعدل 12 كلمة في كل سطر، تاريخ تمام تأليفه 15 ذي الحجة سنة 799هـ[398]. والكتاب يحتاج إلى دراسة وافية لبيان قيمته، وإيفائه حقه.

- **مختصر الحوفية في الفرائض[399] :**

وهو أول تآليفه[400]. و«الحوفية» نسبة إلى الفرضي البارع أبي القاسم أحمد بن محمد بن خلف الحوفي الإشبيلي (ت588هـ)[401]؛ وهي مما بلغ فيه الغاية، تحصيلا لعلمها وتقريبا لأغراضها وضبطا لأصولها، وتيسيرا على ملتمسها[402].

ونسخ هذا الاختصار كثيرة، ذكرُها في "كتاب العمر"[403]. ولست أدري أشرح هي أم اختصار[404]، تلك النسخة الوثقى بدار الكتب الناصرية، تحت رقم 1861؛ مبتورة الأول، بخط تونسي، وبأولها سماعُ محمد بن أحمد بن بلال اللوّاتي تلميذ المؤلف، بتاريخ 5 شوال عام 756هـ[405]. وفائدة هذا السماع، بيانُ أن تاريخ التأليف كان قبل سنة 756هـ إن لم يكن قبلها.

- **الحدود الفقهية :**

وجملتُها 260 حدا، عرَّفَتِ الحقائق الشرعية المذكورة في كتب الفقه، شملت 72 كتابا من «المبسوط»، بداية بكتاب الطهارة، وانتهاء بكتاب الفرائض.

---

(398) معلوم أن الشيخ أبا النجاة سالم البطرني أملى على ابن عرفة شرحه على ابن الحاجب الأصلي؛ فهل تكون نسبة المخطوطة لابن عرفة تجوزا لأنه مقيدها؟. انظر «فهرست الرصاع» (168).

(399) «الضوء اللامع» (242/9)؛ «كتاب العمر» (765/2)؛ «فهرس تاريخي» (78)؛ تعليقات العنابي على «فهرست الرصاع» (81)؛ مقدمة المناعي (23/1).

(400) «محاذي مختصر ابن عرفة» للبسيلي (ورقة 1).

(401) «شرف الطالب» (66) : ضمن «ألف سنة من الوفيات»؛ «شجرة النور» (159/1)؛ «أعلام» الزركلي (216/1).

(402) «الديباج المذهب» (122؛ رت : 105).

(403) (765/2).

(404) نعرف دقة المنوني رحمه الله في وصف المخطوطات، فيبقى الأمر على استصحاب الحال من كون النسخة شرحا، إلى أن تتيسر معاينتها إن أذن المولى.

(405) «دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية» (40؛ 116).

وتوجد مجردةً مخطوطة، بالخزانة الكَنونية نسخةٌ منها تحت رقم 10193[406]. وهي التي شرحها الرصاع. والحق أن في عَدِّ هذا الكتاب تأليفا مستقلا بعضُ تسامح؛ لأن فرز الحدود ليس من عمل ابن عرفة، وإنما هو عملٌ إجرائي أقدم عليه الشراح.

- تآليفه المفقودة :

- نظم قراءة يعقوب[407] :

بروايتي أبي عمرو الداني وابن شريح.

- نظم تكملة القصيد[408] :

كذا ذكره البدْر القرافي، نقلاً عن إجازة أحمد بن علوان لابن مرزوق؛ وعنه نقل صاحب «الحلل»[409]. والمقصود بالقصيد حرْزُ الشاطبي؛ كما أفاده البسيلي[410].

- مختصر في النحو[411].

- تساعيات وعشاريات[412].

- نظم في أصول الفقه[413].

- الفتاوى[414] :

وهي متفرقة في دواوين النوازل، لم يذكر المترجمون أنها مجموعة؛ وفي «المعيار»[415] الشيء الكثير منها؛ انظر على سبيل التمثيل الجزء الأول : الصفحات :

(406) «فهرس مخطوطات مكتبة عبد الله كنون» (53).

(407) «محاذي مختصر ابن عرفة» للبسيلي (ورقة 2)؛ «الضوء اللامع» (442/2)؛ «كفاية المحتاج» (103/2)؛ «الحلل السندسية» (1/ق3 : 584)؛ «كتاب العمر» (765/2)؛ «تعليقات العنابي» (81)؛ «مقدمة المناعي» (24/1).

(408) «الحلل السندسية» (1/ق3 : 585)؛ تعليقات العنابي على «فهرست الرصاع» (81).

(409) «كتاب العمر» (766/2).

(410) «محاذي مختصر ابن عرفة الفقهي» (ورقة 2).

(411) «الحلل»(1/ق3 : 584).

(412) العنابي (81)؛ «المناعي» (24/1).

(413) «الحلل» (1/ق3 : 585)؛ «العنابي» (81).

(414) «فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية» (78).

(415) عزف محققوا المعيار عن فهرسة هذه الفتاوى لكثرتها.

9؛ 18 - 19؛ 23 - 24؛ 24 - 25؛ 68، 146؛ 176 - 177، 280 - 281؛ 319؛ 384؛ 384 - 385... وقد بلغتُ في جمعها منه ومن نوازل البرزلي شوطا بعيدا، يسر الله في الإتمام.

- تآليف غفل عنها مترجموا ابن عرفة، وذكرها تلاميذه عرضا :

- شرح المدونة :

لم يكمِّلْه؛ أفاده البسيلي في «محاذي مختصر ابن عرفة الفقهي»(416).

- نتيجة النكتتين في بيان وحدة الليلتين(417) :

نقل عنه البسيلي في «التقييد الكبير»، عند قوله عز وجل في سورة القدر : ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾؛ وعنه نقل ابن غازي في «تكملة النكت الصغير»(418).

- تقييد في تحقيق القول بالجهة والسمت :

نقل عنه الرصاع في «الهداية الكافية الشافية».

5. عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن جابر بن خلدون الحضرمي (732 - 808هـ) :

إشبيلي الأصل، تونسي المولد، أبو زيد ولي الدين القاضي العلامة المؤرخ الحافظ(419).

ترجم له صديقُه ابن الخطيب في «الإحاطة» - وهو أعرف الناس به - فقال :كان فاضلا حسن الخلق جم الفضل، باهر الخصال رفيع القدر، ظاهر الحياء وقور المجلس، عالي الهمة قوي الجأش، طامح للرئاسة متقدم في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا،

(416) (ورقة 2).

(417) في «التكملة» : «اللطيفتين». وفي «تفسير الأبي» : «نتيجة السائلين في بيان وجه المنطقين؟!»؛ وكل ذلك تحريف.

(418) نسخة الزاوية الحمزية : 12ظ.

(419) «وفيات الونشريسي» (133)؛ «طبقات المالكية» (401 أ-405أ)؛ «كفاية المحتاج» (270/1)؛ «عنوان الأريب» (344/1-351).

سديد البحث، كثير الحفظ صحيح التصوّر، بارع الخط، مُغْرىً بالتَّجِلَّةِ جواد الكف حسن العشرة، من مفاخر المغرب، من ذرية وائل ابن حُجْر[420].

قرأ على أبي عبد الله محمد ابن بُرَّال الأنصاري القراءات[421]، وأخذ العربية عن والده، وأبي عبدالله بن العربي الحصَائِري[422]، وعلى أبي عبد الله محمد بن الشّواش الزَّلْزَالي، وعن أبي العباس أحمد بن القَصَّار[423]، وأبي عبد الله محمد بن بحر، وشمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر القيسي الوادي آشي[424]، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الجَيَّاني، وأبي القاسم بن القصير، وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام[425]، وأبي عبد الله محمد السَّطِّي[426]، وأبي محمد الحضرمي[427] وأبي العباس أحمد الزواوي[428]، وأبي عبد الله الآبِلِّي[429] وغيرهم.

ولي العلامة بتونس[430]، ثم ولي الكتابة بفاس لأبي عنان[431]، وسجن سنة 758هـ، نحو عامين[432]. ودخل بجاية، فراسله صاحبُها فدبَّرَ أمورَه[433]، وبعد وفاته استدعاه صاحب تلمسان[434]، ولم تطُلْ بها إقامتُه، ثم استدعاه عبد العزيز بفاس ، فمات قبل دخوله إليها[435] فقبض عليه ثم خلص فسار إلى مراكش، وتنقلت به الأحوال، ثم رجع إلى تونس سنة 780هـ فأكرمه سلطانها[436]، ووقعت سِعايةٌ ضدّه لديه[437]، فتحيَّنَ

(420) «كفاية المحتاج» (270/1)؛ «الحلل السندسية» (1/ق3 : 666).
(421) «التعريف» (17).
(422) «التعريف» (19).
(423) «التعريف» (19).
(424) «التعريف» (19).
(425) «التعريف» (20).
(426) «التعريف» (20–21).
(427)«التعريف» (21).
(428) «التعريف» (21).
(429) «التعريف» (21).
(430) «التعريف» (57).
(431) «التعريف» (60).
(432) «التعريف» (69).
(433) «التعريف» (104).
(434) «التعريف» (110–111).
(435) «التعريف» (233).
(436) «التعريف» (247–248).
(437) «التعريف» (249).

الفرصة وفَرَّ إلى المشرق في سنة 781هـ[438]،فنزل القاهرة وولي قضاء المالكية[439] بها ثم عزل وولي مشيخة البيبرسية ثم عزل عنها[440]، وولي القضاء مرارا[441] آخرها في 26 رمضان سنة 808، فباشره ثمانية أيام، وأدْركه الحِمَام فجأة يوم الأربعاء، ودُفن بمقابر الصوفية[442].

وكان ممن رافق العسكر إلى تيمورلنك[443] واجتمع به وأعجبه كلامه وبلاغته وحسن تَرَسُّلِه[444].

كان يسلك في إقرائه مسلك الأقدمين كالغزالي والرازي مع الغض على طريقة طلبة العجم، ويقول : إن اختصار الكتب في كل فن، والتعبُّدَ بالألفاظ على طريقة العَضُدِ وغيره من مُحْدَثَاتِ المتأخرين، والعلمُ مِنْ وراء ذلك كلِّه[445]. وكان شاعرا أيضا، أورد هو لنفسه كثيرا من القصائد في "التعريف"[446]، وساق جملة من ذلك، صاحب «عنوان الأريب»[447].

مــن تـآلـيـفـه :

– **كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر** (ط)، صدَّره بالمقدمة الفذة التي ضارع بها أساطين فلاسفة التاريخ؛ وشرحها الشيخ أحمد المقري المغربي[448]. وهي تُعَدُّ من أصول علم الاجتماع، تُرجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها[449]. قال الحجوي: كفى بتاريخه آية على فضله[450].

(438) «التعريف» (264).
(439) «التعريف» (273).
(440) «التعريف» (343–344).
(441) «التعريف» (383؛ 429).
(442) «كفاية المحتاج» (271/1).
(443) «التعريف» (406 وما بعدها)؛ «نفح الطيب» (995/2–996).
(444) «فهرست الرصاع» (166–167؛ تعليقات العنابي).
(445) «الكفاية» (271/1)؛ «الحلل» (1/ق3 : 665).
(446) انظر الصفحات: 69؛ 73 ـ 79؛ 80؛ 89 ـ 95؛ 142؛ 250 ـ 261؛ 365. ـ 370.
(447) انظر (336/1–342).
(448) «كشف الظنون» (286/1).
(449) «الأعلام» (330/3).
(450) «الفكر السامي» (القسم 4 : 295؛ رت: 660).

- **شرح البردة** : وهو شرح بديعٌ دل على تفننه وغزارة حفظه[451].

- **اختصار محصول الفخر**.

- **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا**، كراريس بذيل تاريخه، حققها مجردة ابن تاويت الطنجي - رحمه الله -[452]، عن نسخة أصلية بخط ابن خلدون، واهتم فيها بنقل ما ضبطه المؤلف ضبط قلم.

- **كتاب في الحساب**.

- **رسالة في المنطق**[453].

- **شرح رجز ابن الخطيب في أصول الفقه**[454].

- **لباب المحصل للرازي**، طبع عن نسخة بخط المؤلف.

- **تلخيص كثير من كتب ابن رشد**[455].

- **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، طبع[456].

أخذ عنه كثير منهم: الإمام ابن مرزوق، والبسيلي[457] والدماميني والبساطي[458].

ويتعلق بتلمذة البسيلي لابن خلدون، أسئلة ثلاثة :

- الأول : عن زمن أخذه عنه، وابن خلدون بارَحَ تونس إلى مصر سنةَ 784[459]، والبسيلي يذكر أنه أول ما أخذ عن ابن عرفة سنة 783هـ، وهو أول تاريخ معروف يتعلق

---

(451) «عنوان الأيب» (336/1).

(452) نشرته دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، في 432 صفحة من القطع المتوسط.

(453) «الأعلام» (330/3).

(454) «نفح الطيب» (101/7). وقد وصلنا شرح آخر لهذا الرجز لأبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي الغرناطي (ت 287هـ)، سماه «الطرر المرسومة على الحلل المرقومة». بخزانة الزاوية الحمزية، رقم 8. انظر «مكتبة الزاوية الحمزية» للمنوني (مجلة تطوان، رقم 8 ص 130)؛ وقد مسخ اسم الكتاب واسم مؤلفه في «دليل مخطوطات الخزانات الحبسية» (5/2)، فورد ثمة باسم «شرح خليل» لابن سعيد الثعلبي ؟؟!.

(455) «عنوان الأريب» (336/1).

(456) «الأعلام» (330/3).

(457) «نيل الابتهاج» (252).

(458) «كفاية المحتاج» (272/1)؛ «الحلل السندسية» (1/ق3 : 667).

(459) «التعريف» (262).

بالبسيلي، حتى دفع ذلك بعض الباحثين إلى القول بأنه وارد على تونس وليس من أهلها. فلم يبق إلا القول أن أخذه عنه كان سنة 783 أو قبلها على القول أنه تونسي، وهو الذي نرجحه.

– الثاني : إذا سلمنا أن أخذ البسيلي عن ابن خلدون كان في الفترة ما بين سنة 783هـ[460]، تاريخ حضوره مجلس ابن عرفة وسنة 784، أوان رحيل الخلدوني إلى مصر. أفلم يكن تزامن الأخذ عن الشيخين، في أوْجِ استحكام العداوة بينهما[461] داعياً لابن عرفة إلى الانقباض عن تلميذه، وذلك ما لاشاهدَ عليه ؟!. والذي دَرَأَنَا لطرح السؤال هو هذا النص الذي أثبته ابن خلدون في التعريف بنفسه : «ولما قدمتُ تونسَ انْثَالَ عليَّ طلبةُ العلم من أصحابِ ابن عرفة وسواهم، يطلبون الإفادة والاشتغال، وأسعفْتُهم بذلك، فَعَظُم عليه، وكان يُسِرُّ التنفيرَ إلى الكثير منهم فلم يَقْبَلُوا، واشتدت غيرتُه...»[462].

– الثالث : لماذا نقل البسيلي عن ابن خلدون في تفسيره، وهو على خلاف مع ابن عرفة؟.

الظاهر والله أعلم أن ما نقله البسيلي، هو من زياداته لا من أصل إملاءات ابن عرفة، لفساد ما بينه وبين ابن خلدون، وما كان لينقل عنه في دروسه وذلك مظنة الفضل والتقدم، فلعل البسيلي إنما جرَّأه على ذلك أن تأليفه لكتابه كان بعد موت ابن عرفة (803)، بضميمة أنه يذكر تاريخ 808هـ في أطواء التفسير، وحينها فلا ضير من أن يثبت ما عنَّ له.

وقد صرح البسيلي بأخذه عن ابن خلدون بما لا يدع للشك مجالا، فهو يقول عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ﴾[463]، عند تخلصه للحديث عن حكم راء

(460) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 137.

(461) تحدث ابن خلدون عن سبب هذه العداوة فقال : «فأقبل علي - يعني السلطان أبا العباس الحفصي -، واستدناني لمجالسته، والنجي في خلوته، فغص بطانته بذلك، وأفاضوا في السعايات عند السلطان فلم تنجح، وكانوا يعكفون على إمام الجامع، وشيخ الفتيا، محمد بن عرفة، وكانت في قلبه نكتة من الغيرة من لدن اجتماعنا في المَرْبى بمجالس الشيوخ، فكثيرا ما كان يظهَرُ شُفُوفي عليه، وإن كان أسَنَّ مني، فاسودت تلك النكتة في قلبه، ولم تفارقْهُ».

(462) «التعريف» (249).

(463) سبأ : 12.

«القطر» في الأداء: «قلت: [يقصد نفسه]: وسمعت الشيخ الفقيه أبا زيد عبد الرحمن ابن خلدون يقول: كان بعضهم يُورِدُ على قول الحُصْرِيِّ[464] في أول منظومة[465] هذا في قوله:

إذَا قُلْتُ أَبْيَاتاً حِسَاناً مِن الشِّعْرِ ... فلا قُلْتُها في وصْف وَصْلٍ ولا هَجْرِ
ولا مدحِ سلطانٍ ولا ذَمِّ مسلمٍ ... ولا وصفِ خِلٍّ بالوفاء أو الغدْرِ
ولكنني في [ذَمِّ][466] نَفْسِي أقولُها ... .[467]

قال: قوله «ولا ذم مسلم» مع قوله «ولكنني في ذم نفسي أقولها»، يُنتِج الشّكلَ الثاني، أنه غيرُ مسْلم!؛ على قوّةِ دَعْوَاهُ، وشدّة عارضته في قوله «ولو كُتِبَتْ بالمِسْكِ»[468]؛ و«لَمْ أَرَهُمْ يَدْرُونَ وَرْشاً قِرَاءَةً»[469] وقوله «وبَاعُهُمُ فِي النَّحْوِ أَقْصَرُ مِنْ شِبْرِ»[470]، إلى غير ذلك»[471].

6 ـ أبو مهدي عيسى الغبريني (ت 815هـ)[472]:

عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني التونسي، أبو مهدي، خطيبُ جامع الزيتونة وإمامه ومدرِّسُه[473]، العالم الصالح[474]، حافظ المذهب[475]. قال أبو زيد الثعالبي:

---

(464) هو علي بن عبد الغني الحصري القيرواني الفهري الضرير (ت 488هـ)؛ انظر في ترجمته تقديم د. توفيق العبقري، لتحقيقه للحصرية (6–27).

(465) هي في قراءة نافع؛ طبعت محققة مجردة، انظر مقدمة تحقيقها (28–52).

(466) زيادة يفصح عنها ما بعدُ من الكلام، وهي ثابتة في أصل القصيدة. انظر «القصيدة الحصرية» (90).

(467) عجز البيت: «كَمَا فَرَّطْتُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ عُمْرِي». (القصيدة الحصرية: 90).

(468) قدْرٌ من البيت الحادي عشر من القصيدة، وسياقه:

وَمَا أُعْطِيَتْ فَوْقَ القصائدِ حَقَّهَا ... ولَوْ كُتبت بالمسك عُظْما عن الحِبْرِ

(القصيدة الحصرية: 91).

(469) هذا صدر البيت السادس، وعجزه: «فَكَيْفَ لَهُمْ أَنْ يَقْرَؤُوا لأبي عَمْرِو؟» (القصيدة الحصرية: 90).

(470) هذا عجز البيت الخامس عشر، وصدره: «لَقَدْ يَدَّعِي عِلمَ القراءات مَعْشَرٌ» (القصيدة الحصرية: 92).

(471) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611: 616).

(472) ترجمته في «فهرست الرصاع» (75؛ تعليقات العنابي، ومواضع متفرقة)؛ «وفيات الونشريسي» (137)؛ «كفاية المحتاج» (1/318–319؛ رت: 311)؛ «نيل الابتهاج» (297–298)؛ (115)؛ «الحلل السندسية» (1/ق 3: 611-612)؛ «توشيح الديباج» (رت: 135)؛ «شجرة النور» (258)؛ «طبقات المالكية» (407أ)؛ «الفكر السامي» (القسم 4: 296؛ رت: 663).

(473) «الحلل» (1/ق 3: 611).

(474) «فهرست الرصاع» (164)؛ «كفاية المحتاج» (1/318).

(475) «توشيح الديباج» (رت: 135).

شيخُنا أوحَدُ زمانه علما ودينا. وقال ابن ناجي: ممن يُظَنُّ به حفظُ المذهب بلا مطالعة[476]، ما رأيت أصحَّ منه نقلا ولا أحسن منه ذهنا ولا أنْصَفَ منه، مع كمال الرياسة. كان صحيح العقيدة متين الدين، سَجَدَ بين يديْه بعض جهلة المؤدِّبين مشْتكيا بشخص فصاح عليه وانتهره وغضب لمخالفته السنة وحلَفَ لا يسمع منه الآن كلمة[477].

وقال تلميذه الأمير محمد الحسين بن أبي العباس الحفصي :«كان شيخنا ابن عرفة وشيخنا الغبريني من مجتهدي المذهب، والعيان شاهد بذلك»[478].

وهو شيخ البسيلي والثعالبي وابن ناجي والبرزلي وأحمد القلشاني[479] والشرف العجيسي[480]. قال التنبكتي: بل أخذ عنه غالب متأخري أصحاب ابن عرفة وغيرهم كالبسيلي، وأبي يحيى بن عَقِيبَةَ وأبي القاسم القسنطيني[481]، وأبي الحسن ابن عصفور والأبي[482] والزَّلْدِيوي[483] وأبي عبد الله محمد بن عُقَاب[484] وأبي عبد الله محمد بن عبد الله المغربي[485] في خلق. وكان يُقدِّم للعدالة من استوثق من دينه وأمانته من الطلبة، وهو الذي كلَّم أبَا فارس الحفصي في تقديم أبي عبد الله محمد بن أبي بكر[486]. وقد استنابه ابن عرفة أثناء سفره للحج سنة 792هـ[487]، وتولى الإمامة بجامع الزيتونة بعد موته[488].

وقد مكث الغبريني 12 سنة يقرأ المعقولات، وندم على ذلك آخر عمره فقال :لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لكانت مدة قراءتي في المعقول كلها في الفقه[489]؛ ولذا عكف على «المدونة» بشرح ابن يونس، وسأله والد الرصاع عن ذلك فقال : لأن صاحب هذه الدار؛ يعني الشيخ القاضي ابن حيدرة - وكان ساكنا بداره وتتلمذ له -[490]

(476) حكى ابن ناجي ذلك في شرحه لتهذيب البراذعي في كتاب الظهار.
(477) «نيل الابتهاج» (297–298)؛ «كفاية المحتاج» (318/1).
(478) «كفاية المحتاج» (318/1).
(479) «الحلل السندسية» (1/ق3 : 650)؛ «فهرست الرصاع» (123؛ تعليقات العنابي).
(480) «شجرة النور» (258)؛ «الحلل» (1/ق 3 : 611)؛ «كفاية المحتاج» (319/1).
(481) «كفاية المحتاج» (319/1).
(482) «فهرست الرصاع» (129؛ تعليقات العنابي).
(483) «فهرست الرصاع» (79؛ تعليقات العنابي).
(484) «فهرست الرصاع» (112).
(485) «فهرست الرصاع» (136).
(486) «فهرست الرصاع» (114).
(487) «فهرست الرصاع» (75؛ تعليقات العنابي).
(488) «الفارسية» (197).
(489) «فهرست الرصاع» (148؛ 179-180).
(490) كما في «كفاية المحتاج» (33/1).

يقول: عليكم بابن يونس فإنه عجوز الدار، وهو مرْوِيٌّ كلُّه، ولذا يقول فيما لم يروه: وهذا لم أروه[491].

وكان الغبريني هو قارئ العشر في مجلس ابن عرفة، قال البسيلي عند الآية 80 من سورة يوسف: «هذا عشر يوم السَّبت، سابع شهر شعبان، منْ عام ستّةٍ وثمانينَ وسَبعِمِائةٍ؛ وابْتَدَأَ قراءَةَ العشرِ والحديثِ مِنْ هَذَا اليَوْمِ، الفقيهُ أبُو عبدِ اللهِ بنُ مُسَافِرٍ، عِوَضاً عَنْ سَيِّدِي عِيسَى الغُبْرِينِي»[492]. وقد صرح البسيلي بتلمذته عليه، فقال عند تعريفه بالزمخشري: «وله يَرْثِي شيخه أبا مُضَرٍ، حسبما وجدته مقيَّداً بخطّ شيخِنا أبي مهْدِي عِيسَى الغُبْرِينِي:

وقَائِلَةٍ مَا هذِه الدُّرَرُ التِي تساقط مِنْ عينِكَ سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ
فقُلْتُ هُو الدُّرُّ الذي قدْ حَشَا بهِ أبُو مُضَرٍ أذْني تسَاقَطَ مِنْ عَيْنِي»[493]

وساق من فوائده عند تفسيره لسورة الفلق: «ع: مما يسئل عنه هنا: لم قال ﴿إذا وقب﴾[494] و﴿إذا حسد﴾[495]، ولم يقل من شر النفاثات إذا نفثت؟. فأجابه الفقيه عيسى الغبريني: بأن الوسط الذي هو ﴿النفاثات﴾[496] لَمَّا أَنْ كان كله شرا وليس فيه من الخير شيء، لم يحتج لتقييد، ولما أنْ كان الطرفان يصلحان للخير والشر قُيِّدَا؛ ألا ترى أن غَسَقَ الليل فيه ما هو محمود ومحل لرجاء الخير وقبول الدعاء، وهو آخِرُه، لِمَا وَرَدَ فيه؛ وألا ترى أن الحسد ليس كله شرا للحديث «لا حسد إلا في اثنتين»»[497].

ولم يذكر المترجمون أنه ترك تأليفا، لكنني عثرت على **«شرح للبردة البوصيرية»** للغبريني، وراجعت تراجم من عُرِفُوا بهذه النسبة، أبي العباس الغبريني[498] صاحب «عنوان الدراية» وولديه الأخوين أبي القاسم[499] وأبي سعيد[500]، فلم أجد نسبة التأليف

(491) «فهرست الرصاع» (148).
(492) «نكت وتنبيهات» (ن خ ع ق 271): 66–ظ.
(493)«نكت وتنبيهات» (ن خ ع ق 271): 4–ظ.
(494) الفلق: 3.
(495) الفلق: 5.
(496) الفلق: 5.
(497) «تكملة النكت» (18–ظ).
(498) انظر مقدمة محقق «عنوان الدراية» (9–15).
(499) «الحلل السندسية» (1/ق3: 654).
(500) «الحلل السندسية» (1/ق3: 654).

لأحدهم، فيبقى للتحقيق بالوقوف على المخطوط، وهو بالخزانة المكلية، من رصيد م عبد الرحمن بن زيدان، ورقمه بها 776 في سفرين[501]، بخط الحسن بن محمد البكري السيفي (بقي بقيد الحياة عام 1143هـ، وتوفي بسوس).

وقد توفي الغبريني ليلة السبت سابع وعشرين من ربيع الأول عام 815هـ[502]؛ وقيل: سنة 813[503]؛ والأول أصحُّ لأنه منقول عن تلميذه القلشاني.

7. أبو الفضل بن القاسم بن أبي الحسن علي الأندلسي :

الشيخ المقرئ الراوية، سمع عليه البسيلي «الشفا» لعياض، في شهر رمضان من عام 808هـ. وهذا الذي دَرَأَنَا إلى أن نسْلُكَهُ في عِداد شيوخه، بعد أن ذكر المقيِّد بيتين وقال : «وجدنا هذين البيتين على ظهر جزء من أجزاء بعض نسخ لكتاب «الشفا» لعياض، وهي النسخة المشرقية من كتب خزانة مولانا السلطان أمير المومنين أبي فارس عبد العزيز، وذلك حَالَ مقابلتِهَا بجامع الزيتونة بقراءة الشيخ المقرئ الراوية أبي الفضل بن القاسم بن أبي الحسن علي الأندلسي»[504].

* * * * * *

ولعل للبسيلي شيوخا آخرين غيرَ مَن ذَكرْنا، لم نستطع الاستدلال عليهم، لِتَلاَفِيهِ ذِكْرَ أسمائهم، وخلوّ كتب التراجم التي بين أيدينا من أسمائهم، ولربما كان بعضُهم مقصودا بقوله في تضاعيف الكتاب، «بعض شيوخنا»، كصنيعه عند قوله تعالى : ﴿في آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾[505] : «وكان بعض الشيوخ ينشد عند تفسيره للآية :

تصامَمْتُ إذْ نَطَقَتْ ظَبْيَةٌ ... تَصِيدُ الأُسُودَ بأَلْحَاظِهَا
ومَا بيَ وقْرٌ وَلَكِنَّنِي ... أَرَدْتُ إِعَادَةَ أَلْفَاظِهَا[506]

وقد حكى البسيلي في تفسيره عن علماءَ عَاصَرَهُم، لاندري مبْلَغَ الصلة الجامعةِ بينه وبينهم، كأبي العباس أحمد بن حُلُولُو، إذْ بالنظر إلى وفاته المتأخرة، سنة 898هـ، نتوقَّف في عَدِّهِ من شُيُوخه، إلى أن نَعْثُرَ على دليلٍ قاطع[507].

(501) «تاريخ الوراقة المغربية» لمحمد المنوني (132–133).
(502) «كفاية المحتاج» (319/1). وانظر فتوى للغبريني نقلها الرصاع (170).
(503) «الحلل السندسية» (1/ق 3 : 611).
(504) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) 224.
(505) فصلت: 5.
(506) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 710.
(507) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) : 405/1.

المبحث الخامس:

تــلامــيــذه

ليس بدْعاً من القول تقريرُ أنّ البسيلي كان مُزاحما من كُثْر من الشيوخ ينصرف أكثر التلاميذ إلَيهم دونَه، لما أوتي هؤلاء الشيوخ من علم وشهرة تكاد تربو في الغالب الأعمِّ على شهرة البسيلي، إذْ فيهم مَن سَبَقَهُ إلى التلقي عن ابن عرفة وملازمته، وظهر فضلُه في فَنٍّ من الفنون يقصده الطلبة من أجله؛ فمنهم : أبو عبد الله الأُبِّي (ت 827هـ)، الذي وصفه ابن حجر في «المشتبه» «بالأصولي عالم المغرب في المعقول»[508]، وابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) صاحب «المتْجر الرّبيح والمسْعى الرّجيح على الجامع الصحيح»، وابن ناجي التنوخي القيرواني (ت 838هـ) صاحب الشرح النفيس على الرسالة القيروانية، وأبو عبد الله الوانوغي (ت 819هـ)، وأبو عبد الله الزَّندِيوِي (ت 874هـ على الأرجح) الذي قال في شأنه العلامة زروق البرنسي الفاسي : «هو شيخُ تونس في وقته»، وغيرهم.

إلا أن البسيلي كان شديدَ العارضَةِ في علم المنطق، طويلَ الباع فيه، بحيثُ لستُ أشُكٌّ أنَّ كثيراً ممَّن جلس بين يديه، إنما تغيَّا الإستفادةَ منه في هذا العلم؛ فهذا أبو عبد الله الرصاع يصرح إنْ بتفوقِ صاحبِنا في المنطق أو بقراءته هو المنطق عليه فيقول : «وكان عارفا بالمنطق، حضرتُ مجلسه بالمدرسة الحَكِيمِيَّةِ، وقرأت عليه «جُمَلَ "الخُونْجِي" بها... ولازمتُه شهورا في قراءة المنطق وغيره»[509].

ثم هذا صاحب «تراجم المؤلفين التونسيين»، يذكر أنّ أبا العباس التجاني - وهو معدود من تلاميذه - إنما أخذ عن البسيلي المنطق وعلم الكلام[510]؛ قلت: وفي هذا الحصر بهذه الصفة إيماءٌ إلى ما ذكرنا من قبل.

---

(508) «نيل الإبتهاج» (287).

(509) «فهرست الرصاع» (177–175).

(510) «تراجم المؤلفين» (206/1).

غير أن كثرةَ الشيوخ الجلَّة الْمُجَايلين لصاحبنا، لم تُفْلِحْ في جعْلِهم يستأثرون بالتلاميذ دونه فله أيضا قرْصٌ في العرس؛ فمن تلاميذه :

1 ـ أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري نسبا، التلمساني مولدا، التونسي تربية، الرصاع شهرة[511] المالكي مذهبا (ت 894هـ) :

قاضي الجماعة الفقيه العالم الصالح المفتي[512] من عائلة هي من كرائم عائلاتِ الأنصار بمدينة تلمسان، ولم يكن لهم وهم بتلمسان سابقةٌ راسخة في العلم، وجدُّ المؤلف الرابع للأب كان نجارا تميز بالبراعة وروعة الدقَّة في التَّرْصيع في الخشب فعُرِف بالرّصّاع[513]، واشتهر بعد ذلك، بعد ترصيع جامع العُبَّاد[514].

كان أبوه كثير الإقامة بحاضرة تونس، متردّداً على أهل العلم بها. وقدِم ولدُه محمد إلى تونس صغير السن فاعتنى به، وعرَّفه على مشاهير علماء الزيتونة[515]، فتتلمذ لجماعة من الأعلام، منهم : البرزلي وأبو عبد الله محمد بن عُقاب[516]؛ ختم عليه التفسير وهو الذي عيَّنه مُعيدا بالمدرسة المنتصرية[517]، وأبو محمد عبدالواحد الغرْيَاني[518] وأبو العباس أحمد السَّلَاوي، قرأ عليه العربية[519] والوانُّوغي وأبو الحسن محمد البَطَرْني[520] وأبو عبد الله الزنديوي[521] وأبو القاسم العبْدُوسي[522] وأبو محمد عبد الله البَحِيري[523] وأبو القاسم العُقْبَاني[524] وبَلْقَاسَمْ القسنطيني[525] وأبو حفص عمر

---

(511) كذا حُلِّي في ناصية نسخة من كتابه «تحفة الأخيار» (ن خ ع ك 631).
(512) «كفاية المحتاج» (196/2). وانظر «وفيات الونشريسي» (152)؛ «طبقات المالكية» (453 ب).
(513) انظر للتفصيل «فهرست الرصاع» (16—17).
(514) العنابي في مقدمته لـ«فهرست الرصاع»، (ل—م).
(515) «كتاب العمر» (804/2).
(516) «فهرست الرصاع» (112؛ 141 - 160؛ 151)؛ «طبقات المالكية» (446 أ).
(517) «فهرست الرصاع» (157).
(518) «فهرست الرصاع» (177).
(519) «فهرست الرصاع» (137).
(520) «فهرست الرصاع» (90؛ 168 - 170 مكرر).
(521) «فهرست الرصاع» (137؛ 181).
(522) «فهرست الرصاع» (191—192).
(523) «فهرست الرصاع» (76؛ 178).
(524) «فهرست الرصاع» (177).
(525) «كفاية المحتاج» (196/2).

القَلْشَاني[526] وأخوه أحمد[527]، وصهرُ الرصاع أبو عبد الله محمد الرملي[528] وأبو عبد الله محمد البلنسي[529]، وأبو القاسم الغرناطي[530] وأبو يوسف يعقوب المصمودي[531]، وقرأ على الأخيرين المنطق، وأبو العباس أحمد البسيلي[532].

ولي قضاء العسكر ثم الأنكحة ثم الجماعة، ثم اقتصر على إمامة جامع الزيتونة، وخطابتها، متصدّيا للإفتاء ولإقراء الفقه وأصول الدين والعربية والمنطق وغيرها[533]، درَّس بالمنتصرية وزاوية باب البحر سنة 865، خَلَفًا للفقيه أحمد كحيل[534]، واستُفتي من خارج تونس[535].

ولم يزل كعبةَ الآخذين عنه بالزيتونة مفتيا وإمام وخطيبا، حتى توفي سنة 894هـ، ودفن بمنزله بتونس[536].

مـؤلـفـاتـه[537] :

- **الهداية الشافية الكافية، لبيان حقائق ابن عرفة الوافية**[538].

- **الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية**، بعث إليه بها الموَّاق من غرناطة، فأجابه عنها. (خ)[539].

---

(526) «فهرست الرصاع» (62؛ 119؛ 186 - 187).
(527) «فهرست الرصاع» (183).
(528) «فهرست الرصاع» (119). وقد ألف للرصاع صهره المذكور مقدمة في علم العربية برسمه.
(529) «فهرست الرصاع» (136).
(530) «فهرست الرصاع» (126).
(531) «فهرست الرصاع» (130).
(532) «فهرست الرصاع» (175).
(533) «كفاية المحتاج» (196/2)؛ «الحلل السندسية» (1/ق 3 : 689).
(534) «التقييد الكبير» (43/1).
(535) «تراجم المؤلفين التونسيين» (359/2).
(536) العنابي في مقدمة «فهرست الرصاع» (ش)؛ «كتاب العمر» (804/2).
(537) «مقدمة العنابي» (ق–ش)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (358/2–362)؛ «كتاب العمر» (805/2–808).
(538) طبع طبعة حجرية بفاس سنة 1316هـ، ثم في تونس سنة 1350، ثم طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية سنة 1992، في جزء ضخم؛ ثم حققه د. محمد أبو الأجفان ود. الطاهر المعموري، ونشرته دار الغرب الإسلامي في مجلدين.
(539) «كتاب العمر» (805/2).

– **الجمع الغريب**[540] **في ترتيب آي مغني اللبيب**[541] : وهو تفسير للشّواهد القرآنية الواردة في «مغني الليب» لابن هشام بعد أن أفردها، ورتّبها على السور، وتكلم عليها في جزئين، يوجد الأول منه بمكتبة الزاوية الحمزاوية بتافيلالت،رقم 89، بخط مغربي[542].

– **التسهيل والتقريب لرواية الجامع الصحيح** : انتقاء من "فتح" ابن حجر. (خ)[543].

– **فهرست الرصاع** : طبعت بتحقيق العنابي بتونس، سنة 1967.

– **تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين** (خ)[544]: مخطوطاته كثيرة للغاية، وبعضها خزائني كُتب بأوضاع غاية في الجمال.

– **تحفة الأخيار في فضل الصلاة على النبي المختار** (خ)[545] : نسخه كثيرة.

– **الخمسمائة صلاة على النبي ﷺ وشرحها** (خ)[546].

– **رسالة في أسماء الأجناس وأحكامها**[547].

– **جزء في كراسة أوثلاثة في أحكام «لو»**[548].

– **جزء في صرف اسم «أبي هريرة»**[549].

---

(540) «دليل مخطوطات الخزانات الحبسية» (24/2).

(541) الكتاب كان موضوع دبلوم دراسات عليا، مسجل بجامعة محمد الخامس بالرباط، سنة 1997، تحت إشراف أستاذنا د. أحمد أبو زيد. انظر «دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب» لعمر أفا (ملحق 97 : 112).

(542) «مكتبة الزاوية الحمزية، صفحة من تاريخها» لمحمد المنوني (136)، بحث ضمن مجلة تطوان، العدد 8؛ «الأعلام» (5/7)؛ «كتاب العمر» (805/2)؛ «مقدمة العنابي» (ق).

(543) مقدمة العنابي (ق)؛ «كتاب العمر» (805/2–806). وقد سجل الجزء الأول منه أطروحة بدار الحديث الحسنية، تحت إشراف أستاذنا د. محمد الراوندي.

(544) «الحلل السندسية» (1/ق3 : 689).

(545) «الحلل السندسية» (1/ق3 : 689).

(546) «كتاب العمر» (807/2).

(547) «كفاية المحتاج» (196/2–197)؛ «الحلل السندسية» (1/ق3 : 689).

(548) «كفاية المحتاج» (196/2)؛ «الحلل السندسية» (1/ق3 : 689).

(549) «كفاية المحتاج» (197/2)؛ «الحلل السندسية» (1/ق3 689).

– **شرح على جمل الخونجي في المنطق** : مخطوط بدار الكتب الوطنية التونسية، من رصيد ح ح عبد الوهاب رقم 18194.

– **جزء في إعراب كلمة الشهادة**[550].

– **شرح وصية الشيخ محمد الظريف** : (خ)[551].

– **مقاصد التعريف في فضل اسم محمد الشريف**[552].

– **تفسير** شرع فيه: أفاده السخاوي[553].

– **فتاوى متفرقة** : ذكر بعضها الونشريسي في «المعيار» (229/2)؛ (370/4)؛ (92/9)؛ (93/9)؛ (290/11)؛ (316/11)[554].

نقل عن شيخه البسيلي دون أن يسميه في ذيل «الهداية الكافية»[555]؛ ولربما كان يقصده بقوله في أطواء الكتاب : «فممّا رأيته بخط بعض المشايخ تلامذة الإمام ابن عرفة أسكنه الله دار السلام...»[556]؛ «ووجدت أيضا عن بعض المشايخ من تلامذته...»[557] ؛ «قال بعض تلامذته رحمه الله : ...»[558]؛ «ثم وقفت على خط بعض أشياخي من تلامذته أنه...»[559].

ويتعلق بتلمذة الرصاع للبسيلي إشكالٌ مفاده أن الرصاع يذكر في فهرسه[560] أنه رحل من تلمسان إلى حاضرة تونس، في حدود إحدى وثلاثين، فإذا كانت هذه سنة وروده فأين ومتى أخذ عن البسيلي وقد توفي قبل هذا التاريخ ؟.

---

(550) «كفاية المحتاج» (196/2–197).
(551) «مقدمة العنابي» (ر)؛ «كتاب العمر» (807/2).
(552) تفرد بذكره ح ح عبد الوهاب. ن «كتاب العمر» (808/2).
(553) «الضوء اللامع» (287/8–288).
(554) انظر فهارس «المعيار» (392/13).
(555) (694/2).
(556) «الهداية الكافية الشافية» (79/1).
(557) «الهداية الكافية الشافية» (79/1).
(558) «الهداية الكافية الشافية» (538/2).
(559) «الهداية الكافية الشافية» (517/2).
(560) الصفحة 45.

وقد يقال إن هذه السنة كانت سنة استقراره بتونس، لا سنةَ وروده عليها لأول مرة، إذْ كان أبوه كثير الإقامة بحاضرة تونس، مترددا على أهل العلم بها[561] فلعله أخذ عن البسيلي صحبة ولده ولَمَّا يبارحْ تلمسانَ بالمرَّة، لكنَّ ما يشغب على افتراضِنا أنه أَخَذَ عنه قبل هذا التاريخ، تعبيرُه عن اندهاشه الكبير لمِا رَأى في تونس، ولا ريب أن هذا العجبَ لا يكون من المتردد على المدينة، وهو أحْرى بزائرها لأول مرة، فهو يقول : «ثم لما كنت حدود إحدى وثلاثين، رحلت من بلد تلمسان إلى حضرة تونس المحروسة... ثم دخلناها بالغدوة فرأينا بلدة عظيمة بها رجال كرام وشيوخ عظام، وبها قوة شهيرة، وحضارة كثيرة...»[562]. ثم إن هذا الفرض يتهافت إذا علمنا أن أَخْذَ الرصاع قبل هذا التاريخ غيرُ مستقيم، لأنه يكونُ حينَها صغيرا جدا؛ فَمَا بين 831 سنةِ وُرُودِه و894 سنةِ وفاته، ثلاثٌ وستون سنة، وإذا قدرنا أن عمرَه الافتراضي كان 75 سنة، فلن يكون عمرُه حين ورد على تونس غير 12 سنة وهي سنٌّ بالْكَاد تؤهّله لتحصيل فنِّ المنطق سيما وأنه معضل صعب، فكيف مع القول إنه تلَقَّاه قبل هذه السن ؟.

وهناك احتمالُ أن يكون قولُ الرصاع إنه ورد على تونس في حدود إحدى وثلاثين، تاريخا تقريبيا لا غير، فيكون قد أخذ عنه قبيل وفاته سنة 830هـ. ولا مانع يمنع من هذا الفرض، لأن الرصاع لم يلازم البسيلي إلا شهورا في قراءة المنطق وغيره[563].

2. أبو العباس التجاني (802 - 895هـ) :

أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي الفتح محمد بن أبي البركات محمد بن علي ابن أبي القاسم بن حسن بن عبد القوي[564] التِّجَّاني - بكسر الفوقية والجيم المشددة[565]، نسبة إلى قبيلة بالمغرب[566]، يعرف بابن كَحِيل[567] التونسي القاضي المالكي .

(561) «كتاب العمر» (804/2).
(562) «فهرست الرصاع» (43؛ 54).
(563) «فهرست الرصاع» (177).
(564) قُعْدُدُ نسبه هذا مأخوذ عن السخاوي في «الضوء اللامع» (268/12)؛ وهو لا يساعد حسن حسني عبد الوهاب على قيله أنه من أسرة التجاني صاحب الرحلة لاختلاف ما بين النسبين. انظر مقدمتها (يو)؛ حيث ياتي نسبه في المشجَّر : أحمد بن محمد بن علي بن عبد الله الرحال بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم التجاني.
(565) «الحل السندسية» (1/ق 3 : 648).
(566) «توشيح الديباج» (57)؛ «كفاية المحتاج» (120/1).
(567) كذا ضبطه حسن حسني عبد الوهاب في «كتاب العمر» (/793/2)؛ وضبطه السخاوي بضم الكاف، على هيئة التصغير.

كان فاضلا مفوها، طلْق العبارة، حسن المحاضرة، بهي المنظر، حسن الخبر والمخبر، والغالب عليه التصوف والصلاح[568].

ولد بتونس في ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة[569]؛ أخذ النحو عن أبي عبد الله ابن آجُرُّوم الصنهاجي، صاحب الآجرومية، وأبي الحسن المعروف بسَمِعْت، والمنطق والكلام على أبي عبد الله الأبي، وعن أبي القاسم البرزلي، وإبراهيم المطماطي[570]، وأبي القاسم العبدوسي، وأبي يوسف يعقوب الزغبي وأبي عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي[571]، والرصاع[572] والبسيلي[573]؛ وقد دَرَسَ عليه المنطق.

ولاريب أن أخْذَه عن البسيلي، كان في ريعان شبابه، وهو بالبتِّ لم يستوفِ عِقْده الثالث؛ لأن البسيلي توفي في رأس الثلاثين من القرن التاسع، وعمر التجاني 28 سنة.

وانتصب للتدريس بزاوية باب البحر، ثم في سنة 846هـ، عينه السلطان الحفصي[574] قاضيا لركب الحجاج فزار مصر واجتمع فيها بأفاضل، كابن حجرالعسقلاني[575] وغيره. وبعد رجوعه تولى قضاء المحلة ثم قدم للإفتاء سنة 865هـ. وأقام على هذه الخطة إلى أن مات[576]. توفي على خلافٍ سنة 865هـ، وهي رواية الزركشي، أو سنة 869هـ وهي رواية السخاوي، ورجَّح محمد العروسي المطوي وبشير البكوش الرواية الأولى - خلافا لحسن حسني عبد الوهاب -، لأن الزركشي متابع للأحداث، وله اطلاع قريب على الحياة العلمية، بل يُعتبر معاصرا له، ناهيك أن عبارة السخاوي فيها كثير من الضعف «وبَلَغَنَا أنه مات قريب (كذا) سنة تسع وستين...»[577].

---

(568) «الضوء اللامع» (268/12).
(569) «الحلل» (1/ق 3 : 648).
(570) «الحلل» (/ق3 : 696).
(571) «الحلل» (1/ق 3 : 648)؛ «كفاية المحتاج» (120/1).
(572) «كتاب العمر» (793/2).
(573) «تراجم المؤلفين» (206/1)؛ «كتاب العمر» (793/2).
(574) هو أبو عمرو عثمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي فارس عبد العزيز الحفصي (خلافته : 838–893). انظر «الحلل السندسية» (1/ق 4 : 1082-1090).
(575) على هذا يكون ابن كحيل من آخر من اجتمع بابن حجر من المغاربة؛ إذ توفي شهاب الدين سنة 852هـ؛ وأرجح أنه لم يأخذ عنه.
(576) «تاريخ الدولتين» (147).
(577) «كتاب العمر» (794/2).

وقد تعاطى صاحبنا لصناعة التأليف، فصنف ثلاثة كتب، ذكرها السخاوي، وتُنُوقِلَتْ عنه، وهي :

- **متن في الفقه** : سماه المقدمات، وهو في مجلد لطيف.

- **كتاب في الوثائق** : سماه الوثائق العصرية، وقال التنبكتي إنه كتاب في وثائق العصر[578]، كذا.

- **عون السائرين إلى الحق** : وهو كتاب في التصوف[579].

* * * * * *

تنبيه :

عدَّ محقق «التقييد الكبير» من تلاميذ البسيلي؛ ثلاثة علماء وهم :

-أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله الباجي القلشاني (ت 848هـ).

-أبو المواهب محمد بن أحمد بن محمد بن داود بن سلامة، ابن الحاج اليزليتني، ابن زغدان (ت 882هـ).

- أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني (ت 839هـ).

وبالرجوع إلى تراجم هؤلاء لم نُلْفِ ما ينص على تلمذتهم للبسيلي؛ ولعل الدكتور الطوالة اغتر بقول مترجمي هؤلاء : «أخذ عن ابن عرفة وأصحابه كالغبريني والأبي والبرزلي ويعقوب الزغبي والسلاوي... وغيرهم»[580]؛ «أخذ عن بعض أصحاب ابن عرفة كالبرزلي ولقي جماعة من شيوخ تونس وعلمائها...»[581]؛ «أخذ عن الأئمة ...»[582]؛ ظنا منه أن البسيلي منهم بالتغليب. وغلبة الظن لا تغني من الحق شيئا.

---

(578) «كفاية المحتاج» (120/1).
(579) انظر كل المصادر السابقة و«الأعلام» للزركلي (230/1).
(580) «كفاية المحتاج» (13/2)، في ترجمة ابن ناجي.
(581) «كتاب العمر» (517/2).
(582) «كفاية المحتاج» (327/1)، في ترجمة القلشاني.

المبحث السادس :

تــآلــيــفــه

1ـ محاذي المختصر الفقهي لابن عرفة و مختصرُه :

عدا عبارة الرصاع التي أجمل فيها تواليف شيخه البسيلي : «وله تواليف عديدة وتصانيف حسنة...»[583] ، لم يذكر أحد قط أن للبسيلي تأليفا في الفقه المالكي حاذى به المختصر الفقهي لشيخه، حتى ظفرت بقطعة من مخطوط نادر، هو إحدى ذخائر جائزة الحسن الثاني لسنة 1984، تملكه أحد المراكشيين[584]، ثم صور عنه شريط فلمي، لكن تصويره كان رديئا إلى حد استحالة استخلاص صورة عنه، فتجشمت قراءته بصعوبة بالغة لعله يضيف زخما جديدا إلى ترجمة البسيلي المكرورة والقصيرة.

والمخطوط من القطع الكبير، تشي فاتحته بعد التحلية، أنه كُتِبَ والبسيلي لايزال حيا أو نُقل عن نسخة كتبت في حياته، ناهيك عن أن التحلية بإضافاتها الموضوعية المميطة للثام عن بعض الغموض المتعلق بأسرة البسيلي، تُنْبِي عن معرفةٍ للناسخ أكيدةٍ به وبأسرته.

ومقدمة الكتاب وجيزة على ما عوَّدنا البسيلي في ديباجتي النكت الكبير والصغير، أفصح فيها عن أمور تالية :

– أنه وضع تأليفا في الفقه المالكي محاذيا لمختصر شيخه، رام من ورائه شرح معانيه المستغلقة، وتوضيح قواعده الفقهية، وشرح ألفاظه وغريب لغاته، وتوجيه أقواله، والتنبيه على ما قد يكون وقع من الوهم فيه؛ بيد أنه جاء في مجلدات كثيرة تصرف القارئ عن العكوف عليها لطولها.

(583) «فهرست الرصاع» (175).

(584) لما لم أستطع الإفادة من القطعة المصورة لرداءتها الشديدة، حاولت الاتصال بمالكها المراكشي، على ما لقيني في تعرفه من العنت، إلا أنني وجدته قد توفي سنوات خلت، فعرضت طلبتي على ابنه ـ أحد أطباء القلب بمراكش ـ غير أنه ـ بعد أخذ ورد ـ لم يعثر على المخطوط بين مخلفات والده.

– أنه اختصر محاذي مختصر ابن عرفة في مجموع، شأنه في ذلك شأنه صنيعه في روايته لتفسير ابن عرفة.

تاتي ديباجة الكتاب إذن، مختصرة للغاية، متضمنة الغرض من التأليف، يتخلص بعدها البسيلي ليعرف بالمؤلف ابن عرفة : نسبه ومولده ووفاته وتواريخهما وعمره على التفصيل وموروثه وما حبس قبل موته ومبتدأ حجه ومنتهاه، ومثالا عن نظمه قرب وفاته، وتخميس ذلك النظم، وتآليفه، ومصطلحه في عزو الأقوال في المختصر الفقهي.

ثم ينتقل إلى أصل تأليفه، فيسوق بعض كلامه، ثم يشرحه أو يعقب عليه، على طريقة الفنقلة، قال فقلت.

وهذه مقدمة «مختصر محاذي مختصر ابن عرفة» :

«... بعد حمد الله كما يجب لجلاله، والصلاة على سيدنا محمد وآله، خاتم رسله وأنبيائه، مُبَلِّغِ وَحْيِهِ وأنبائه.

فإنني وضعتُ تأليفا في الفقه المالكي، حَاذَيْتُ به مختصرَ شيخِنا الإمامِ أبي عبد الله محمد بن عرفة، مُبَيِّناً لمعانيه، موضِّحا لقواعدِهِ ومَبَانيه، لأقواله موجها[585]، وعلى ما لاعاصم للبشر منه[586]، مُنْتَبِذاً[587] فضولَ الكلام في ذلك[588]، إلى ما تَحْوِيه مجلداتٌ كثيرة، يقصر عنها العجز البشري، ويمنع من استيفائِهَا الشُّغْلِ الدنيوي، فاختصرتُ من ذلك ما قيَّدْتُه في هذا المجموع. ومن الله سبحانه أسأل الفوزَ والتوفيق، والهداية إلى سواء الطريق»[589].

ويأتي بعد هذه المقدمة نصُّ التعريف بابن عرفة، حذو القُذَّة بالقذة لما ذكره في «نكت وتنبيهات» الصغير[590] إلا أنه يضيف هاهنا ذكر تآليفه، ويُردِفُ ذلك بسَوْقِ اصطلاحِ ابنِ عرفة في عَزْوِ الأقوال في المختصر الفقهي؛ وهو اصطلاحٌ وُجِدَ بخط

(585) كذا.

(586) الراجح أن هنا سقطا به يستقيم الكلام.

(587) الكلمة غير واضحة بالأصل، وأثبت ما ترجحت لي قراءته.

(588) انظر الهامش قبل السابق.

(589) شريط الخزانة العامة بالرباط (جائزة الحسن الثاني: 1166 رقم؛ منطقة مراكش سنة 1984) : غير مرقم.

(590) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : لوحة 3و؛ لوحة55و.

الشيخ القاضي العلامة تلميذ المؤلف، أبي مهدي عيسى الغبريني[591]، غير أن البسيلي يسوقُهُ دون ذكر مأخذه.

وقد كنت مجْدُوداً في العثور على نسخة من لفظ هذا الاصطلاح، مكتوب على ظهر أول ورقة من نسخة أميرية لكتاب ابن مرزوق[592] الجد (ت 781هـ) «الأحاديث الأربعون النبوية من رواية الخلافة العلوية»[593] الذي تملكه ابن عرفة، وقد قابلت[594] بين رواية البسيلي وما وجد بخط الغبريني، وخلصت إلى هذا النص :

«[واعلم أن اصطلاحَه في "مُختصره" هذا في عزْوِ الأقوال] جعْلُ أوَّلِ الأقوال [لأوَّل] مذكور من القائلين على الترتيب، على طريق اللفِّ والنشر، فإنْ تَقَدَّم[595] القائلون للقول، أتى بلفظة[596] «مع» مصحوبةً[597] مع أولِ قائلِ ذلك القول مخفوضاً بها القائلُ الثاني معطوفاً عليه القائلُ الثالثُ والرابع، ويُعْلَمُ انتهاءُ[598] قائلي ذلك القولِ [إما] بأنْ يكونَ بإضافةِ كلٍّ المعطوفين على المخفوضِ بها يؤدي[599] إلى بقاء بعض الأقوال غير معزو، ويترك[600] من المعطوفين[601] <ما بقي>[602] ببقية الأقوال. على أن كل قول منسوب لقائل واحد لا أكثر.

وأما الإتيان[603] بلفظة «مع» مرة ثانية، فيعلم أيضا انتهاء[604] القائلين قبل القائل الذي قبلها، ويكون الحكم فيما بعدها [أيضا] كالأولى. و<أمـا> القرينان فهما[605] أشهب

(591) استفدنا هذا من ظهر الكتاب الآتي الذكر.

(592) ن خ ع د 3582.

(593) كذا ورد العنوان في أول ورقة، وفي الترجمة المُذْهبة أتى بلفظ «الأحاديث الأربعون النبوية من رواية مولانا أبي الحسن سلطان الإسلام»؛ وليس على ظهر الورقة الأولى ما يدل على المؤلف، غير أنه بقراءة الكتاب، يظهر ما يعين على تعيين المؤلف في الصفحة 13.

(594) رموز المقابلة : غ : الغبريني. ب : البسيلي. [ ] : مزيد من البسيلي. ( ) مزيد من مقيد الغبريني.

(595) ب : تفرد.

(596) غ : بلفظ.

(597) غ : مضمومة.

(598) غ: انتهى.

(599) غ: نودي.

(600) غ: فيترك.

(601) غ: المعطوف.

(602) مطموس في «ب».

(603) غ: الأقوال.

(604) غ: انتها.

(605) ب: هما.

وابن نافع، لأنَّ العُتْبِيَّ قَرَنَهُما في السماع، بسبب أن ابن نافع كان أعمى، فكان أشهب هو الذي يكتب له[606]، حسبما[607] ذكره عياض [في «مداركه»]. و<أمّا> الأخوان فمُطَرِّف[608] وابن الماجشون، <بسبب> كثرة[609] موافقتهما[610] ومصاحبتهما في كتب الفقهاء[611] <كحمزة والكسائي في القراءات>».

إلى هنا ينتهي نص البسيلي، ويزيد عليه مقيد الغبريني بإضافات مهمة، نوردها لمزيد الفائدة :

«والشيخ، المراد به ابن أبي زيد؛ والإمام يريد به المازري[612]؛ والقاضي يريد به عبد الوهـاب، والصقلي يريد به ابن يونس. هذا مـا وجدنا من خط الشيخ القاضي العلامة تلميذ المؤلف[613] أبي مهدي عيسى الغبريني رحمه الله تعالى».

بقي لنا أن نتساءل عن الذي حذا بالبسيلي إلى أن ينتصب لشرح مختصر شيخه، وليس لقائل أن يقول: إنه نفس ما دَرَأَه إلى تدوين التفسير؛ لأننا نعرف أن ابن عرفة لم يدون تفسيرا كاملا، فكانت الحاجةُ ملحة إلى أن يُحتفظ بدروسه ضمن تأليف جامع. والواقعُ بخلافِ ذلك في المختصر، فهو تأليف مستقل لابن عرفة، واستغلاقُه من الشهرة بمكان، لدرجة أن تعقيد عبارته جعل مؤلفه يذهل في بعض المواطن عن مقصوده منها !. فظاهرٌ إذن أن مرادَ البسيلي كان تحليل التعقيد ـ على حد عبارة ابن غازي ـ، ولذلك جاء شرحه الوافي في مجلدات كثيرة يقول المؤلف عنها إنها مما «يقصر عنها العجز البشري، ويمنع من استيفائها الشغل الدنيوي».

2ـ تفسير القرآن الكريم :

كبير وصغير.

أـ الكبيـــر :

جمعه من إملاءات شيخه ابن عرفة، وزاد عليه من كلام غيره حسبما قرره في ديباجة الكتاب، حيث قال «تفسير على كتاب الله المجيد، قصدت منه جمع ما تيسر حفظه

---

(606) كذا بنفس اللفظ في «منار أصول الفتوى» لإبراهيم اللقاني (133).

(607) غ: على ما.

(608) ب: مطرف.

(609) ب: لكثرة.

(610) ب: توافقهما.

(611) انظر «منار أصول الفتوي» (133).

(612) لم أتبينها في «المقيد»، ولكنها معلومة عند الفقهاء؛ انظر «منار السالك» (55).

(613) القصد ابن عرفة.

وتقييده من مجالس شيخنا أبي عبد الله محمد بن عرفة رحمه الله تعالى، مما كان يبديه هو أو بعض حذاق طلبة المجلس، زيادة على كلام المفسرين وغيرهم، وأضفت إلى ذلك في بعض الآيات شيئا من كتب التفسير»[614].

وأغلب نسخه واقعة في مجلدين، ومنه عدة نسخ هذا تفصيل ما هو موجود منها في المكتبات؛ حسبما وقع العثور عليه:

– الخزانة العامة بالرباط :

خ ع ك–2038 : نسخة تامة خالية من البتر، تقع في سفرين.

خ ع ق–611 : سفران يتخللهما بتر.

خ ع ك–2118: سفر يشتمل على النصف الثاني فقط[615].

خ ع ج–34.

– الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط :

خ ح–98: سفران يتخللهما بتر من آخر سورة يوسف، حتى آخر سورة الكهف.

خ ح– 679: سفران يتخللهما البتر المشار إليه[616].

– خزانة الزاوية الحمزية بالرشيدية، إقليم تافيلالت:

رقم 93 نسخة تامة في مجلد ضخم، بخط أندلسي[617]، به ملزمة بخط مغربي من الورقة 740 إلى آخر الكتاب[618].

---

(614) «التقييد الكبير» (199/1).

(615) انظر في النسخ المذكورة آنفا «مخطوطات مغربية في علوم القرآن والحديث» بحث للمنوني بمجلة دار الحديث الحسنية، العدد الثالث : 58.

(616) انظر التعليق 34 من بحث المنوني، بمجلة البحث العلمي، عدد 7 - 1966، ص: 261–262؛ وأيضا «منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الملكية بالرباط» (73–74).

(617) «مكتبة الزاوية الحمزاوية، صفحة من تاريخها»، بحث للمنوني بمجلة تطوان، عدد8 - 1963: (111)، رقم المخطوط الترتيبي : 8.

(618) «دليل مخطوطات الخزانات الحبسية» (25/2).

رقم 693 نسخة تامة بخط مشرقي[619].

– دار الكتب الناصرية، بتامكَروت:

النصف الثاني في مجلد، بخط مغربي مبتور الطرفين تحت رقم 2862 [620].

– خزانة جامع القرويين، بفاس:

رقم 53 [621].

– دار الكتب الوطنية التونسية:

رقم 10972، مبتورة الأول[622].

– المكتبة الوطنية الجزائرية:

رقم 349. وذكر موقع وزارة الأوقاف الجزائرية على الإنترنت، أن بها نسخة منه في 428 ورقة، بمقياس 27 x 19.

– خزانة فيض الله أفندي باستانبول:

رقم 64 [623].

– قليج علي باشا، بتركيا:

رقم 101.

– المكتبة الوطنية بمدريد:

رقم CCCLXXXII [624].

– مكتبة ممّا حيدرة بتنبكتو، بالسودان:

رقم 2776 [625].

---

(619) «دليل مخطوطات الخزانات الحبسية» (257/2).

(620) «دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية» (36).

(621) «فهرس خزانة القرويين» (91/1).

(622) «كتاب العمر» (173/1).

(623) «كتاب العمر» (173/1).

(624) «الفهرس الشامل» (القرن الثامن) : 452.

(625) «فهرس مخطوطات مكتبة مما حيدرة للمخطوطات والوثائق» (1475/3).

- الرحلة الجغرافية للتقييد الكبير:

ذكر التنبكتي أن الكتاب وقع للأمير الحفصي بعد إلحاحه على البسيلي في المطالبة به، فَبَقِيَ بيده إلى أن توفي وبِيعَ في تركته فسافر به مشتريه إلى السودان، ومن هناك انتشرتْ نسخُه[626].

وتتبُّعُ نسخ التقييد الكبير يؤيد هذه الحكاية؛ إذْ أغلب النسخ منه ثاويةٌ بالمغرب، بالزاوية الحمزية ودار الكتب الناصرية، الموجودةِ في خطِّ السير إلى السودان في الجنوب المغربي، وما وُجد بخزانتي الرباط وعلال الفاسي فهي نسخٌ منقولة عن المتقدمة أو هي نسخٌ مشرقية مصرية، ليس يبعُدُ أنها وردَتْ على مصر من جارتها السودان، ثم استقْدَمَها الحجاج العلماء المغاربة في حجازياتهم.

ومما يعضد كلام التنبكتي أيضا، أنني عثرتُ على نسخةٍ من البسيلي بالسودان ناقصة، في 265 ورقة، بخط صحراوي سوداني، توجد بمكتبة ممّا حيدرة بتنبكتو رقم 2776[627].

ب ـ الصغير : نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد.

سياتي الحديث عنه في الفصل الثالث.

3ـ شرح المدونة :

لم نعثر له على ذكر فيما وقع لنا من فهارس المخطوطات، وأظنه كبيرا، بالنظر إلى حجم «المدونة» نفسها؛ ولو لم يذكر المترجمون أنه له شرحا على «المدونة» لكان لمتصفح تفسيره المختصر أن يلحظ ذلك الاهتمام بها، والحشْدَ الوافرَ من النقول المتقَنة عنها (31 مرة)، خلاف ما اعتدناه على البسيلي من النقل بالمعنى.

4ـ شرح على الخزرجية في العروض :

والخزرجية هي قصيدة الرامزة في علم العروض، لضياء الدين عبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي (ت 626هـ)، عِدَّتُها 96 بيتا، وفاتحتها :

(626) انظر مطلب «قصة اختصار التقييد الكبير».

(627) «فهرس مخطوطات مكتبة مما حيدرة للمخطوطات والوثائق» (1475/3).

وَلِلشِّعْرِ مِيزَانٌ تُسَمَّى عَرُوضَهُ بِهَا النَّقْصُ والرُّجْحَانُ يَدْرِيهِمَا الْفَتَى[628]

وهذا الشرح معدودٌ في المفقود. وإقدام البسيلي على شرحها دليلٌ على علمه بالعروض، ومشاركتِه في فنون الأدب. بلْ إنه تعاطى لصناعة النظم، فمِنْ ذلك ما ذكره عن نفسه من نظمه لقصيدةٍ مديحٍ رَفَعَهَا إلى أبي فارس قال فيها:

وأفعالُه ينْوي بها البرَّ كلَّها فمنْ قصْده صار المباحُ تعبُّدا
فإمَّا رِباطاً إنْ أقام بِساحلٍ وإمَّا جهادا إن توجَّه للعِدَا[629]

5 ـ شرح على جمل الخونجي في المنطق[630] .

وهذه الثلاثة التآليف الأخيرة ذكرها الرصاع تلميذ المصنف، بعد أن قال : «وله تواليف عديدة، وتصانيف حسنة».

وهناك نشاط علمي اضطلع به البسيلي غير التأليف، وهو تلك المداخلاتُ التي كان ينشط بها حلقة ابن عرفة، والتي كانت تَلْقى من ابن عرفة القبول والاستحسان، حسبما صرح المؤلف، عند قوله تعالى : ﴿إِنَ أَرَدت أَن أَنْصَحَ لَكُمُ إِنْ كَانَ الله يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[631]، حيثُ رَدَّ على البيضاوي استدلاله بالآية على صحّةِ إرادته بالإغواء، بما أوردَه الفخر من أن ملازمة الشيء للشيء لا يدل على وقوعه ولا على إمكان وقوعه، ثم قال البسيلي عقيبه : «وقد ذكرتُ هذا في مجلس درسِ شيخنا ابنِ عرفة فاستحْسَنَه»[632].

* * * * * *

تـنـبـيـه :

نسب بعض المترجِمين[933] للبسيلي تقييدا في الوفيات؛ وليس للبسيلي كتاب في هذا الفن، والذي أوهمهم هذا الأمْرَ عبارةُ التنبكتي التالية ـ عند ترجمته لابن بزيزة ـ : «لم أقفْ على تاريخ وفاته، ثم رأيت في تقييد للبسيلي ما ملخصه:...»[634]. والمقصود لدى صاحب «نيل الابتهاج» هو «نكت وتنبيهات» الصغير، موضوع تحقيقنا[635]، لا غيره.

(628) انظرها في «مجموع المتون» (765—774).
(629) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 850.
(630) «فهرست الرصاع» (175 ـ 177).
(631) هود : 34.
(632) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 340.
(633) «تراجم المؤلفين التونسيين» (1 /104)؛ «مقدمة» د. الطوالة للتقييد الكبير (45/1).
(634) «نيل الابتهاج» (268).
(635) انظر (ن خ ع ق 271) : 4 ـ ظ.

المبحث السابع :
علاقته بالحفصيين

شحَّتِ المصادر في هذه البابة، وكلُّما باليَدِ رفْضُ البسيلي تسليمَ الأمير الحسين الحفصي «التقييد الكبير» ومماطلتُه في ذلك، ثم رضوخُه وتسليمُه آخِرَ الأمر، بعد أن كلِفَتِ الرسلُ ببابه لا تَرِيم أو تعود بالطِّلبة. وهي حكايةٌ إن لم تدُلَّ على ما ساء مِن علاقة الرجلين - ربما بسبب المجايَلَة -، فلا أقلَّ من إيماضها إلى ازْورارٍ من البسيليِ عن مخالطة الأمير أو قصْدِ التزلف إليه، وقد كان بمسْطَاعِهِ أن يفعل؛ وبالنظر إلى زهَادَةِ الرجل وإيثارِهِ خمولَ الذكر، فقد كان عازفاً عن ذوي المناصب السياسية بإيحاءٍ مِنْ سَنَنِ شيخِه[636]، ناهيك أنه أثبت - هو نفسُه - من فَلَتَات ولَفَتَات ابن عرفة في التفسير، ما يمكنُ أن يفسِّرَ تحاشيه الأمير، فقد أورد عند قوله تعالى : ﴿فَلَنَ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[637]، قولَه : «ابن عطية : احتج العلماء بها على مَنْعِ خِدْمَةِ الظَّلَمَة. قال شيخنا أبو الحسن محمد البطرني : سئل سيدي أبو الحسن المنتصر عن خياطة الثياب لهم، فقال : النظرُ في صانع الإبرة، وأما الخياط ففي قعر جهنم!. قال شيخنا ابن عرفة: يريد : إنْ كان خاصّاً بهم، كما قال ابن رشد فيمن يخيط للكفار»[638]. وذلك أيضا واضح عند قوله : «وَوَقعَ لابن خليل - يعني السكوني - في شرحه أن السلطان لو أَمَرَهُ إذا دُعي إلى معصية فإنه يجبُ اتباعه؛ وهذا خطأٌ صُراح، وحديث مسلم في كتاب الإمارة يرد عليه»[639].

وإقراؤُه بسقيفة داره كثيرا[640]، دون المدارس الكثيرة المنتشرة، قرينةٌ على حبِّه للخمول، وتلافيه لمقاربة ذوي الأمر، سيما إذا عُلِمَ أن المدارس بمدرسيها وطلابها،

(636) لاحِظْ أن ابن عرفة رفض القضاء ومناصب أعلى، مكتفيا بالمناصب الشرعية. ن «الحلل السندسية» (589/1).

(637) القصص : 17.

(638) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 572.

(639) «التقييد الكبير» (ص): 674.

(640) «فهرست الرصاع» (177).

كانت تدين لبُناتها وأعقابهم بالجِرَايات وأسباب الإمداد، ولم يكن يدرِّسُ بها إلا من أوتي بسطةً في العلم، ورضا من السلطان، وليست البسطةُ بِشَفيع ما لم يكاتِفْها رضا.

على أن البسيلي وإن لم يتولَّ مناصب رسمية ـ فيما نعلمه عنه ـ، ولم يفارقِ انقباضَه عن أولي الأمر، فإن ذلك لم يمنعْه من المساهمة العلمية حين يقتضي الأمر، فقد ذكر عن نفسِه ـ عَرَضا ـ أنه شارك في مقابلة كتُب خزانة أبي فارس بجامع الزيتونة[641]، ولم يحُلْ بينه وبين حُسن الثناء على ملوك بني حفص، وإيلائهم من الاحترام والطاعة ما يجب لأمثالهم، فهو يقول في موضعٍ من تفسيره، إثْر كلام طويل : «... قال كاتبه ـ عفا الله عنه ـ : وهذه سيرةُ مولانا السلطان صالح السلاطين... أبي فارس عبد العزيز بن مولانا أمير المومنين أبي العباس أحمد، في أفعالِه كلِّها مسافرا أوحاضرا ـ يريد بروره وقصده للخير ـ؛ وقد ضمَّنْتُ هذا المعنى في قصيدةٍ نظمتُها له، قلتُ فيها :

وأفعالُه ينْوي بها البِرَّ كلَّها فمِنْ قصْدِهِ صار المباحُ تَعَبُّدَا
فإِمَّا رباطا إنْ أقامَ بِسَاحِلِ وإمَّا جهادا إنْ توجَّه للعِدَا»[642]

---

(641) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 116) : 224.

(642) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 116) : 850.

المبحث الثامن :
صفاته الخلقية والأعمال التي تولاها

أ ـ صفاته الخُلقية :

مما يشهدُ له الشرع، وتؤيِّدُه العادة، أنَّ مَن نشأ في حِجْرٍ نقيٍّ طاهر، وأُرْضع حُبَّ القرآنِ على صِغَر، وتَنَقَّلَ في أطوار الحياة، يُسْلِمُه طوْرٌ لطور، وهو يعُبُّ من حياض العلم، ويتفيؤ ظلالَ مجالسه، لا يمكن ولا ينبغي له إلا أن يكون شخصا متخلِّقا أُشْرِبَ حب الدين، وبدا ذلك في سلوكه، وصار سمة لازبة له؛ والبسيليُّ لم يعدم الأصلَ الطيّب، فقُعْدُدُ نسبِه يزدان بصدور العلم، ورجال المحاريب، وهو نفسُه قد فتح مغاليق عينيْه وهو في المكتب يحفظ القرآن ويجوده، وقد أنفق بعْدُ شطرا من عمره يلزم ابنَ عرفة ـ يقرأ ويقرئ ـ، فلا بِدْعَ أن يكون صاحبُنا كما وصفه تلميذه وأعرف الناس به، أبو عبد الله الرصاع، حيث قال : «وكان شيخنا هذا عالما... عليه وقار... كثير الصمت، قليل الخوض فيما لا يعني؛ عليه آداب العلم من وقار وسكينة».

صفةٌ أخرى، لا تخطئُها العين في تلافيف كتاب البسيلي، وهي إنصافُه البالغ، وذلك داعيه ـ مثلا ـ إلى أن يخلع صفة الحذق على قرينٍ له في الطلب، حين أنشدَه تخميسا لأبيات للأبي في ابن عرفة[643]. وحاديه إلى أن ينقلَ عن تآليف مخالفي ابنِ عرفة، دون أن يكون لما شَجَرَ بينهما دخلٌ في الاستفادة العلمية، كنقْلِهِ عن الضرير المراكشي[644]، وابن خلدون[645].

(643) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 597. وتقدمت الأبيات لنا عند التعريف بابن عرفة.

(644) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 709. وذلك قوله : «ذكر الضرير في أرجوزته : إما أنه حمد نفسه في الأزل، وإما أنه مقدر في الأزل حمدُ خلقه له». قلت : وظاهرُ ما نقلَه أنه شرحٌ لبيت الأرجوزة أو نثْرٌ له.

(645) ن الإشارة إلى هذا الأمر بذيل ترجمتنا للخلدوني.

وليس يخفى على القارئ اللبيب نزوعُ صاحبنا إلى التصوف، وتبجيلُه الجلي للقوم، فهو يحكي عن أبي محمد المرجاني[646]، وأبي الحسن المنتصر[647]، بلفظ سيدي[648]. ويصِفُ المتصوفَ أبا محمد عبد العزيز المهدوي بالشيخ الصالح العالم[649]، وهي أوصاف لم يُحَلِّ بها غيرَ شيخِهِ وعمِّه. بل إنه لَيَعتقد فيهم اعتقادا لا يخامره ريب، وينقل حكاياتهم من غير توقف؛ فقد قال عند قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾[650]:

«فإنْ قلت: قد قيل إن هذه الهيئة العادية[651]، التي عند قرطاجنة، من بناءاتهم؛ وقد أَخْبَرَ سيدي محرز[652] في «كتاب كراماته» أنه التقى عند المعلقة بالخضر عليه السلام فأخبره بذلك، وبأشياءَ من أمورها غير واحدة»[653]. قلت: ليس على الله بمستكثر أن يخص من يشاء أنى شاء بما يشاء من مواهب الفيوضات، وفتوحات الغيب، ولكن حكايات الصالحين وكرامات الأولياء رضوان الله عليهم، لا تصلح دليلا على كلام الله، ولا حجة يستنصر بها المتأول لمعاني الذِّكر.

وهو بعدُ ينقل عن أصولٍ للتصوف، كرسالة القشيري[654] وحلية أبي نعيم[655]، وإحياء الغزالي[656]؛ بل إنه لينقل نصا طويلا عن أبي مدين شعيب الأندلسي - أحد القائلين بوحدة الوجود -[657]، وينشد أبياتا تنسب للشوذي المتصوف الغالي، صاحب النحلة[658].

---

(646) ن «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611): 533؛ 895.

(647) ن «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611): 572.

(648) يُؤيّد ما ذهبنا إليه، قول أحمد المقري الجد - سلف المؤلف - في «أزهار الرياض» (71/5): «الشيخ الصالح أبو الحسن المنتصر، وارث طريقة الشيخ أبي محمد المرجاني، آخر المذكورين بإفريقية».

(649) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 60 ظ.

(650) الحاقة: 8.

(651) لعلها نسبة لعاد، كناية عن الضخامة والعظم، كما نقول للرجل الجسيم، هو عادي الخلق، والله أعلم.

(652) كذا هي في «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611)؛ وعوضها في (ن خ ع ك 2038 مج 2: ورقة 193) و(ن خ ع ح 34: 530 - 531): «سيدي محمد»، وأظنه تحريفا من النساخ، والأصوب ما أثبت إن شاء الله.

(653) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611)؛ (ن خ ع ك 2038: مج 2: ورقة 193)؛ (ن خ ع ح 34: 530 - 531).

(654) ن «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611): 667.

(655) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 137 و.

(656) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 152 ظ.

(657) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 60 ظ. ون أيضا لزاما التعليق بالحاشية.

(658) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 131 و. والتعليق بالحاشية.

ولكن البسيلي متصوف على طريقة الزهادة والأخذ بالرقائق، ولذلك نأى عن شطحات بعض المتصوفة، ولم يُحْجِمْ أن يرد عليهم، فعندما نَقَلَ عن أبي عمرو عثمان الصقلي قولَ ابنِ عربي الطائي في قوله تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾[659]، أن المراد به طلوع شمس الحياة من مغرب الأبدان!، تدخّل وقال : «قلت : هذا لاينبغي اعتقاده»[660]. وحين عَرَضَ لحديث «من رآني فقد رآني حقا»، ذَكَرَ مذاهب أهل العلم في تأويله دون أن يحمله على مقتضى ظاهِرِه، كما يفعل بعضُ غلاة المتصوفة، ثم قرَّرَ أنه لا يثبتُ حكمٌ بالمرائي النومية[661].

ب ـ الأعمال التي تولاها :

نذر البسيلي نفسه للعلم، فلم يُنقل عنه أنه تولى منصبا سياسيا أو إداريا أو رسميا، بل اقتصر على التدريس بالمدرسة الحكيمية أو الإقراء بسقيفة داره، حيث كانت تقصده الطلبة تسأله عن المسائل المشكلة[662].

---

(659) يس : 38.
(660) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 640.
(661) «تكملة ابن غازي» (22 ظ).
(662) «فهرست الرصاع» (176 ـ 177).

المبحث التاسع :
ثناء العلماء عليه

- **الرصاع :**

أ - «الشيخ الفقيه العالم»[663].

ب - «كان عالما مشاركا»[664].

ج - «كان عارفا بالمنطق»[665].

د - «كان الرجل كثير الصمت قليل الخوض فيما لا يعني ، عليه آداب العلم من وقار وسكينة، وكان يقرئ بسقيفة داره كثيرا، وتقصده الطلبة تسأله عن المسائل المشكلة»[666].

- **أحمد بابا التنبكتي** : «الشيخ العالم المفسر[667]، المحصل»[668].

- **ناسخ «محاذي مختصر ابن عرفة الفقهي»** للبسيلي[669] «الشيخ الفقيه الإمام المتفنن».

- **الأدنه وي** : «العالم التقي الفاضل الزكي الشيخ »[670].

- **الزركلي** : «مفسر من أهل تونس»[671].

- **محمد محفوظ** : «الفقيه المفسر»[672].

---

(663) «فهرست الرصاع» (175).

(664) «فهرست الرصاع» (175).

(665) «فهرست الرصاع» (175).

(666) «فهرست الرصاع» (176–177).

(667) «نيل الابتهاج» (115).

(668) «كفاية المحتاج» (108/1).

(669) الورقة 1.

(670) «طبقات المفسرين» (63/1–64).

(671) «الأعلام» (227/1).

(672) «تراجم المؤلفين التونسيين» (103/1).



الفصل الثالث

○○○○○

دراسة الكتاب

وفيه مباحث :

1 ـ اسم الكتاب وتوثيقه.

2 ـ تحقيق نسبته إلى البسيلي.

3 ـ قصة اختصار التقييد الكبير، وتاريخه التقريبي.

4 ـ منهج البسيلي في الكتاب.

5 ـ مصادر البسيلي في ((نكت وتنبيهات)).

6 ـ المقارنة بين تقييدين عن ابن عرفة : تفسير البسيلي وتفسير أبي القاسم الشريف السلاوي.

7 ـ عناية العلماء بتفسير البسيلي والنقل عنه.

8 ـ مآخذ على المؤلف.

9 ـ عمل ابن غازي في ((تكملة النكت)).

10 ـ نقد تحقيق مقدمة ((نكت وتنبيهات)).

11 ـ وصف النسخ الخطية ومنهجي في التحقيق.



المبحث الأول :
اسم الكتاب وتوثيقه

جُلُّ المترجمين يطلقون على الكتاب «التقييد الصغير»، تمييزا له عن الكبير، وهم في ذلك لا يستندون إلى تسميةِ الشيخ لكتابه، ولا لتسْمية المترجمين، متجاهلين الصنيع الأسلم من استخراج التسمية من صلب الكتاب حين لا يسميه مؤلفه. وعذيري في تسمية الكتاب بـ«نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد»، أمور ثلاثة : الأول أنها تسمية مأخوذة عن كلام المؤلف في ناصية الكتاب: «قصدت في هذا التقييد جمع نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد»[673]، والثانية أن هذا العنوان ورد هكذا في مخطوطتين للكتاب : ن خ ع ق 271 ون الزاوية الحمزية رقم 693[674]. الثالث، أنها التسمية الأكثر إعرابا عن مضمون الكتاب ومادته، ناهيك أن وصف الكتاب بالتقييد، يغض من شأنه؛ إذْ عهد الباحثون أن التقاييد لا تتخذ شكل التأليف المنهجي المستقل، ووقر عندهم أنها إلى التعليقات العابرة أقرب، وبالكناشات المدرسية أشبه، والله أعلم.

---

(673) «نكت وتنبيهات» (ق): 1 و.

(674) «دليل مخطوطات الخزانات الحبسية» (257/2).

المبحث الثاني :
تحقيق نسبته إلى البسيلي

ما من شك في صحة نسبته إليه، فقد صرحت بذلك مصادر كثيرة، منها :

– نيل الإبتهاج، لأحمد بابا التنبكتي : (77).

– كفاية المحتاج : (108/1؛ رت : 51).

– الحلل السندسية، للوزير السراج : (ج1 / ق 3 : 650).

– تكملة ابن غازي : 1–ظ.

إضافة إلى التصريح بالنسبة في كل نسخ الكتاب المخطوطة.

المبحث الثالث:
قصة اختصار التقييد الكبير وتاريخه التقريبي

أ - تاريخ تأليفه:

حضر البسيلي درس ابن عرفة سنة 783هـ، حسبما أفاد طَيَّ تفسيره[675]، ومكث بعد ذلك عشرين حجة يتتلمذ لشيخه، يختمُ عنده التفسير، وهي مدة ليست باليسيرة، تخوِّل لصاحبنا أن يبدئ ويعيد في تنقيح مسودة كتابه ومدوّناته، بل نفْض يده منه، ولكنه عكْسَ المتبادِر لم يأت على إتمامه إلا بعدَ وفاة شيخه، بل بعدَه بأربع سنوات على الأقل؛ تأويلُه أنك تجده ينقل عن ابن عرفة - وهو يتحدث بلسان الأشاعرة - أنه «يجوز أن يَقْدِرَ الجسم اللطيفُ على حمل الجسم الكثيف... ويشهدُ لهذا ما جرى في عام 771هـ، كيف رَمَتِ الريحُ الأشجار العظيمة. قلت - (أي البسيلي) - : ووقع مثلُه بتونس في عام ستة وثمانمائة (806هـ)، وُجد في صبيحة تلك الليلة كثيرٌ من الأشجار العظيمة من الزيتون وغيره، ورأيتُه عِيانا مطروحا على وجه الأرض»[676]، وهو يذكر في موضع آخر تاريخ 808هـ[677].

ونخلُص مما يَشف عنه هذا النص إلى ما يلي:

– أن البسيلي مكث يؤلف كتابَه أو يتعهده على الأقل حتى بعد وفاة ابن عرفة، ويقْوَى هذا الأمرُ بضميمة أننا نجد في "نكته" الصغرى[678] والكبرى[679]، ترجمة محررة لابن عرفة وضبطا لتاريخ وفاته.

---

(675) «نيل الابتهاج» (115)؛ «الحلل السندسية» (650).

(676) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 666.

(677) ن «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 224.

(678) «نكت وتنبيهات» (ن خ ع ق 271) : 106–ظ.

(679) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 69–70 ؛ 596 - 597.

– أن البسيلي لم يبرحْ تونس بعد وفاة ابن عرفة، حيث ألفته سنة 806هـ ثمة، مما مكَّنه من الشهادة على الإعصار الذي ضرب المدينة، ثم هو يذكر أنه قرأ "الشفا" على أبي الفضل بن القاسم بن أبي الحسن علي الأندلسي، بجامع الزيتونة، سنة 808هـ.

– أن مطالبة الأمير محمد بن أحمد الحفصي المعروف بالحسين ـ ابن السلطان أبي العباس التونسي، وأخ السلطان أبي فارس صاحب تونس ـ صاحبَنا بالتقييد الكبير، كانت بالبتِّ بعد سنة 808هـ وقبل سنة 830هـ، ولهذه المطالبة قصة سترِدُ بعد :

ب ـ قصة اختصار "التقييد الكبير" :

ساق التنبكتي قصةً ذاتَ دلالة ـ تلقَّفَها عنه المؤرخون من بعدِه ـ؛ مفادها أن البسيلي لما أتم تأليف "التقييد الكبير"، سمع بذلك الأمير الفقيه الحسين، الآنفُ الذكر، فراسَلَه وطلبه منه، فامتنع البسيلي ومَاطَلَه أياما، ثم أرسل الأميرُ إليه وأمر رسلَه أن لا يفارقوه حتى يسلِّمَه لهم، فلما رأى الشيخ الجِدَّ في الأمر، أَخَذَ منه سورة الرّعد إلى الكهف، ودَفَع لهم الباقي فمشوا به[680].

وتشي القصةُ بأن ما بين الأمير والبسيلي مِن وُدِّ الصحبة أيامَ الطلب قد انفرط عِقْدُه بعروج ذاك إلى مِرْقَاة الحكم ـ إذْ حاول تَسَنُّمَ ذُرَاهُ بانقلاب فاشل أوْدى به ـ، وانزواءِ هذا في دارِه مقرئا بسقيفتها، أو لعله على الأقل قد وَهَى إلى قدْرٍ لم يَدَعْ دَالَّةً للأمير على صاحبه، ولا درأه إلى موافاته بطَلِبَتِه؛ ولسنا على ذُكْر من الداعيِ للبسيلي أن يمنع الأمير مُرَادَه، فلعله أن يكون قد فرغ من "التقييد الكبير" ولما يَرْتَضِ إبرازَه لِبَدَاءٍ أو تنقيح أو تلَبُّثٍ، وإخراجُه من يده قاطعٌ لأي تغيير واردٍ بعدُ.

ويبدو من إصرار الأمير على تحصيل الكتاب وإلحاحِه في ذلك، مبلغ ما يعرفه للكتاب من قدْر؛ وهو أهلٌ لأن يعرفه، فقد كان من جِلَّة فقهاء تونس وعلمائِها[681].

أمرٌ آخر تصرح به قصة "كفاية المحتاج"، وهو أن الداعي لاختصار التقييد الكبير، هو مطالبةُ الأمير؛ ولعل ذلك ما أَعْجَلَ صاحبَنا عن إتمام اختصاره، حين خلتْ يدُه من الأصل، فوقَفَ اختصارُه عند سورة الصف.

---

(680) «كفاية المحتاج» (158/2)؛ «الحلل السندسية» (1/ق3 : 650)؛ «فصلة تصف...» (هامش رقم 34، ص : 262)؛ «كتاب العمر» (172/1)؛ «تراجم المؤلفين التونسيين» (104/1).

(681) ن ترجمته في مبحث «رعاية خلفاء بني حفص للحركة العلمية».

المبحث الرابع:
منهج البسيلي في الكتاب

1- اعتماده على القرآن الكريم:

لا غِنى للمفسر عن تلمُّس معنى الآية في القرآن إنْ وُجِدَ، إيضاحاً لمبهم، أو تفصيلا لمجمل، أو دفْعا لتعارض، أو تدليلا لحكم، أو استظهارا لمعنى، وقد استغل البسيلي هذا المعطى ووظّفه خلال كتابه وإنْ بشكل محتشم، بيْدَ أنه لم يتضح عنده اتضاحا يصبغُ تفسيره بميسم أَثَرِيٍّ، وإنما كان يلتمع خلال الكتاب على استحياء.

وهو لا يلتزم عند ذكر الآية إيرادَها برُمَّتها، بل يقتصر في الجُلِّ على موضع الشاهد منها، حتى إذا طالتْ أطلق لفظ الآية تعويلا على القارئ الحافظ، وهو لا يذكرُ اسم السورة إلا لماما بلْه أن ينُصَّ على رقمها.

فتارة ياتي بآيات نظيرةٍ في اللفظ، مستقْريا وجودَها في القرآن، لإجرائها على وجهٍ واحد في التأويل، كما في قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ﴾[682]، حيث قال: «لَهَا نظائِرُ في آل عِمْرَان[683] ﴿فزَادَهُمْ إِيمَاناً﴾، وفي الأنفال[684] ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾، وفي بَرَاءَة[685] ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾، ﴿فزَادَتْهُمْ رِجْساً﴾[686]، وفي مرْيم[687] ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً﴾، وفي النَّحْل[688] ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ﴾، وفي الأحْزَابِ[689] ﴿يُضَاعَفُ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾، وفي الفتح[690] ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾، وفي

(682) البقرة: 10.
(683) الآية: 173.
(684) الآية: 2.
(685) الآية: 124.
(686) براءة: 125.
(687) الآية: 76.
(688) الآية: 88.
(689) الآية: 30.
(690) الآية: 4.

القتال[691] ﴿وَالذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً﴾، وفي المدثِّر[692] ﴿وَيَزْدَادُ الذِين آمَنُوا﴾»[693].

وحيناً يورِد نظير الآية في المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿قلَ اَتَّخذتُّمْ عِندَ اَللَّهِ عَهْداً﴾[694]، حيث قال: «ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة﴾ الآية[695]، إلى قوله: ﴿قل هاتوا برهانكم﴾[696]»[697]. ومثل ذلك أيضا قوله عند قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْت هَذَا بَاطِلاً﴾[698] إذ قال: «ومثلُ هذه الآية، ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ والارْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاّ بالحقِّ﴾[699] ولها نظائر[700]»[701]. وكقوله عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ اَلْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾[702]: «هذا كقولِهِ: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يلْتَقِيَانِ بيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾[703]»[704].

وقد يجمع بين التنظير اللفظي والمعنوي كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنَ اَظْلَمُ﴾[705]، حيث قال: «وَقَع هذا اللفظُ في آيات[706]، والجمعُ بينها بالتساوي»[707].

(691) الآية: 17.
(692) الآية: 31.
(693) «نكت وتنبيهات» (ق): 16 ظ.
(694) البقرة: 80.
(695) البقرة: 111.
(696) البقرة: 111.
(697) «نكت وتنبيهات» (ق): 17 و.
(698) آل عمران: 191.
(699) الأحقاف: 3.
(700) كقوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ [ص: 27]؛ وقوله: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ [الدخان: 38].
(701) «نكت وتنبيهات» (ق): 34 ظ.
(702) النمل: 61.
(703) الرحمن: 19.
(704) «نكت وتنبيهات» (ق): 90 ظ.
(705) البقرة: 114.
(706) نظائر هذه الآية واقعة في المواضع التالية: البقرة: 140؛ الأنعام: 21 - 93 - 144 - 157؛ الأعراف: 37؛ يونس: 17؛ هود: 18؛ الكهف: 15 - 57؛ العنكبوت: 68؛ السجدة: 22؛ الزمر: 32؛ النجم: 52؛ الصف: 7.
(707) «نكت وتنبيهات» (ق): 18 ظ. وانظر نماذج أخرى أيضا في الكتاب عند قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ (البقرة: 274): 20 و. وعند قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى﴾ (آل عمران: 39).

وقد ياتي بالآية مفسِّرة لمصطلح شرعي، فقد استدل بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾[708]، على أن الخلق في الشرع قد يُطلق تارة على المخلوق، وتارة على "الإنشاء والاختراع والتكوين" كما في قوله تعالى[709]: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماوات﴾[710].

ولربما ياتي بالآية تخصِّصُ عمومَ أخرى، كصنيعِه عند قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ﴾[711]، فقد قال: «هذه أعمُّ من آية ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَن أَحْبَبْت﴾[712]؛ لاقتضاء هذه نفيَ التكليف بالهداية، وإثباتَ القدرة عليها لله تعالى؛ وتلك اقتضت نفي كون الهداية مقدورة له، وإثبات القدرة عليها لله تعالى»[713]. ومثل ذلك قوله عند قوله جل وعز: ﴿أوِ انفِرُواْ جَمِيعاً﴾[714]: «هي مخصوصة بآية ﴿وَمَا كَانَ المُومِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾[715]»[716]. وعند قوله تعالى: ﴿إِلا أَن تَفْعَلُواْ﴾[717]، قال: «هو أعم من قوله: ﴿وَأُولُوا الاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾»[718]. وقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[719]: «يجب تخصيصه بقوله تعالى: ﴿ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾[720]، كما خصص به صدر تلك الآية، وهو ﴿وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾[721].

ومرة ياتي بآية تعضد ما استشفه من معنى في الآية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ الله لِلنَّاسِ الشَّرَّ اَسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْر...﴾[722]، حيث قال: «الآية تدلّ على مَرْجوحية الاستعجال مطلقاً؛ كما في قوله[723]: ﴿إِنَّ هَوُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾[724].

(708) المومنون: 14.
(709) آل عمران: 190.
(710) «نكت وتنبيهات» (ق) :33 ظ.
(711) البقرة: 272.
(712) القصص: 56.
(713) «نكت وتنبيهات» (ق) : 18 ظ–19 و.
(714) النساء: 71.
(715) التوبة: 122.
(716) «نكت وتنبيهات» (ق) : 42 ظ.
(717) الأحزاب: 6.
(718) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 99 و.
(719) الزلزلة: 8.
(720) البقرة: 286.
(721) «تكملة النكت» : 14 ظ.
(722) يونس: 11.
(723) الإنسان: 27.
(724) «نكت وتنبيهات» (ق) : 52 ظ.

وقد ينتقد تفسيرا للآية، فيستشهد على ما يخالفه بنص قرآني، كقوله عند قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾[725] : «قولُ ابنِ عطية : أَضمر في نفسِه خيفةً، أعني أَدْركَ خيفةً». صوابُهُ : تَصَوَّرَها في ذهنِهِ لاَ أَدْرَكَها؛ لقولهِ تعالى[726] : ﴿إِنِّي لاَ يخَافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ﴾»[727].

وهو حين يقرر قاعدة نحوية، يطلب لها شاهدا قرآنيا، كما في قوله[728] : «"لَوْ" إنما تدخلُ على ما يُتوهم إخراجُه مما قبله، حسبما قاله النحويون... في قولِهِ تعالى : ﴿وَمَا أَنتَ بِمُومِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[729].

وقد يوضّح فرقا لغويا، فينتصر له بالتعبير القرآني، كما فعل عند تفريقه بين الإفك والكذب، حيث قال في قوله سبحانه : ﴿إِفْكٌ﴾[730] : «الإفْكُ ما خالفَ العلْمَ الضَّروريَّ، والكذِبُ ما خالفَ النَّظريَّ؛ ولِذا قالَ : ﴿إِنَّ الذينَ جاءوا بالإفْك﴾[731] ولَمْ يقلْ "بالكذِبِ"»[732].

وأحيانا يورد الآية للاستدلال بها على حكم فقهي، كقوله : «قلت : واستدل المالكية على أن العظام من أجزاء كل حيوان تابع للحمه؛ فمتى حكمنا للحم بالطهارة حكمنا بذلك للعظم، لأنه مما تحله الحياة، لقوله تعالى : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[733]»[734].

2- إيراده للقراءات القرآنية :

لم يقتصر جهد البسيلي على نقل القراءات كزوامل الأسفار، ولا التكثر بها، بل وظفها أحسن توظيف، وتمثلها في تفسيره أحسن تمثل، واعتبرها من أعون الوسائل

(725) طه: 67.
(726) النمل: 10.
(727) «نكت وتنبيهات» (ق) : 80 ظ.
(728) «نكت وتنبيهات» (ق) : 53 و.
(729) يوسف: 17.
(730) الفرقان: 4.
(731) النور: 11.
(732) «نكت وتنبيهات» (ق) : 84 ظ.
(733) يس: 79.
(734) «نكت وتنبيهات» (ق) : 123 و.

على فهم معاني كتاب الله، باعتبارها وجوها دلالية أغنت المعنى، ويسرت القرآن للذكر. وأول ما يناسب ذكره هنا أنه يقدم القراءة المتواترة أبدا، دون أن يمنعه ذلك من إيراد الشاذ، ناصّا عليه، ذاكرا إياه بذَيْل الأول.

وغالبا ما يوردُ القراءة للاحتجاج بها على وجْهٍ نحوي، أو لتوجيهها؛ وهذه أمثلة من ذلك :

- **المثال الأول** : قوله : «إن العامل إذا أُضْمِر ضعُف عملُه، وإذا تقدّم معمولُه عليه ضعف عملُه أيضا، تقول :"لزيد ضربت"، ولا يجوز : "ضربت لزيد" إلا في ضرورة، وتقول : "ضربت زيدا"، فإنْ قدَّمْتَ "زيدا" جاز رفعُه على الابتداء لضعف عاملِه بتأخيره عنه؛ ومنه : ﴿وَكُلٌّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾[735] على قراءة ابن عامر»[736].

- **المثال الثاني** : قوله عند آية : ﴿وَمَا ظَنُّ الذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ﴾[737] : «أبو حيان : العاملُ في "يَومَ" "ظنّ" المصدرُ، على قراءةِ الجمهور بالرفع. وأَما على قراءةِ "ظنَّ" : ماضياً هو بمعنى "يظن" لعملِه في المستقبل. ع : «وعلى القراءتين لا يصحُّ عملُه في "يوم"؛ لأن يوم القيامة لا ظنَّ فيه، إنما فيه اليقينُ، بل العامل محذوفٌ تقديرُه على قراءةِ الجمهور : ما حالُهم يوم القيامة ؟، وعلى القراءة الشاذة : ما جزاؤُهم ؟»[738].

- **المثال الثالث** : قوله عند قوله تعالى : ﴿مَا هَذَا بَشَراً﴾[739] : «وقراءَةُ الجمهُورِ على لغةِ أهْلِ الحجازِ في عَمَلِ "مَا". وقراءةُ ابنِ مسْعودٍ برفْعِ ﴿بشراً﴾ على لُغَةِ بني تميم»[740].

وقد يؤيد وجها نحويا بقراءة؛ فمنه ترجيحه أن معنى "مثل" في قوله تعالى : ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾[741]، أي "صفة" - وفاقا لأبي حيان -، لا "شبه"، كما قال الفارسي، محتجا لذلك بأن قراءة "أمثال" تؤيد أنه بمعنى صفة؛ لأن "شبه" مصدر، وهو لا يثنى ولا يجمع[742].

(735) النساء: 95.
(736) «نكت وتنبيهات» (ق) : 12 ظ.
(737) يونس: 60.
(738) «نكت وتنبيهات» (ق) : 54 ظ.
(739) يوسف: 31.
(740) «نكت وتنبيهات» (ق) : 63 و - 64 ظ.
(741) يوسف: 35.
(742) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :71 و.

وهو لا يمانع أن يفاضل بين القراءات أيها أبلغ، كقوله عند قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ ﴾[743] : «قرأ يعقوبُ بفتح السِّين على أنّه مصْدرٌ، وقراءَ ةُ الجماعةِ بكسْرها أدْخَلُ في الشِّدَّةِ؛ لأنَّه اسْمُ مفعولٍ يدُلُّ على قبْحِ المكانِ المُعَدِّ لذلك»[744].

وقد يوجه القراءة على مقتضى الاختلاف، كقوله في ﴿خَيْرٌ﴾[745] : «هو على قراءة الغيبة في ﴿يَجْمَعُونَ﴾ فَعْلٌ، وعلى قراءة الخطاب فيه أَفْعَل[746]. وقوله في : ﴿نُدْخِلْهُ﴾[747] : «قول الزمخشري : «هو على قراءة الغَيْبة التفاتٌ»، هو على مذهب السكّاكّي في مثل هذا؛ لأن المعنى "تلك حدودُنا، ومنْ يطعْنا"؛ وخالَفَه غيرُه. وأمّا على قراءة التكلُّم، فكونُه التفاتاً بَيِّن»[748].

ومما يميز تعامل المؤلف مع القراءات، أنه يحاذي قصيد الشاطبي، ويتتبع بعض مشكلاته، ويتعهده مرارا بالتفسير، وهذه أمثلة من ذلك :

- **المثال الأول** : قوله عند قوله تعالى : ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾[749] : «قول الشاطبي:

....يَسْتَبِينَ **صُحْبَةٌ** ذَكَّـرُوا وِلا

مشكل؛ لأن ضد التذكير التأنيث، لكنْ نافعٌ من الباقين قرأ بتاء الخطاب ونصب ﴿سَبِيلَ﴾ وغيره بتاء التأنيث، ورفع ﴿سبيل﴾. وجواب هذا الإشكال، أن الشاطبي اعتبر اللفظ، وهو واحد في الخطاب والتأنيث. وجواب آخر، وهو أن يكون المعنى : "ولتستبين أمتك"، والتاء للتأنيث»[750].

- **المثال الثاني** : قوله عند قوله جل وعز : ﴿أَرْجِهِ﴾[751] : «قول الشاطبي :

وَعَى نَفَرٌ أَرْجِئْهُ بِالْهَمْزِ سَاكِناً ....

(743) يوسف:33.
(744) «نكت وتنبيهات» (ق) : 64 ظ.
(745) آل عمران: 157.
(746) «نكت وتنبيهات» (ق) :30 ظ.
(747) النساء: 13.
(748) «نكت وتنبيهات» (ق) :37 و.
(749) الأنعام: 55.
(750) «نكت وتنبيهات» (ق): 48 ظ.
(751) الأعراف: 111.

يوهم أن قراءة الباقين بالهمز غير ساكن؛ وجوابه أن القراءة ما دخلت عليه الباء، وهو الهمز »[752].

غير أن هذا التوفيق في استغلال القراءات، لا يمنع أن هناك بعض المآخذ على المؤلف، ولعل أكبرها، هو ما نقله عن شيخه ابن عرفة من أن المقصود بالأحرف السبعة، القراءات السبع، من دون أن ينبه على ضعف هذا الرأي ومخالفته لما انعقد عليه رأي الجمهور[753].

وتتخلل "الكبير" مناقشات تتعلق بقضايا قرائية من قبيل : هل السبع متواتر؛ وهو مضمَّنُ سؤالٍ وُجِّه لابن عرفة فأجاب عنه، وحشَدَ له الخلاف، ونقله البسيلي برمته[754].

وقد تعامل البسيلي مع مصادر قرائية مهمة، من قَبيلِ "الهداية" للمهدوي[755]، و"لامية الشاطبي[756]، و"مشكل إعراب القرآن" لمكي بن أبي طالب القيسي[757]، و"التبيان" العكبري[758]، و"القصيدة الحصرية في قراءة نافع" للحصري الضرير[759].

3ـ عنايته ببعض علوم القرآن :

من خلال :

أـ التعريف بعلم التفسير في اللغة والاصطلاح[760].

ب ـ جمع القرآن :

حيث عقد فصلا في إثبات أنه تهيأ لثلة من الصحابة أن يجمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ، واستظهر لذلك بكلام المازري وعياض وابن عبد البر في المسألة، كل ذلك في

(752) «نكت وتنبيهات» (ق) : 49 و– 50 ظ.
(753) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 7 و.
(754) ن «التقييد الكبير» (ن خ ع ك 2038) : مج 2 ورقة 193.
(755) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 10 ظ.
(756) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :11و؛ 15 و؛ 26 ظ؛ 48 ظ؛ 49 و؛ 101 و؛ 127 و.
(757) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 149 و.
(758) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 24 ظ.
(759) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611 : 616.).
(760) «نكت وتنبيهات» (ق) : 1 و.

معرض الرد على قول ابن عطية[761] إنه كَانَ الْقُرْآنُ في مدَّةِ رسُولِ اللهِ ﷺ مُتَفَرِّقاً في صُدُورِ الرِّجال[762].

ج ـ المكي والمدني :

يميز تعامل البسيلي مع هذا العلم القرآني المنيف، سمات بارزة، منها :

أ) أنه لا يكتفي بسرد الخلاف في كون السورة أو الآية مكية أو مدنية، بل يحاول اعتمادا على ضوابط علمية أن يرجح نوعها؛ فمن ذلك صنيعُه مُفْتَتَح سورة الأنفال، حيث قال : «الزمخشري : مدنية. ابن عطية : إلا قوله : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذِينَ كَفرُوا﴾[763].

قال شيخنا : سببُ القولين أنها ليلة خروجه ﷺ مهاجرا إلى مكة، فَمَنْ رأى أن اسمَ الهجرةِ إنما يصدُقُ بعد استقرارِه ﷺ بالمدينة قال : هي مكية؛ ومَنْ جَعَلَه مِنْ حِينِ خروجِه قال : مدنية»[764].

مثال آخر عند سورة الرعد، حيث قال : «نقل ابن عطية هلْ هذهِ السُّورةُ مكيةٌ أوْ مدنيةٌ ؟. والأرجح أنها مدنية؛ لأنه إذا تعارض التقدم والتأخر، عمل على المتأخر لاستلزامه المتقدم»[765].

ب) أنه لا يسلم باطّرادِ الأقوال بمكيةِ أو مدنيةِ السورة وقد يردُّها، اعتمادا على قرينة راجحة أو ضابط علمي مختص :

مثاله أنه رد قول ابن عطية في سورة القصص إنها مكية إلا قوله : ﴿إِنَّ الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّك إِلَى مَعَادٍ﴾[766]، لأنها نزلت بالجُحْفَة، في وقت هجرته ﷺ إلى المدينة. ورأى فيه نظرا لقولهم : ما نزل قبل الهجرة مكي وإن نزل بغير مكة. وما نزل بعد الهجرة مدني وإن لم ينزل بالمدينة؛ ولذا قال الزمخشري هي مكية، ولم يستثن[767].

(761) «المحرر الوجيز» (50/1).
(762) «نكت وتنبيهات» (ق) : 7و–9 و.
(763) الأنفال : 30.
(764) «نكت وتنبيهات» (ق) : 50ظ.
(765) «نكت وتنبيهات» (ق) : 67 و.
(766) القصص: 85.
(767) «نكت وتنبيهات» (ق) : 92 ظ.

ج) أنه قد يحدد عند استثناء المكي من المدني أو العكس، مكان نزول المستثنى، دليلا على استثنائه، كقوله في الآية قبل إنها نزلت بالجحفة.

د) أنه يتوسل بمعرفة المكي والمدني إلى توجيه المتشابه القرآني، أوْ رَدِّ تأويل؛ فمن الأول ما وقع له عند قوله تعالى : ﴿هذا البلد آمنا﴾[768]، حيث قال : «وفي سورةِ البقَرةِ ﴿بلداً﴾[769]؛ لأنَّ هذه مكية، وآيةُ البقرةِ مدنية، والمَكِّيُّ متقَدِّمٌ».

ومن الثاني رده لقول من قال في قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[770] : معناه، "جعلنا اسمك مقارنا لاسمنا في الأذان والخطبة"، بأن الأذان شرع بالمدينة والسورة مكية[771].

هـ) أنه يكتفي بعدِّ الأقوال، عند اتساع الخلاف إلى قدر يعسر معه الترجيح، كما فعل بُداءةَ سورة الحج، عند قوله : «حكى ابنُ عطيَّةَ و الزَّمخشري في كونِها مكيةً أوْ مدنيةً سبعةَ أقوالٍ»[772].

و) أنه يجعل المكي والمدني قرائن في أولية النزول، مثلما فعل عند قول الله جل وعز : ﴿هل أتاك حديث موسى﴾[773]؛ حيث نقل أن هذا ـ والله أعلم ـ أول ما نزل من قصص موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام؛ لأن السورة مكية[774].

ز) أنه يذكر ضوابط معرفة المكي والمدني للتمييز بينهما، وهذا قدر زائد على نقل الأقوال :

ومنه قوله : «الأكثر في المكي من القرآن العزيز، الوعد والوعيد والبراهين على الحشر والنشر ونحو ذلك، وأكثر الأحكام في المدني»[775].

---

(768) سورة إبراهيم: 35.
(769) الآية 126.
(770) الشرح: 4.
(771) «تكملة النكت» لابن غازي: 11 و.
(772) «نكت وتنبيهات» (ق) : 81 و.
(773) النازعات: 15.
(774) «تكملة النكت» لابن غازي: 7 و.
(775) «تكملة النكت» لابن غازي: 8 ظ.

د ـ أسباب النزول :

نصَّ المؤلف في مناسباتٍ مختلفة على سبب نزول الآية، عندما يكون لها سبب واحد، كذِكْرِه عند قوله تعالى : ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾[776]، أن الآية نزلت في قتل حمزة والتمثيل به[777].

وقد يذكر للآية سببين، فيحمل ذلك على تكرار النزول، كما نص العلماء، مثاله قوله عند قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ وَلا مُومِنَةٍ إِذَا قَضَى الله ورسولُه أمْرًا أنْ تَكونَ لهم الخِيَرَةُ من أمرهم﴾[778] : «لأن زينبَ لمَّا خطبها رسول الله ﷺ لزيد، امتنعت هي وأخوها عبد الله، فنزلت الآية فأذعنت وامتثلت أمره. وكذلك أم كلثوم بنت عقبة لما وهبت نفسها للنبي وقَبِلَهَا، وزوَّجها لزيد كرهت ذلك هي وأخوها؛ فالمخالفة منهم قد وقعت، فيلزم عليه إمَّا الخلفُ في الخبر أو كونُ المخالِفِ له غير مومن، فتعَيَّنَ كونُه نهياً، كذا قال ابن عرفة»[779].

وقد ينص على مكان نزول الآية، كبيانه أن آية ﴿إِنَّ الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّك إِلَى مَعَادٍ﴾[780]، نزلت بالجُحْفَة[781].

وقد يحكي اتفاقَ المفسرين في سبب نزول ما، كصنيعه عند قوله عز وجل : ﴿إن المسلمين والمسلمات...﴾[782] : «... قد قال المفسرون: سبب نزولها أن نساء النبي ﷺ قلن له : "قد ذكر الله تعالى في كتابه الرجال ولم يذكر النساء"؛ فنزلت الآية»[783].

وقد يمنعه تحريه أن ينساق وراء جمهور المفسرين في قضية ما، فتراه يحقق أقوالهم ولا يقبل منها إلا ما أيدته النصوص وشواهد الحال، فمن ذلك أنه تعقب اتفاقهم على أن قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾[784] نزل في الوليد بن

---

(776) البقرة: 194.
(777) «نكت وتنبيهات» (42 ظ).
(778) الأحزاب : 36.
(779) «نكت وتنبيهات» (ق) :104 ظ.
(780) القصص: 85.
(781) «نكت وتنبيهات» (ق) : 92 ظ.
(782) الأحزاب: 35.
(783) «نكت وتنبيهات» (ق) : 103 و.
(784) الحجرات: 6.

عقبة بن أبي معيط، بأنه لا يصح؛ لأنه كان في زمن النبي ﷺ ابن ثمانية أعوام أو عشرة، فكيف يبعثه رسولا إلى الكفار[785].

وأحيانا يكون إيراد سبب النزول مقدمة تحصيل معنى معين فحسب، من غير أن يكون السبب بعينه مقصودا، كما وقع له عند ذكر سبب نزول قوله تعالي[786] : ﴿إِنْ يَّعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرا﴾[787].

هـ ـ النسخ :

ذكَر البسيلي اختلاف الأصوليين في الاستدلال له بقوله تعالى[788] : ﴿ما نسخ﴾[789]. ثم عرَض لاصطلاح المتقدمين والمتأخرين في النسخ، عند قوله تعالى : ﴿ليس عليك هداهم﴾[790]. حيث أورد قول ابن عطية : «نُسخ ذلك بآيات ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾[791] الآية»، ثم بين أنه على اصطلاح المتقدمين من أن ذلك نسخ، والمتأخرون يقولون : العام إن عمل به ثم ورد بعده الخاص فهو ناسخ، وإذا كان قبل العمل به فهو تخصيص لا نسخ[792]. وهذه قاعدة في الفرق بين النسخ والتخصيص.

وهو يستشكل قول اليهود الذي نقله القرآن على لسانهم في قوله تعالى : ﴿حتى ياتينا بقربان تأكله النار﴾[793]، بأنهم أنكروا النسخ حسبما تقرر في أصول الفقه، وهذا القول منهم إقرار بالنسخ؛ لاقتضائه أن شريعتهم تنسخ إذا أتاهم رسول بقربان تأكله النار. ثم يجيب عن ذلك[794].

والبسيلي يتثبت في دعوى النسخ، وقد يردها تنزيلا للقواعد الأصولية، كصنيعه في تعقب قول ابن عطية عند قوله تعالى : ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾[795] : «هي

(785) «نكت وتنبيهات» (ق) : 145 و.
(786) الأنفال: 70.
(787) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :51 و.
(788) البقرة: 106.
(789) «نكت وتنبيهات» (ق) :18 ظ.
(790) البقرة: 272.
(791) التوبة : 60.
(792) «نكت وتنبيهات» (ق) : 18 ظ–19 و.
(793) آل عمران: 183.
(794) «نكت وتنبيهات» (ق) : 32 ظ؛ «التقييد الكبير» (2/602–603).
(795) الأحقاف: 9.

منسوخة في أحد التأويلات»، حيث رده بوجهين أحدهما أنه خبر، والخبر لا ينسخ[796].

و ـ فضائل القرآن :

يرتبط التدليل على فضل آية أو آيات أو سورة بعينها عند البسيلي بعلة من العلل يوقِفُ القارئ عليها، فهو في استدلاله على فضل سورة يس يعلل ذلك بما فيها من تقرير الحشر بأضفى مما في غيرها. فيورد قوله ﷺ : «إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس»، ثم يردفه بقول الغزالي : «وذلك لأن الإيمان يحصل بالاعتراف بالحشر، وهو مقرر في هذه السورة بأبلغ مما في غيرها، فلذا جعلت قلبا»[797].

وعندما يُسْلِمُه التفسير إلى خواتم سورة الحشر : ﴿هُوَ الله الذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ إلى آخر السورة، يستظهر أنها هي المقصودة في قوله ﷺ :«من قال حين يصبح : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلاث مرات، ثم قرأ ثلاث آيات من سورة الحشر، وكل به سبعون ألف ملك يستغفرون له، وإن مات في يومه ذلك مات شهيدا»[798].

ز ـ تكرار القصص في القرآن :

حاول البسيلي توجيه التكرار لقصة واحدة في القرآن، في موطنين :

ـ الأول : عند قوله : «وقدْ ذُكِرتْ قصةُ موسى في القرآنِ بألفاظٍ مخْتلفة، فإمَّا أنْ يكونَ الواقعُ جميع ذلكَ وذُكِرَ مفرَّقاً في سُوَرٍ، أوْ نُقلَ بالمعنى»[799].

ـ الثاني : عند سوقه لسؤال ورد على ابن عرفة من بلد قفصة عن تكرير القصص في القرآن في مواضع بألفاظ مختلفة. فكان أن نقل عن شيخه أوجها ثلاثة :

أ ـ أن الوفود كانت تاتي أفواجا، فيحضر بعضهم القصة ويسمعها دون بعض، فكررت ليعلمها الجميع.

---

(796) «نكت وتنبيهات» (ق) : 136 ظ.

(797) «نكت وتنبيهات» (ق) : 125 و–126 ظ.

(798) «نكت وتنبيهات» (ق) : 155 و.

(799) «نكت وتنبيهات) (ق) : 79 و.

ب ـ أنه ليس كل الناس يحفظ كل القرآن، فكررت لتقع في البعض المحفوظ.

ج ـ أن ذلك مبالغة في القصِّ والتحذير[800].

ح ـ مناسبات القرآن :

ألمَّ بها يسيرا، دون أن تغدو ميسما منهجيا يطبع تفسيره، مثلما فعل البقاعي مثلا؛ وهذه أمثلة لما أورده منها :

1 ـ عند قوله تعالى : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ، أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّاتِهِمْ فِي اِلْفُلْكِ اِلْمَشْحُونِ﴾[801]؛ حيث قال : «مناسبتها لما قبلها من ثلاثة أوجه»[802].

2 ـ عند قوله تعالى : ﴿تَعَالَى اَللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[803]؛ حيث قال : «وجهُ مناسَبتهِ ظاهرٌ، وهو أنَّهُ تعالى أخبَرَ عنهمْ في قولهِ : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ إلى آخرها، بأنّهم في حالةِ مسَّهم الضُّر وحَّدُوا الله تعالى ولجؤوا إليه، فلما نجاهم كفروا، فناسَب في هذه الآية ذكرُ نفْيِ نقيضِ فعْلِهم في حالة الإنجاء»[804].

3 ـ عند التنبيه على قوله تعالى : ﴿عَدُوّاً وَحَزَناً﴾[805]؛ إذ قال : «مناسبٌ لِمَا مَرَّ في قوله :﴿وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي﴾[806] فالحزنُ مُصَرَّحٌ به، والخوفُ مِنْ لازمِ قولهِ ﴿عَدُوّاً﴾؛ لأنَّ الخوفَ أكثَرُ مَا يُتوقَّعُ مِنَ العدُو»[807].

4 ـ عند النكتة الخاصة بقول الله جل وعز : ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزقَ﴾ الآية[808]؛ حيث قال : «ذكَرَ ابن عطية في ربْطِها بما قبلَها ذَمَّ الأغنياء من الكفار. وقرّر بعضُهم ربطَها بوجه آخر، وهو أنها شِبْهُ دليلٍ لما قبلَها، وهو أنه تعالى خَلَقَ من اتّصف بقوله : ﴿الذِينَ يُوفُونَ بعَهْدِ اللهِ﴾ إلى آخره[809]، وخَلَقَ مَنِ اتّصف بقوله : ﴿الذِينَ يَنقُضُونَ﴾ إلى آخر الصفات، وكلُّ ذلك بفضلِه وعدلِه، فكذلك بسْطُ الرزق وتقديرُه»[810].

---

(800) «نكت وتنبيهات» (ق) : 132 ظ.
(801) يس : 41.
(802) «نكت وتنبيهات» (ق) : 115 و–116 ظ.
(803) النمل: 63.
(804) «نكت وتنبيهات» (ق) : 90 ظ–91 و.
(805) القصص: 8.
(806) القصص: 7.
(807) «نكت وتنبيهات» (ق) : 93 و.
(808) الرعد: 26.
(809) الرعد : 20–21–22.
(810) «نكت وتنبيهات» (ق) : 71 و.

ط ـ الأحرف السبعة :

هذا المبحث من مقدمات البسيلي لتفسيره، حين عرض لمعنَى حديثِ «إنَّ هذَا القُرْآنَ أُنزِلَ على سبْعةِ أحرُفٍ»، ثم نسب لشيخه ابن عرفةَ تفسيرها بالقراآتِ السَّبْعِ المشهورة[811]. وإيراد هذا الرأي على ضعفه دون تعقيب، محل نظر.

ي ـ مقدار ما فسر النبي ﷺ من القرآن :

حيث عرض بالتفسير لمَا رُويَ عنْ عائشة : "مَاكانَ رَسُولُ الله ﷺ يُفسِّر من القُرآن إلاَّ آياً بِعَدَدٍ عَلَّمَهُ إيَّاهُنَّ جبريلُ"، ثم توقف في تأويله ورد معنَاهُ إلى مغيَّبَاتِ القرآنِ وتفسيرِ مجملِه ونحوِ ذَلك، مِمَّا لاَ سبيلَ إليهِ إلاَّ بتَوْقِيفٍ من اللهِ تعَالَى[812].

ك ـ العلوم التي يحتاج إليها المفسر[813] :

هذان المبحثان من زوائد "نكت وتنبيهات"، تصدَّرا الكتاب؛ لخصهما البسيلي بإحكام عن أبي حيان.

ل ـ طبقات المفسرين :

خص هذا المبحث بمقدمة ذكر فيها أن صَدْرَ المفَسِّرينَ عليُّ ابنُ أبي طَالبٍ، ثمَّ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ، وعنه أَخَذ، ثم عبدُ اللهِ بنُ مسْعودٍ وأُبَيُّ بنُ كعبٍ وزيْدُ بنُ ثابتٍ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرِو بنِ العَاصِي؛ ثم مِنَ التَّابعين الحسن بنُ أبي الحسَنِ ومُجَاهِدُ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وعَلْقَمَةُ، ثم عِكْرِمةُ والضَّحَّاكُ بنُ مُزَاحم والسُّدِّيُّ. ثُمَّ حَمَلَ التفسيرَ عُدُولُ كُلِّ خَلَفٍ، وأَلَّفَ النـاس فيـهِ كعبدِ الرَّزَّاقِ، والمفضَّلِ وعليِّ بن أبي طَلْحَةَ والبخاري وغيْرِهم. ثُمَّ إنَّ محمدَ بنَ جريرٍ الطَّبري جَمَعَ أَشْتَاتَ التفسيرِ، وقَرَّبَ البَعِيدَ، وشَفَى في الإِسْنَادِ. وأمَّا أَبُو بكرٍ النَّقَّاش، وأبو جعفرٍ النَّحَّاسُ، فكثيراً ما اسْتَدْرَكَ الناسُ عليْهِما، وتَبِعَهُما مكِّيُّ بنُ أبي طالبٍ؛ وأبو العباسِ المهْدَوِيُّ مُتْقَنُ التَّأليفِ»[814].

(811) «نكت وتنبيهات» (ق) : 6 ظ.
(812) «نكت وتنبيهات» (ق) : 7 و.
(813) «نكت وتنبيهات» (ق) : 2 ظ–3 و.
(814) «نكت وتنبيهات» (ق) : 7 و.

ثم ترجم لمفسرين متأخرين، منهم الزمخشري[815] وابن عطية[816] والفخر الرازي[817] وابن بزيزة التونسي[818] وابن عرفة[819].

والملاحظ أنه في هذا المبحث ـ عدا الترجمة لهؤلاء الذين أدار كتابه على النقل عنهم أو انتقادهم ـ عالة على ابن عطية، ولا مزية له فيه إلا النقل.

4 ـ اعتماده على الحديث النبوي :

أفرد البسيلي أحاديث لها صلة وثقى بحقل الدراسات القرآنية، فتكلم على كل واحد منها على حدة، وجعلها مقدمات موجزة ترتبط بإشكالات محورية :

ـ **الإشكال الأول** : قدر ما فسره النبي ﷺ من القرآن، وهومرتبط بحديث عائشة رضي الله عنها : «مَا كانَ رَسُولُ الله ﷺ يُفسِّر من القُرآن إلاَّ آياً بِعَدَدٍ عَلَّمَهُ إيَّاهُنَّ جبريلُ»[820].

ـ **الإشكال الثاني** : معنى نزول القرآن على سبعة أحرف، ويرتبط بحديث «إِنَّ هذَا القُرْآنَ أُنزِلَ على سبْعةِ أحرُفٍ»[821].

ـ **الإشكال الثالث** : الرد على الملحدين في شبهاتهم حول جمع القرآن وعدد من جمعه حفظا على عهد النبي ﷺ، ويرتبط هذا الإشكال بالخبر الذي فيه : «جَمَعَ القرآنَ عَلَى عهْدِ رسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعَةٌ كلُّهم منَ الأنْصَارِ : أُبَيُّ بنُ كعْبٍ، ومُعَاذُ بن جَبَلٍ، وزَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، ورجلٌ منَ الأنصارِ يُكْنَى أَبَا زَيْدٍ؛ وهُوَ مِن قولِ أنسِ بنِ مَالك».

وهذا الإيراد الاستشكالي يلقي الضوء على رغبة البسيلي الظاهرة والمبطنة، في تلافي تعارض القرآن مع الحديث، إذ يراهما كمفسر متكاملين متعاضدين على خدمة المعنى، من ذلك أنه قال عند قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ اَلْمَوْتَ﴾[822] : «الجمعُ

---

(815) «نكت وتنبيهات» (ق) : 3 و–4 ظ.

(816) «نكت وتنبيهات» (ق) : 4 ظ.

(817) «نكت وتنبيهات» (ق) : 6 ظ– 7 و.

(818) «نكت وتنبيهات» (ق) : 4 ظ–5 و.

(819) «نكت وتنبيهات» (ق) : 5 و.

(820) «نكت وتنبيهات» (ق) : 7 و.

(821) «نكت وتنبيهات» (ق) : 7 و.

(822) آل عمران: 143.

بين هذا وبين حديث «لاَ تَتَمَنَّوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا الله العَافِيَةَ»، بأنّ ذلك كان أولَ الإسلام وقلّةِ المسلمين، فنُهُوا عن تمنِّي لقاءِ العدو، ولأدائِه إلى هلاكِهم. أو المعنى في الآية : كنتم تمنون الشهادة؛ أو نزلتْ هذه قبل النهي»[823].

وحين يحتمل حديث مشهور معنى غير مقبول، بطريق التأويل الفاسد، يتوسل إلى دفع التعارض بتأويل الحديث أو بيان معناه الوجيه، فعندما قرر البسيلي أنه لا يثبت حكم بالمرائي النومية، عرج على قوله : «من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي»، فبين وجه الحق فيه، لكيلا ينخرم ما قرره بإيراد من معترض فهم الحديث على غير الوجه السليم[824]. وحين استدل بعضهم على جواز خط الرمل، بحديث «أن نبيئا من الأنبياء كان يخط، فمن صادف خطه فذاك»، ذكر البسيلي أن الحديث مخرج عند مسلم في كتاب الطاعون، ثم ألمع إلى أن عياضا حكى فيه قولين : في كتاب الصلاة، في حديث «الخط باطل»، وفي باب نسخ الكلام في الصلاة، عن معاوية بن الحكم؛ وأن ابن العربي أنكره في «أحكام القرآن»، واتفق مع ابن رشد في «الأجوبة» على أن الحديث على معنى الاستبعاد والفرض، وليس المراد أن أحدا يصادف خط ذلك النبي، فهو من فرض المحال[825].

وإيراده للحديث محكوم باعتبارات، فهو يورده تارة لتحديد مصطلح فقهي، كما فعل عند سوق الخلاف في ترادف القبول والإجزاء، حيث استدل في السياق بحديث "لا يقبل الله صلاة بغير طهور"[826]. أو لتفسير لفظة قرآنية كما هو الحال عند قوله تعالى : ﴿ولقد همت به﴾[827]، حيث ساق قول رسول الله ﷺ : "منْ همَّ بحسنةٍ فلمْ يعملْها كُتِبَتْ له حسنةٌ، ومن همَّ بسيِّئةٍ فلمْ يعملْها ..." الحديث»[828].

وهو يستدل بالحديث لإثبات قضايا مختلفة، فقد استدل على جواز أن يقال "زيد رب الدار" وشبهه، بقول النبي ﷺ : «رب الدابة أولى بمقدمها»، وبقوله أيضا : «أن تلد الأمة ربتها»[829]. واستدل على أن من السلام أنواعا أحدها سلام الرحمة، وهو

(823) «نكت وتنبيهات» (ق) : 28 ظ.
(824) ن «تكملة ابن غازي» (22 ظ).
(825) «نكت وتنبيهات» (ق) : 135 و.
(826) «نكت وتنبيهات» (ق) : 26 ظ.
(827) يوسف: 24.
(828) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 62 ظ.
(829) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 70 ظ.

السلام على الموتى في قبورهم، بقوله ﷺ : «السلام عليكم دار قوم مومنين»[830]. وعلى أن الأرض تحدث أخبارها حقيقة يوم القيامة، استدل عن طريق التنظير بقوله ﷺ : «فإِنَّهُ لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المؤَذِّنِ جِنٌّ وَلاَ إِنسٌ وَلاَ شيءٌ إلا شَهِدَ له يوم القيامة»[831].

ويستحضر المؤلف الأحاديث الصحاح عند ردوده على المخالفين، فمن ذلك أنه رد قول ابن عطية أنَّ مَنْ خُيِّرَ بين شيئين يُعَدُّ متَنَقِّلا، بحديث «كلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ»[832]. وتعقَّبَ ابنَ خليل السكوني في ما وقع له في شرحه للكشاف، من أن السلطان لو أمره إذا دعي إلى معصية فإنه يجب اتباعه؛ وعدَّه خطأ صُراحا؛ وقال : «حديث مسلم في كتاب الإمارة يرد عليه»[833].

ومن المهم بيان أن البسيلي يتحرى صحة الأحاديث التي يوردها، ولا ينص دائما على أصولها، وقد يسمي راوي الحديث أو يقطعه، وقد يكتفي بالتنبيه على ما في الحديث من انقطاع أو ضعف، بقوله «في صحته نظر»؛ كما وقع له في حديث «أد الأمانة إلى من ائتمنك»، ولا ذكر للأسانيد عنده إلا لماما.

والملاحظ أنه حين ينقل الحديث عن عالم به، كابن الصلاح، لا ينص على درجة صحته، اعتمادا على مصدره، كقوله : «وروى ابنُ الصَّلاحِ في "علومِ الحديث"، في بابِ «روايةِ الأبناءِ عنِ الآباء»، حديثاً يقتضي اتِّصافَ اللهِ بالحنانِ. وحكى في سَنَدٍ متَّصلٍ إلى عليٍّ بن أبي طَالبٍ رضي الله عنه، أَنَّ «الحنَّانَ هوَ الذي يُقْبِلُ على مَنْ أعرضَ عنه، والمَنَّانَ هُو الذي يبْدأُ بالنَّوَالِ قبلَ السُّؤالِ»[834].

ولكن حين يتعلق الأمر بالنقل عن مفسر غير محدث كالفخر، فإن البسيلي كان يتحرى درجة صحة الأحاديث التي ينقلها عنه، فعند قوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[835]، نقل عن الفخر قوله : «حديث «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كِذبات»، غير صحيح». ثم رد عليه البسيلي بأنه في صحيح مسلم، ثم زاد على ذلك التصريح بأن

(830) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 118 ظ.

(831) ن «تكملة ابن غازي» (14 ظ).

(832) «نكت وتنبيهات» (ق) : 17 و.

(833) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 674.

(834) «نكت وتنبيهات» (ق) : 79 و.

(835) الصافات: 89.

الفخر في الحديث ضعيف، والحديث في مسلم في كتاب المناقب في فضائل الأنبياء، وخرجه أيضا في أحاديث الشفاعة : «فياتي الناس إلى إبراهيم... فذكر كذباته»[836]. ومما يدل على ما مر أنه عندما ينقل الحديث عن المفسرين، فإنه يحاول أن يجد له مصدرا إضافيا ليتأكد منه، مثاله أن نقل عن ابن عطية قوله : «وفعَلَ ذلك نبيُّنا عليه السلام قبلَ البعثةِ، حكاهُ النَّقَّاشُ، وخرَّجهُ الترمذي»؛ فزاد البسيلي : «ونقلَهُ عِيَاضُ في "الشِّفا"، ذكَر أنَّهُ انتظر موعدَه ثلاثةَ أيامٍ، وذَكَرَهُ ابنُ ماجة حديثاً»[837]. إلا أن هذا الحديث ليس عند ابن ماجة، بل انفرد به من بين أصحاب الكتب الستة أبو داود في "سننه" (299/4؛ رح : 4996)؛ كتاب الأدب، بابٌ في العِدَة.

وعدا هذا فإنه لم يغتر بأحاديث فضائل السور، فلم يوردها رغم متابعته لمفسرين أوردوها كالزمخشري. وما طغى به القلم من الأحاديث الضعيفة التي أوردها ـ على قلتها ـ جاءت في فضائل الأعمال لا الأحكام، كحديث الترمذي : «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ : أَعُوذُ بالله السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَرَأَ ثَلاَثَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الحشْرِ، وُكِلَ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ مَاتَ شَهِيداً»[838]، ولربما خرج من العهدة في هذا الحديث، إذ ذكر أنه عند الترمذي وابن حنبل، ومن أسند لك فقد أحالك على تتبع أحوال الرواة حسبما هو مقرر في علم مصطلح الحديث.

ومن المفيد الإشارة إلى أن نكت البسيلي قد تضمنت في أحوال نادرة، إشارات عرضية إلى قضايا تتعلق بالصناعة الحديثية؛ كمناقشة قضية تعداد الأحاديث المتواترة، وهل يصح أنها لا تتجاوز حديثين كما عند أبي عمرو بن الصلاح ؟[839]. ومسألة نقل الحديث بالمعنى[840]؛ وما هو الأصح من الحديث[841]؛ بيد أن هذه ووصيفاتها إلماعات خافتة، لا تجعل من البسيلي محدثا ولا تطبع كتابه بطابع التفسير بالمأثور، وإن كان ـ حقا ـ قد تلافى ما يقع فيه غالب أهل التفسير بالرأي المقبول من تساهل في تحري الصحة في الأحاديث التي يستشهدون بها.

(836) «نكت وتنبيهات» (ق) : 126 ظ.
(837) «نكت وتنبيهات» (ق) : 79 و.
(838) «نكت وتنبيهات» (ق) : 155 و.
(839) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 83 و.
(840) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 17 و.
(841) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 45 و.

ومما يدل على اهتمام المؤلف بتصحيح أحاديث الأحكام، اعتماده على كتب وقع التسليم لها عند أهل الفن، كأحكام عبد الحق الأزدي الإشبيلي[842]، وبيان وهمه وإيهامه، لابن القطان الفاسي؛ حيث صرح برجوعه إليهما في الحديث الذي نقله الزمخشري آخر سورة الواقعة، وهو «مَن قَرَأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ كُلَّ ليلةٍ لم تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَداً»، فقال : «أخرجه عبد الحق في "الأحكام" وصححه، وضعفه ابن القطان»[843].

وقد تعامل البسيلي مع الصحاح، البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة...؛ ولكنه كان بكتاب مسلم أحفل، وبه أعرف، وبشروحه المغربية أشد ولعا، لا يحتاج ذلك إلى كد في تبينه، فقد نقل عن صحيح ابن الحجاج غير مرة، أكثر من غيره؛ فمن ذلك قوله في مواطن متباينة : «في صَحِيحِ مسْلِم : جَمَعَ القرآنَ عَلَى عهْدِ رسُولِ اللهِ»[844]؛ «... وحديث «من اغتصب شبرا من أرض، طوقه الله من سبع أرضين»، صحيح أخرجه البخاري ومسلم...»[845]. «ومن النِّسبة للأمِّ محمد بن الْحَنَفِيَّة؛ وفي "صحيح مسلم" :«كان ﷺ يحمل أمامةَ بنتَ زينب بنتِ رسول الله ﷺ على رقبتِهِ في الصلاة». وفي "مسلم" أيضاً، في كتاب الطب «عن زينب بنت أم سلمة»»[846]. «... والحديث في مسلم في كتاب المناقب في فضائل الأنبياء، وخرجه أيضا في أحاديث الشفاعة : «فياتي الناس إلى إبراهيم... فذكر كذباته»»[847].

وأما اهتمامه بشروح المغاربة على مسلم فبادٍ أيضا تعضده النقول المتوافرة التي تطرز الكتاب وتوشي تضاعيفه[848].

والقول الفصل الناتج عن تتبع تصريف البسيلي للحديث، يُنْبي عنْ تَحَرٍّ منه لإيراد الصحيح، وتتبعه في مظانه، مع الخروج من العهدة عند النقل عن المحدثين كابن

---

(842) يقول الكتاني في "الرسالة المستطرفة" (179) : «وجلالة عبد الحق لا تخفى، فقد اعتمده الحفاظ في التعديل والتجريح ومدحوه بذلك كالحافظ ابن حجر وغيره، وأما الفقهاء... فاعتمدوه من غير نزاع بينهم». ون في أهمية الكتاب "علم علل الحديث" للأستاذ إبراهيم بن الصديق (1/160–162). وعن "بيان" ابن القطان، انظر دراسة أستاذنا د. الحسين آيت سعيد.

(843) «نكت وتنبيهات» (ق) : 154 ظ.

(844) «نكت وتنبيهات» (ق) : 7 و.

(845) «نكت وتنبيهات» (ق) : 34 ظ.

(846) «نكت وتنبيهات» (ق) : 98 ظ.

(847) «نكت وتنبيهات» (ق) : 126 ظ. ون أيضا «نكت وتنبيهات» (ق) : 45 و؛ 102 ظ؛ 135 و؛ «تكملة ابن غازي» (3 و).

(848) ن للتمثيل نقوله عن "المعلم" في «نكت وتنبيهات» (ق) : (7و–9و)؛ 21 و؛ «تكملة» ابن غازي : 3 و. ونقوله عن «إكمال المعلم» لقاضينا عياض : 21 و؛ 26 ظ؛ 81 و؛ 98 ظ.

الصلاح، والتعويل على مكين عارضتهم، بخلاف حين ينقل عن غيرهم ممن وجهتُه غيرُ الحديث كالزمخشري والفخر؛ وهو ينقل عن كتب الحديث المعتمدة، ويغلِّب الأخذ عن صحيح مسلم؛ وقد يشير إلى الكتاب والراوي من غير اطراد، وهو أكثر تحريا للصحة، حين يكون الحديث دليلا يسوقه للرد على مخالف. وبين يديك جدول سقنا فيه جملا مما ضمنه من الحديث في كتابه، أخذناها اعتباطا من غير روية ولا اختيار، لندلل عند التمييز بين صحيحها وضعيفها على غلبة الصحة على مايورده المؤلف، وأن ما ساقه من ضعيف، لايعدو أن يكون خرج من عهدته بالإحالة على مصدره من كتب السنة[849]، أو أن الحديث ليس غير شاهد أومتابع قدَّم المؤلف عليه ما هو أصح منه ثم ذكره عقيبه[850]؛ أو نقله اغترارا بمأخذه كما مر.

الأحاديث الصحيحة[851]	الأحاديث الضعيفة
– من رآني فقد فقد رآني...	– من قال حين يصبح : أعوذ بالله السميع...
– لا حسد إلا في اثنتين	– الحمد لله حمدا يوافي نعمه...
– إنما الأعمال بالنيات	– ما كان رسول الله ﷺ يفسر من القرآن...
– من كذب علي متعمدا...	– أعط السائل ولو أتاك على فرس.
– لا يتقبل الله صلاة...	– إن لكل شيء قلبا، وقلب القرآن يس.
– الحمد لله حمدا كثيرا طيبا...	
– من هم بحسنة...	
– أنزل القرآن على سبعة أحرف...	
– من اغتصب شبرا من أرض...	
– رب الدابة أولى بمقدمها	
– أن تلد الأمة ربتها...	
– السلام عليكم دار قوم مومنين...	
– لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات...	
– فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن...	
– لا تتمنوا لقاء العدو...	
– سبقت رحمت غضبي...	
– إن من الشعر لحكمة	
– إن نبيا من الأنبياء كان يخط...	
– ...أنه جعل العظم زادهم...	
– ...إنه ليخطر بين المرء وقلبه، فيقول :	

(849) مثاله مما خرج من عهدته بإحالته على مصدره، قوله ﷺ : «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ : أَعُوذُ بالله السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشيْطَانِ الرَّجِيمِ...». وقد مر معنا فانظره؛ وأضف أن الطِّيبي - مخرج النقل - شارحٌ لمصابيح البغوي، فتأمل.

(850) مثاله حديث «الحمْدُ للهِ حمْداً يُوَافِي نِعَمَهُ ويُكَافِي مَزِيدَهُ»؛ فهو ضعيف، ولكن المؤلف ساق قبله حديث صحيحا بمعناه، هو قوله ﷺ «الحَمد للهِ حَمداً كَثِيراً طَيِّباً مُبارَكا فِيه». من «نكت وتنبيهات» (ق) : 16 ظ.

(851) قمنا بتخريج الأحاديث عند ورودها بالحاشية، ونصصنا على الحديث بما قرر علماء الحديث فيه من ضعف أو صحة، حسب الطاقة.

ومما يمت بصلة لما مر :

– الاعتماد على الأخبار الصحيحة، ورد الإسرائيليات والأخبار التي لا مستند لها :

ظهر من خلال نكت البسيلي أنه كان يتحرى مجانبة الأخبار والقصص التي لا أصل لها، خاصة إذا انضافت إلى ذلك ضميمةُ مسِّها بمنصب النبوة، أو تعلقت بالعقائد، مثال ذلك ما وقع له عند قوله تعالى : ﴿وَلاَ فِي اِلسَّمَآءِ﴾[852]، حيث قال : «وفي آية الشورى[853]، لم يقل «ولا في السماء»»، فقال صاحب "برهان القرآن"[854] : إنما قال هنا ﴿وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾؛ لأن نمرودا صعد إلى جهة السماء، وآية الشورى ليس فيها ذلك»[855]. ثم تعقب ذلك بقوله : «وهذا يحتاج إلى خبر صحيح»[856].

وأوضحُ منه أن ابن عطية حين قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾[857] : «إن النبي ﷺ وقع منه استحسان لزينب وهي في عصمة زيد. وكان حريصا على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو، ثم إن زيدا لما أخبره بأنه يريد فراقها، ويشكو منها غلظة قولٍ وعصيانَ أمر وأذى باللسان وتعظُّما بالشرف، قال له ﴿اتق الله﴾، أي : فيما تقول عنها، و﴿أمسك عليك زوجك﴾ وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها. وهذا هو الذي كان يخفي الحرص على طلاق زيد إياها. وهذا هو الذي كان يخفي في نفسه، ولكنه لزم ما يجب من الأمر المعروف»[858]. تصدى له البسيلي فقال : «كلامُ ابن عطية هنا لا يَحِلُّ كَتْبه؛ لاقتضائه التّنقيص بلِ الصواب والحق أن الله أوحى إليه أن يتزوجها. وما نقله ابن عطية لم يَرِدْ في حديث صحيح، وإنما ذكره المفسرون»[859].

---

(852) العنكبوت: 22.

(853) الآية : 31.

(854) هو الكرماني صاحب «البرهان».

(855) «نكت وتنبيهات» (ق) : 95 و.

(856) «نكت وتنبيهات» (ق) : 95 و.

(857) الأحزاب: 37.

(858) «المحرر الوجيز» (12/69–71).

(859) «نكت وتنبيهات» (ق) : 104 ظ.

ولا يمنعه إكبار الفخر، من أن يتعقبه في سوق الأخبار الضعيفة، مثاله قوله : «تكلم الفخر في "الأربعين" على أصل السماء، وأتى في ذلك بأخبار غريبة لا يصح منها شيء»[860].

5. منهجه في عرض القضايا الفقهية :

يأتي في ناصية القول، تقرير أن البسيلي فقيه ومؤلف في الفقه أيضا[861]، فقد حاذى مختصر ابن عرفة في الفقه، بمجلدات كثيرة، ونقل مترجموه أنه شرح المدونة؛ وعليه، فقد طبع تعامله مع الفقه، سمات بارزة، أهمها :

1) أنه مالكي في الفروع :

ذكر ذلك مترجموه، وصرح في مقدمة "مختصر محاذي مختصر ابن عرفة"، أنه وضعه تأليفا في الفقه المالكي[862]، فنص على مذهبه؛ وهو أمر من الظهور في كتابه، بحيث يستغني عن التصريح به، فقد ورد ذكر مالك رحمه الله في "نكته" ما يربو على 28 مرة؛ وهذا جردها :

«... قول مالك في "المدونة"...»[863]؛ «وفي مذهب مالك...»[864]؛ «... وهو مذهب مالك في "المدونة"»[865]؛ «... وهو الصحيح لقول مالك...»[866]؛ «والمشهور من مذهب مالك...»[867]؛ «قال مالك في كتاب الرجم من "المدونة"...»[868]؛ «... هذا مذهب مالك وجماعة»[869]؛ «وقال مالك في الأسير...»[870]؛ «وقد اختلف قول مالك

---

(860) «التقييد الكبير» (ص) : 702.

(861) راجع مبحث مؤلفاته، عند «محاذي مختصر ابن عرفة»، و«شرح المدونة».

(862) «مختصر محاذي مختصر ابن عرفة الفقهي» للبسيلي : ورقة 1.

(863) «نكت وتنبيهات» (ق) : 21 و.

(864) «نكت وتنبيهات» (ق) : 32 ظ.

(865) «نكت وتنبيهات» (ق) : 32 ظ.

(866) «نكت وتنبيهات» (ق) : 35 و.

(867) «نكت وتنبيهات» (ق) : 37 و.

(868) «نكت وتنبيهات» (ق) : 38 ظ.

(869) «نكت وتنبيهات» (ق): 38 ظ.

(870) «نكت وتنبيهات» (ق) : 42 ظ.

في مسألة...»[871]؛ «قال مالك...»[872]؛ «... كما قال مالك في "المدونة"...»[873]؛ «قال مالك في "المدونة"...»[874]؛ «ووقع الاستحسان لمالك...»[875]؛ «... وقال به مالك»[876]؛ «... وهو مذهب مالك»[877]؛ «... وهو قول مالك»[878]؛ «... ولذا قال مالك»[879]؛ «... عند مالك»[880]؛ «وأجمع المالكية ...»[881]؛ «... وكذلك قال مالك»[882]؛ «... ومن هذا المعنى قول مالك ...»[883]؛ «واستدل المالكية...»[884]؛ «... وبه احتج المالكية»[885]؛ «وقد سئل مالك ...»[886]؛ «وعلى هذا يشكل قول مالك ...»[887]؛ «واضطرب فيه قول مالك ...»[888]؛ «لكن مذهب مالك... »[889]؛ «ولذلك قال مالك في كتاب الوصايا من "العتبية"»[890].

2) أنه لا يذكر الخلاف العالي إلا لماما، ويعتمد ذكر الخلاف النازل داخل المذهب :

– **المثال الأول**، قول البسيلي عند قوله تعالى : ﴿وَأَدْنى أَلاَّ تَرْتَابُواْ﴾[891] : «الشاهد إذا رأى خطَّه ولم يذكرِ الشهادةَ لم يؤدِّها، لِمَا دخل عليه من الرِّيبَة. وفيه ثلاثة أقوال :

(871) «نكت وتنبيهات» (ق) : 43 و.
(872) «نكت وتنبيهات» (ق) : 44 ظ.
(873) «نكت وتنبيهات» (ق) : 45 و.
(874) «نكت وتنبيهات» (ق) : 46 ظ.
(875) «نكت وتنبيهات» (ق) : 48 ظ.
(876) «نكت وتنبيهات» (ق) : 48 ظ.
(877) «نكت وتنبيهات» (ق) :51 و.
(878) «نكت وتنبيهات» (ق) : 79 و.
(879) «نكت وتنبيهات» (ق) : 83 و.
(880) «نكت وتنبيهات» (ق) : 84 ظ.
(881) «نكت وتنبيهات» (ق) : 100 ظ.
(882) «نكت وتنبيهات» (ق) : 103 و.
(883) «نكت وتنبيهات» (ق) : 105 و.
(884) «نكت وتنبيهات» (ق) : 123 و.
(885) «نكت وتنبيهات» (ق) : 125 و.
(886) «نكت وتنبيهات» (ق) : 146 ظ.
(887) «نكت وتنبيهات» (ق) : 147 و.
(888) «نكت وتنبيهات» (ق) : 150 ظ.
(889) «تكملة ابن غازي» : 7 و.
(890) «تكملة ابن غازي» : 20 ظ.
(891) البقرة: 282.

أ) قال في "المدونة" : «يُؤديها ولا ينتفع»، وذلك في الدَّين والطَّلاق». قلت : وفائدةُ أدائِها، احتمالُ حكم القاضي بها، ويدلُّ على أنَّ كلَّ مجتهدٍ مصيب.

ب) في "كتاب محمد"[892] : لا يؤديها.

ج) قال مُطَرِّف وابن الماجِشُون والمغيرة : «يؤدِّيها وتنفع، إذا لم يشُكَّ في كتابه؛ وبهذا العمل»[893].

– **المثال الثاني**، قول البسيلي عند قوله تعالى : ﴿ذَاتِ حَمْلٍ﴾[894] : «قولُ ابنِ عطيةَ : «العَلَقَةُ هي الدَّمُ العَبيطُ»، يعني الطريَّ، خلافُ قولِ الفقهاءِ؛ لأنَّهُمْ فرَّقوا بينَ العلقةِ والدَّمِ المجتمع. قال ابنُ القاسم في الأَمَةِ : إذا وضَعتْ مِنْ سيدِها دماً مجتمعاً كانتْ به أمَّ ولد.

وقال أشهبُ : لاَ، حتَّى تضعَ علقةً. والعلقةُ هيَ القطعةُ الملْتحمةُ التي إذا جُعلتْ في ماءٍ سخن لمْ تنقطعْ، بخلافِ الدَّمِ المجتمع. وعَكَس عياض في "الإكمال"، نقلَ قولِ ابنِ القاسمِ و أشهب»[895].

وهذان المثالان ـ ولهما نظائر كثيرة ـ دالة على علو نفس البسيلي في الفقه، وهو ما هيأه لاستنباط الفوائد الحكمية، وحزّ المفصل في تبيان مقاصد آيات الأحكام، مما يظهر بالتتبع لنكته وتنبيهاته.

3) غلبة مؤلفات المدرسة القيروانية والأندلسية على مصادره الفقهية :

فنقوله عن الأوليين، أكثر كما يظهر بالمقارنة؛ فقد نقل من كتب الأفارقة، عن رسالة ابن أبي زيد[896]، ونظائر أبي عمران[897]، وتهذيب البراذعي[898] وأسولة المازري[899]،

---

(892) والمقصود به كتاب ابن سحنون. ون في ترجمة صاحبه «ترتيب المدارك» (4/204–221).

(893) «نكت وتنبيهات» (ق) : 23 و.

(894) الحج: 2.

(895) «نكت وتنبيهات» (ق) : 81 و.

(896) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 36 ظ؛ 136ظ.

(897) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 38 ظ.

(898) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 38 ظ؛ 68 ظ.

(899) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 137 و.

وأحكام ابن عبد الحق[900]، وشرح الجلاب للتلمساني[901]، ومختصر ابن عرفة الفقهي[902].

ومن كتب الأندلسيين في الفقه، استفاد من أحكام ابن العربي[903]، واستذكار ابن عبد البر[904]، وبيان ابن رشد[905] ومقدماته[906]، وتنبيهات عياض[907].

وتبدو المصادر الفقهية المشرقية أقل، كمدونة ابن القاسم[908]، وتلقين[909] ومعونة[910] القاضي.

6- طريقة استغلاله لمفاهيم علم أصول الفقه :

يظهر تمكن البسيلي من علم الأصول، من خلال القضايا الأصولية التي عالجها طي كتابه؛ كقضية النسخ وبعض مباحثه[911]، و«هل الترك فعل أم لا ؟»[912]، و«هل يرد في القرآن ما لا يفهم»[913] وقضية «هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة أم لا ؟»[914]، والاستحسان[915]، وشرع من قبلنا هل هو شرع لنا[916]، وهل الاستثناء من النفي إثبات[917]، ودلالات الأمر عند الأصوليين[918]، وهل الأمر بالشيء نهي عن ضده ؟[919]،

---

(900) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 153 و.
(901) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 46 ظ.
(902) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 78 ظ.
(903) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 22ظ؛ 23 و؛ 26 ظ؛ 38 ظ...
(904) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :151 و.
(905) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 42 ظ؛ 70 ظ؛ 98 ظ؛ 113 و.
(906) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 79 و؛ 113 و؛ 154 ظ.
(907) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 146 ظ.
(908) سبقت الإشارة - عند ذكر مؤلفات البسيلي - إلى أنه ينقل عنها كثيرا، وتبلغ عدة هذه النقول في «نكت وتنبيهات» 31 نقلا .
(909) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 43 و.
(910) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 43 و.
(911) انظره في منهج المؤلف في استخدام علوم القرآن.
(612) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 20 ظ؛ 142 ظ؛ «تكملة ابن غازي» : 17 و.
(913) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 38 ظ؛ 43 و.
(914) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 46 ظ؛ 138 ظ.
(915) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 48 ظ.
(916) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 54 ظ؛ 66 ظ؛ «تكملة ابن غازي» : 17 و.
(917) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 54 ظ.
(918) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 43 و؛ 55 و؛ 118 ظ.
(919) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 58 ظ؛ «تكملة ابن غازي» : 19 و.

وهل وقع تكليف ما لا يطاق[920]، والاختلاف في حد القياس[921]، والخلاف في «هل كل مجتهد مصيب»[922] ... وغيرها من القضايا.

ويميز موقف البسيلي من أصول الفقه، أمور تالية :

– أنه متأثر بمدرسة المتكلمين في أصول الفقه :

ويبدو ذلك من خلال أمرين :

أ) أنه ينقل عن كتبهم : كمعالم الرازي ومحصوله، وتحصيله للسراج الأرموي، وحاصله للتاج الأرموي، ومستصفى الغزالي، وشرح الحاصل لابن سرور، ومحصول ابن العربي...

ب) أنه يتناول قضايا مشتركة بين علم أصول الفقه، وعلم أصول الدين؛ من قبيل :

– التحسين والتقبيح العقلي

– الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه.

– شيئية المعدوم.

– الخلاف في تعليل أفعال الله.

– الخلاف في ورود ما لايفهم في القرآن.

– الخلاف في خطاب الكفار بفروع الشريعة.

– هل الأمر يستلزم الإرادة.

– الخلاف في عصمة الأنبياء من الصغائر.

إلا أن الغالب على البسيلي تعامله المدرسي مع هذا العلم، فقلما يشي توظيفه لمعطياته بموقف قاطع من الخلاف في مباحثه، يظهر ذلك من خلال أنه يجعل الآية موضوع النكتة دالة على جواز الشيء، وآية أخرى دالة على منعه؛ فيختفي موقفه،

(920) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 40 ظ؛ 43 و.

(921) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 33 ظ.

(922) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 80 ظ.

ويكون الأمر أشبه بتمرين عقلي على عزو الأقوال ومعرفة الخلاف دون ترجيح أو اختيار.

7. اعتماده على النحو واللغة :

لا تكاد نكتة أو تنبيه، على امتداد الكتاب من أن تخلو من مناقشة أو ملمح نحوي أو لغوي، وقد اعتمد البسيلي في ذلك على مصادر أصيلة أو خاصة بإعراب القرآن، وأحال على أعمدة اللغة والنحو في المدرستين الكوفية والبصرية.

ويمكن إجمال الخصائص التي طبعت تعامل المؤلف مع النحو واللغة في النقط التالية :[923]

أ) بيان معاني المفردات اللغوية وأصل اشتقاقها :[924]

وقد تكون هذه المفردات قرآنية صرفة، أو أغربة وردت طي كتب التفسير، كما سيظهر في الأمثلة :

– قول البسيلي عند قوله تعالى : ﴿وَلَقَدَ اَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾[925] : «الزمخشريُّ : وأخذهُمُ اللهُ بالسِّنِين حتَّى أكَلُوا العِلْهِزَ؛ قلت : العلهز هوَ الدَّمُ المخْتلطُ بالشعر، وقيل : هو القُرَاد»[926].

– قوله عند قوله تعالى : ﴿أَرْجِهِ﴾[927] : «قالوا : أي أَخِّرْهُ، فَظاهِرُهُ التَّرادُفُ.

ع : «أرجه» تأخيرٌ معَ الطَّمعِ في إعْلائِهِ؛ لأنَّهُ مشتقٌّ منَ الرَّجاء، بخلافِ «أخِرْهُ»»[928].

---

(923) استفدنا هذا التفريع من محقق «التقييد الكبير» (1/111–120).

(924) أمثلة هذه الأوجه كثيرة في تضاعيف الكتاب، فاقتصرنا على أمثلة قليلة لكل وجه، وللقارئ أن يقيس على مالم يقس.

(925) المومنون: 76.

(926) «نكت وتنبيهات» (ق) : 82 ظ.

(927) الشعراء: 36.

(928) «نكت وتنبيهات» (ق) : 86 ظ.

– قول المؤلف عند قول الله تبارك ﴿وَأَنّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾[929] : «هو التناول عن قريب»[930].

– قول البسيلي عند قوله تعالى ﴿أَقسَطُ ﴾[931] : «وقول الزمخشري : أقسط من قاسط؛ يُرَدُّ بأن الاشتقاق من الفعل لا من اسم الفاعل. وقول ابن عطية : انظرْ هل هو مِن «قسُط» بالضم، لا يصحّ؛ إذْ لم يقلْ أحدٌ فيه»[932].

– قول المؤلف عند قول الله جل وعز ﴿وَلاَ تَهِنُواْ﴾[933] : «قولُ ابن عطية : هو من «وَهَنَ»، ومنه «المومنُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ»؛ لم يتعقبه أبو حيان. ويُرَدُّ بأن «وهن» معتلّ الفاء، و«هيِّن» معتل العين، فالمادّة مختلفةٌ»[934].

ب) بيان الجوانب الصرفية :

– قوله عند قوله تعالى ﴿الشَّهَوَات﴾[935] : «قولُ أبي البقاء : حُرِّكت الهاء لأنه اسمٌ غيرُ صفة؛ يوهِمُ منْعَ الإسكان، وهو جائزٌ؛ لأنه جمعُ «شهوة» معتلٌّ اللام؛ وليست لاَمَ أمْرٍ فيجوز فيها ثلاثةُ أوجه، منها وجهان يرجعان إلى واحد، وهما إِتْبَاعُ العين الفاءَ وفتحُ العين، حسبما بيَّنَه ابنُ عصفور في باب التثنية والجمع.

وقال ابن مالك :

وَمِـثْـلُ خُـطْـوَةٍ وسِـدْرَةٍ أَتَـتْ   في جَمْعِهَا لُغى ثَلاَث رُوِيَت»[936]

– قول البسيلي عند قوله جل وعز ﴿بِغَيْرِ عَمَد﴾[937] : أبو حيان : ««عَمَد» اسم جمع لا جمع، ومن قال إنه جمع، أراد أنه يفيد ما يفيده الجمع، لا أنه جمع حقيقة». ثم قال : «ومفرده «عماد»»، وهو خلاف قوله أولا لاقتضاء هذا أنه جمع.

والجواب أن مفرده «عماد»، لم يُبْنَ الجمعُ عليه»[938].

(929) سبأ: 52.
(930) «نكت وتنبيهات» (ق) : 111 و.
(931) البقرة: 282.
(932) «نكت وتنبيهات» (ق) : 22 ظ.
(933) آل عمران: 139.
(934) «نكت وتنبيهات» (ق) : 27 و.
(935) آل عمران: 14.
(936) «نكت وتنبيهات» (ق) : 24ظ–25 و.
(937) الرعد : 2.
(938) «نكت وتنبيهات» (ق) : 67 ظ– 68 و.

ج) بيان وجوه الإعراب في الآية :

– قول البسيلي عند قوله تعالى ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾[939] : «ضعَّف أبو حيان كونَ العامل فيه «اذْكر»؛ بأنه مستقبل، و«إذْ» ماض. ويُجاب بوجهين :

– أحدهما : أن عملَه فيه، عملُ المفعول لا عملُ الظرف.

– الثاني : التقدير : «اذكروا حالَكم إذْ تصعدون».

الزمخشري :«هو صفةٌ لـ«طائفة»، و«يظنون» صفة أخرى؛ أو حالٌ بمعنى «ظانين»؛ أو استئنافٌ للبيان للجملة قبلَها، و«يقولون» بدلٌ من «يظنون »».

ابن هشام في "المغني" : «كأنه نسِيَ المبتدأ فلم يجعل له خبرا، أو رآه محذوفا، أي : «ومعكم طائفةٌ صفتُهم كيتَ وكيتَ».

والظاهر أن الجملةَ الأولى خبر، وسَوَّغَ الابتداءَ بالنكرة ثَمَّ صفةٌ مقدّرة، أي : «وطائفة مِن غيركم »، مثل «السَّمْنُ مَنَوَانِ بدرهم»، أي : مَنَوَانِ منه، أو اعتمادُه على واو الحال، كقوله في الحديث : «دَخَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَبرْمَةٌ عَلَى النَّارِ»[940].

– قول البسيلي عند قوله تعالى ﴿مَن تُدْخِلِ النَّارَ فقد اَخْزَيْتَهُ﴾[941] : «ذكر أبو حيان في إعراب«من» ثلاثة أوجه، ويحتمل رابعا، وهو أن يكون مبتدأ، والخبر «تدخل» وحده، على الوجه الضعيف في قوله :

....كلُّه لم أصنع

بالرفع، وفي قوله :

.... فَثَوْبٌ لَبِسْتُ وَثَوْبٌ أَجُر»[942]

د) بيان الفروق بين الكلمات :

– قول البسيلي عند قوله جل وعز ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾[943] : ««التمحيص» تخليصُ شيء من شيء وتصفيتُه، فَنَاسَبَ تعليقُه بالمقصود من الإنسان

---

(939) آل عمران: 153.

(940) «نكت وتنبيهات» (ق) : 29 و.

(941) آل عمران: 192.

(942) «نكت وتنبيهات» (ق) : 34 ظ.

(943) آل عمران: 154.

وهو القلبُ. وأما «الابتلاء» فراجعٌ إلى علم الله تعالى، فناسَب تعليقُه بالأعم وهو الصدرُ»[944].

– قول البسيلي عند قوله جل وعز ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[945] الآية «الفرقُ بين الافتراءِ والكذب أَنَّ متعلّق الافتراء القولُ، ومتعلقَ الكذبِ الفعل؛ مثالُه من قال: «قال زيد كذا» ولم يكن قاله فهو افتراءٌ، وإنْ قال «قام زيد» ولم يقمْ فهو كذِبٌ. وذكَر ابنُ عطية فرقاً آخر»[946].

8. الاعتناء بالبلاغة:

وظف البسيلي البلاغة لخدمة المعنى، فجاءت الإشارات البلاغية في تفسيره على قلتها دالة على حسن استخدامه لعلوم الآلة، ومعرفته بقضايا البلاغة ومصطلحاتها، فيكثر دورها عنده، فيطلقها أحيانا اعتمادا على معرفة القارئ بها، أو يسوقها تارة أخرى مع تعريفها إذا لزم الأمر، أو يقرر وجه البلاغة في الآية دون احتفال بالمصطلحات.

فمما أطلق فيه مصطلحات البلاغة دون شرح أو بيان، مصطلحات اللف والنشر[947] والاستخدام[948].

ومن المواضع التي وقف فيها عند المصطلح البلاغي، فأوفاه بعض حقه من الشرح، قوله عند قوله تعالى ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَاناً﴾[949]، إنه يشبه قلب النكتة، ثم تخلص إلى بيانه بقوله: «وهو الاحتجاجُ بدليلِ الخصم على نقيضِ دعْواه»[950]. وكذلك فعل عند قوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، حيث قرر أن في الآية المذهب الكلامي، ثم أردف ذلك بقوله: «أي: مذْهبُ علمِ الكلام؛ وهو إطلاقُ لفظٍ يشْتمِلُ على صِحَّةِ دعْوى المُدَّعي، ولوْ طولِبَ النِّسْوةُ بالدَّليلِ لأجبْنَ به»[951]. وهو يورد ذلك في "الكبير" بأوفى

(944) «نكت وتنبيهات» (ق): 30 ظ.

(945) هود: 13.

(946) «نكت وتنبيهات» (ق): 55 و.

(947) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 55 و؛ 57 و؛ 69 و؛ 74 ظ.

(948) «نكت وتنبيهات» (ق): 38 ظ.

(949) آل عمران: 173.

(950) «نكت وتنبيهات» (ق): 31 و؛ 140 ظ.

(951) «نكت وتنبيهات» (ق): 63 و. و ن «التكملة» (19 و).

مما سقنا، فهو يقول : «أبو الأصبغ[952] : المذهب الكلامي : الاحتجاج على المقصود بحجة عقلية؛ لأنه من علم الكلام، وهو إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية، ونسبت تسميته إلى الجاحظ، وزعم ابن المعتز[953] أنه لا يوجد في القرآن، فهو محشو به، ومنه قوله تعالى ﴿وحاجه قومه﴾ إلى قوله تعالى ﴿وتلك حجتنا﴾...»[954].

وقد يرخي عنان القول في مضمار البلاغة، فيخال مُجاريه لوْما علم أن الكتاب تفسير، أن مساق الكتاب برمته بلاغي صرف، كصنيعه في شرح مصطلح التجريد، عند وروده عند ابن عطية[955]، فقد قال البسيلي ناقلا عن ابن الأثير : «التجريد إخلاص الخطاب لغيرك، وأنت تريد نفسك، من «جردت السيف إذا نزعته من غمده»، وله فائدتان، طلب التوسع في الكلام، وتمكن المخاطب من إجراء أوصاف مقصودة له من مدح وغيره على نفسه؛ وهو قسمان، محض وغير محض.

– المحض : أن تاتي بالكلام خطاب[956] لغيرك، تخاطب به نفسك، فتكون جردت الخطاب عن نفسك لغيرك، وأنت تريد به نفسك، كقوله:

إِلاَمَ يـراكَ الـمـرءُ فـي زيٍّ شـاعـر ... وقـد نَـحَـلَـتْ شـوقـاً فـروعُ المنـابر
كَتَمْتَ بصِيتِ الشعر علما وحكمة ... بـبـعـضـهـا ينـقـادُ صعبُ المـفـاخر
أَمَـا وَأبـيـكَ الـخـيـر إنكَ فـارسُ الـــمقال ومُحْيي الدَّارِساتِ الغوابر
وإنكَ أعـيَـيْـتَ المسامـعَ والنُّهـى ... بـقـولك عـمـا فـي بـطـون الـدفـاتـر

فأجرى الخطاب على غيره، وهو يريد نفسه، ليتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة.

– الثاني : غير المحض؛ وهو خطاب لنفسك لا لغيرك، ولئن كان بين النفس والبدن فرق إلا أنهما كأنهما شيء واحد....»[957]. وقد استرسل هذا النقل فشغل قريبا من

(952) لم تحضرني نسخة أخرى أقابل عليها فأتحقق من هذا الإسم، إذ يغلب على ظني أن المقصود ابن أبي الأصبع.
(953) صحف في الأصل إلى : «المعتد».
(954) «التقييد الكبير» (ص) : 645.
(955) ن «المحرر الوجيز» (69/3).
(956) كذا بالمطبوع ولعلّه «خطاباً».
(957) «التقييد الكبير» (المطبوع) : 2/496-497.

صفحة وثلث الصفحة[958]؛ وفي هذا النقل طول، وله نظائر تكررت عند البسيلي، فكانت داعيته إلى الاعتذار للقارئ[959].

ومن المواضع التي قرر فيها الصور البلاغية، عند قوله تعالى ﴿إِلاَّ كَباسِطِ﴾[960]؛ فقد قرر أن في الآية تأكيدا للذم بما يشبه المدح، وتشبيها أيضا، وذلك قوله : «هذا الاستثناء من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح، كقوله :

هـو الـكَـلْـبُ إِلاَّ أنَّ فـيـه مَـلاَلَـة وسـوءَ مُـرَاعَـاةٍ ومـا ذَاكَ فـي الـكَـلْـبِ

والتشبيه في ﴿كَبَاسِطِ﴾ إما تشبيه حسي بحسي، أو معنى بمعنى، أي : خيبة الذين يدعون كخيبة باسط كفيه؛ لأن «خيبة» مصدر، والمصدر معنى؛ وعلى الأول فالحسي الأول «الذين يدعون»، لأنه واقع على الكفار، والثاني «باسط كفيه»[961].

ومن فوائد الكتاب من الوجهة البلاغية، عدا المعرفة البلاغية النظرية وتطبيقاتها التفسيرية، إيماؤه إلى فروق دقيقة بين مصطلحات متقاربة، كالفرق بين التأسيس والتأكيد، تظهر من خلال التتبع دون تصريح[962]، وهو مما ينمي المعرفة البلاغية عند القارئ.

وقد تند عنه نظرات بلاغية تبين ـ على وجازتها ـ الذوق الأدبي عنده، فمن قبيل ذلك قوله : «والبلاغة تقتضي تغيير اللفظ وإن اتحد المعنى»[963].

ثم إن المؤلف قد نقل عن مصادر بلاغية رائجة في عصره، تدل على تمثله لثقافته، كـ«المفتاح في علم البيان» للسكاكي[964]، وأرجوزة الضرير[965] ، وتأليف ابن عزوز

(958) «التقييد الكبير» (المطبوع) : 2/497–498.
(959) كما سياتي بيانه في مبحث ما يؤخذ على المؤلف.
(960) الرعد: 14.
(961) «نكت وتنبيهات» (ق) : 69 و.
(962) ن على سبيل المثال مصطلح «التأسيس» الذي استقريناه في «نكت وتنبيهات» (ق) : 19 و؛ 29 و؛ 33 ظ؛ 37 و؛ 39 و؛ 55 و؛ 56 ظ؛ 64 ظ؛ 72 ظ؛ 75 و؛ 84 ظ؛ 88 ظ؛ 94 ظ؛ 95 و؛ 97 و؛ 120 ظ؛ 155 و؛ ومن «تكملة ابن غازي» : 10 ظ؛ 21 و.
(963) «نكت وتنبيهات» (ق) : 123 و.
(964) «نكت وتنبيهات» (ق) : 141 و.
(965) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 709. والمراد بالضرير، أبو عبد الله الضرير المراكشي (ت 807هـ) – المترجم في «نيل الابتهاج» (480) – صاحب أرجوزة في علم البيان، أخذ غالبها من «مصباح» ابن مالك، وسماها «ضياء الأرواح المقتبس من المصباح»، طالعتها :

الـحـمـد لـلـه ذي الامـتـنـان مـعـلـم الـقـرآن والـبـيـان

السجلماسي في البيان[966]، وكتاب السماكي[967]، وشرح التفتازاني «لتلخيص المفتاح»[968] و«المثل السائر»[969]، و«الفلك الدائر»[970].

ويتعلق باعتنائه بالبلاغة، موقفه من قضية بلاغية، هي قضية الإعجاز، وهذا مطلب تالٍ.

موقفه من الإعجاز :

له طريقة في فهم الإعجاز، مدارها على كونه واقعا في اللفظ لا في المعنى، خلافا للجمهور من أن الإعجاز مشترك بين اللفظ والمعنى، وهو في النظم أحرى؛ فقد قال عند مفتتح سورة الحجر : «أبو حيان : "تلكَ" إشارةٌ إلى حروفِ المعجم. ع : وفيهِ دقيقةٌ، وهي أنَّ إعْجازَ القرآنِ بألفاظِهِ وحُرُوفِهِ لاَ بمعانيه»[971].

وهو يتابع رأي شيخه مرتضيا له، ويؤكد هذا الرأي كرة أخرى، فينقل عن الفخر قوله : «... معجزة القرآن في المعنى لا في مجرد اللفظ؛ فالشاعر يقدم ويؤخر للسجع، فيكون اللفظ حاملا له على تغيير المعنى، وأما القرآن فحكمته بالغة المعنى، فلا يقدم فيه ولا يؤخر». ثم يقول البسيلي عقيبه : «قلت: قوله :"معجزة القرآن في المعنى لا في مجرد اللفظ" خلاف المختار»[972].

9. توظيف البسيلي للشعر في «نكت وتنبيهات» :

يتوزع الشاهد الشعري في كتاب البسيلي على وظائف محددة؛ فيتنوع إلى شاهد نحوي، أو بلاغي أو لغوي صرف، أو شاهد معنوي يُظاهر المعنى ويخدمه، أو أنظام

---

(966) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 536. والكتاب مطبوع ومحقق.

(967) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 543؛ 613؛ 782. وكتاب السماكي المقصود، هو كتاب «التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن»؛ منه نسخة بخط محمد بن سعيد الرعيني في دير الأسكوريال رقم 223. وقد رد عليه ابن عميرة في «التنبيهات»، وهذا الرد محقق مطبوع.

(968) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) : 246/1؛ ن خ ع ق 611 : 517. والكتاب مطبوع، وبين يدي تقرير من أربعة مجلدات لشمس الدين الأنبابي عليه، وعلى حاشية سعد الدين التفتازاني، المسماة بالتجريد. طبع بمصر سنة 1330هـ.

(969) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) : 247/1.

(970) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) : 247/1.

(971) «نكت وتنبيهات» (ق) :78 ظ.ون «التقييد الكبير» (ن خ ع ك 2038) : مج 2 : ورقة 200.

(972) «نكت وتنبيهات» (ق) :111 و.

تعليمية، أو إنشادات تاتي غالبا في سياق الترجمة لعلم من الأعلام، كابن عرفة أو الفخر أو غيرهما.

ويحوز الشاهد النحوي قصب السبق بالغلبة من حيث الإيراد، تتلوه الإنشادات فالأنظام التعليمية، ليأتي بعدهما على الوِلاء الشاهد اللغوي ثم المعنوي، فيما يقل الشاهد البلاغي قلة تسترعي الانتباه.

والغالب على البسيلي ألا يعزو ما يورده من أشعار إلا لماما. وباستثناء الشاهد النحوي والأنظام التعلميمة التي يقتصر منها غالبا على الموضع المراد، فإنه يتم الإنشادات وشواهد المعنى.

وإليك توزيع الشواهد في كتاب البسيلي بحسب الغرض من إيرادها، وبحسب ما أورد منها :

- **الشواهد النحوية :**

- فَثَوْبٌ لَبِسْتُ وَثَوْبٌ أَجُرْ
- ....كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ
- فَفَاضَتْ دُمُوعُ العَينِ مِنِّي صَبَابَةً
- وما بقيت إلا الضلوع الجراشع
- بَاعَدَ أُمَّ الْعَمْرِو مِنْ أَسِيرِهَا
- أنا ابنُ ماويةَ إذْ جَدَّ النَّقُر
- جَاؤُوا بِمَذْقٍ : هَلْ رَأَيْتَ الذِّيبَ قَط؟
- إِذَا كُنْتَ تُرْضِيهِ ويُرْضِيكَ صَاحِبٌ جِهَاراً فكُنْ في الغَيْبِ أَحْفَظَ للْوُد

- **الإنشادات :**

1 - وقَائِلَةٍ مَا هذِهِ الدُّرَرُ التِي تساقط مِنْ عينكَ سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ
فقُلْتُ هُو الدُّرُّ الذي قدْ حَشَا بهِ أبُو مُضَرٍ أذْنِي تسَاقطَ مِنْ عَيْنِي
2 - رَحَلْتُ إِلَى خُوَرزْمَ بَيْنَ عصَابَةٍ عِطَاشٍ إِلَى التَّحْقِيقِ أَخْطَأَهَا الرِّيُّ
فَسَاقَ إِلَيْنَا اللهُ مِن بعدِ خَيْبَةٍ إِمَاماً كَفَيْضِ البَحْرِ أخْرَجَهُ الرِّيُّ

3 - لحثالة سموا عماهم معدلا وحثالة حمر لكي موقفه
قد شبهوه بالمحال فعطلوا وتستروا بالذات من نفي الصفة

4 - بلغت الثمانين بل جزتها فهان على النفس صعبُ الحِمام
وآحادُ عصري مضوْا جملة وصاروا خيالا كطيف المنام
وأرجوا به نيل صدر الحديث بحب اللقاء وكره المقام
وكانت حياتي بلطف جميل لسبق دعاء أبي في المقام

5 - علمت العلوم وعلمتها ونلت الرياسة بل حزتها
وهاك سنِينِيَ عدَّدْتُها بلغت الثمانين بل جزتها
فهان على النفس صعب الحمام

* * * * * *

فلم تُبْقِ لي في الورى رغبة ولا في العلا والنهى بغية
وهيهات أرجِّيهما لحظة وآحاد عصري مضوا جملة
وعادوا خيالا كطيف المنام

* * * * * *

ونادى الرحيل وما لي مغيث وحث المطية كل الحثيث
وإني لراج وحبي أثيث وأرجو به نيل صدر الحديث
بحب اللقاء وكره المقام

* * * * * *

فيا رب حقق رجاء الذليل ليحظى بدارك عما قليل
فيمسي رجائي بموتي كفيل وكانت حياتي بلطف جميل
لسبق دعاء أبي في المقام

– **الأنظام التعلمية :**

أ) من قصيد الشاطبي :

– وَإِخْفَاؤُهُ فَصْلٌ أَبَاهُ وُعَاتُنَا وَكَمْ مِنْ فَتىً كالْمَهْدَوِي فيهِ أَعْمَلا

– ومهما تصلها ....

– وَمَا لَمْ يَمُتْ لِلْكُلِّ جَاءَ مُثَقَّــلاَ

– ..... يَسْتَبِينَ صُحْبَةٌ ذَكَّرُوا وِلاَ

– وَعَــى نَفَرٌ أَرْجِئْهُ بِالْهَمْزِ سَـاكِناً

– وَقَرْنَ افْتَحْ إِذْ نَـصُّوا ....

ب) من الدرة الألفية لابن معطي :

– وَمِـثْـلُ خُـطْــوَة وسِــدْرَة أَتَــتْ   فـي جَـمْـعِـهَـا لُـغـى ثَـلاَث رُوِيَـتْ

– **معنوي** : مكر مفر مقبل مدبر معا.

– **بلاغي** : على لاحب لا يهتدى بمناره.

10 ـ إيراده لإفادات موضوعية دفينة بالكتاب :

فطن كثير من العلماء إلى أن كتاب البسيلي يحوي أخبارا وفوائد تاريخية، استفادوا منها استفادة بالغة، كما سيظهر في مبحث النقول عنه. وقد تنوعت هذه الإفادات وتعلق أغلبها بتراجم الأعلام؛ فمنها :

– ترجمته لابن عطية والزمخشري[973].

– ترجمته لابن بزيزة[974].

– ترجمته لابن عرفة[975].

– ترجمته للفخر الرازي[976].

– الإشارة إلى غدرة عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد الأشدق[977].

– الإشارة إلى بعض عوائد السلطان أبي الحسن المريني[978].

---

(973) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 3 و–4 ظ.

(974) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 4 ظ–5 و.

(975) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 5 و–6 ظ؛ 107 و–108 ظ.

(976) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 6 ظ–7 و.

(977) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 27 و.

(978) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 35 و؛ «تكملة ابن غازي» : 5 و–6 ظ.

- إيراد حكاية ابن عصفور و ابن هشام الخضراوي مع أبي عبد الله المستنصر حول شواهد «كائن» على قراءة ابن كثير.

- احتفاظه ببعض تواريخ دروس ابن عرفة؛ كقوله عند قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا اَسْتَيْئَسُواْ مِنْهُ ...﴾ الآية[979] : «هذا عشر يوم السَّبت، سابع شهر شعبان، منْ عامِ ستّةٍ وثمانينَ وسبعِمِائةٍ؛ وابْتَدَأَ قراءَةَ العشرِ والحديثِ مِنْ هَذَا اليَوْمِ، الفقيهُ أَبُو عبدِ اللهِ بنُ مُسَافِرٍ، عِوَضاً عَنْ سَيِّدِي عِيسَى الغُبْرِينِي»[980]. وقوله عند ناصية سورة الرعد : «ابتدأنا تفسيرها في يوم الثلاثاء رابع عشرين من شعبان، عام ستة وثمانين وسبعمائة»[981].

- إخباره عن إعصارين ضربا تونس سنة 771هـ، و عام 806هـ[982].

11 ـ مظاهر التفسير بالرأي المحمود عند البسيلي :

أ ـ اهتمامه بالجمع بين ما يوهم التعارض من آي القرآن :

ومن الأمور التي أولاها البسيلي اهتماما ظاهرا، الجمع بين الآيات الموهمة للتعارض، حتى إنه يكاد يكون هذا الأمر، لفرط ما تلفيه بين تضاعيف الكتاب، مقصدا تغياه المؤلف أو جنح إليه من حيث يحتسب أو لايحتسب، وحسبك أن تعلم أن التفات المؤلف إليه بشكل مطرد، يجعل من كتابه كتابا في المشكل القرآني أكثر من كونه تفسيرا لآيات مخصوصة. ويظهر من خلال نكت من كتابه أنه يربط بين التفسير وبين حل المشكل القرآني، فقد ساق عند قوله تعالى : ﴿وَأَبّاً﴾[983]، حكاية عمر، حين «سأل الناس ما الأب ؟. فقال : اتبعوا ما بُيِّنَ لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه». ثم استشف البسيلي من الحكاية أنها كأنّها تنهَى عن تتبُّع معاني القرآن ومشكلاته، ثم أجاب عن هذا الإشكال بما تراه في موضعه[984]. وقد صرح خلال كتابه أنه لا يكون المفسر ماهرا حتى يتمكن من الجمع والتوفيق بين ما ظاهره التعارض، وذلك قوله : «الواجب على المفسر الماهر أن يراعي في تفسيره في كل مقام، ما يسلم به من الخطأ، وأما التوفيق

(979) يوسف: 80.
(980) «نكت وتنبيهات» (ق) : 66–ظ.
(981) «نكت وتنبيهات» (ق) : 67–ظ.
(982) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق611) : 666.
(983) عبس: 31.
(984) ن «تكملة النكت» : 8 ظ.

بين مفردات الألفاظ، فمن أجل المقاصد، ولا يعلم كنهه بحسب اقتضاء كل مقام إلا الله سبحانه»[985].

وهكذا فقد حاول أن يجمع بين الآيات أو الآثار التي ظاهرها التعارض، ففعل ذلك في الآيات التالية :

- بين قوله تعالى : ﴿تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾[986]، وقوله[987] : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمُ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُم﴾[988].

- بين قوله تعالى : ﴿يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[989] وقوله عز وجل[990] : ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾[991].

- بين قوله تعالى : ﴿قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ الله﴾[992] و بين قوله تعالى في سورة الجن[993] : ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ﴾[994].

- كيفَ قال في سورة القصص : [995]﴿فَأَخاف﴾، وقدْ قالَ قبل : [996]﴿لاَتَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾[997] ؟

- كيف تتقرر المغفرةُ لهم ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ : [يقصد : المسلمين والمسلمات ...] ،مع قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[998]؟. وهذه الأوصاف كلُّها محصِّلَةٌ للثواب المذْهِب للذنوب، فلم يبْقَ ما يُغفر ![999].

(985) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 357.
(986) آل عمران: 13.
(987) الأنفال : 44.
(988) «نكت وتنبيهات» (ق) : 24 ظ.
(989) آل عمران: 179.
(990) المائدة : 100.
(991) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 31 و.
(992) النمل:65.
(993) الآيتان : 26–27.
(994) «نكت وتنبيهات» (ق) : 91 و.
(995) القصص: 33.
(996) القصص: 31.
(997) ن «نكت وتنبيهات» (ق):93 و.
(998) هود : 114.
(999) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 103 و.

– عند قوله تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ﴾[1000]، أزاح الإشكال عن الآية، بإجابته عن سؤاله : «إنْ قلت : قد كان عنده ولدُه إبراهيم والقاسم والطاهر والطيب»[1001].

– كيف الجمع بين قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[1002]، وبين حديث أهل القليب يوم بدر، حيث قال : «ما أنتم بأسمع منهم»[1003].

– كيف الجمع بين آية يس[1004] ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾، وآية الزمر[1005] ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾.

– كيف قال : ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾[1006]، فمنَّ عليهم بحمل ذرياتهم، وقال : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[1007] فَمَنَّ عليهم بحمل أنفسهم[1008].

ب ـ اهتمامه بتوجيه الآيات المتشابهات في اللفظ :

اهتم البسيلي بتوجيه الآيات التي لا توهم التعارض، وإنما تتشابه فتزيد أو تنقص بخلاف يسير، كما في الاختلاف الواقع:

– بين قوله تعالى : ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[1009] وقوله[1010] : ﴿بغير الحق﴾[1011].

– بين قوله تعالي : ﴿اجعل هذا بلدا آمنا﴾[1012] وبين قوله : [1013]﴿اجعل هذا البلد آمنا﴾[1014].

(1000) الأحزاب:40.
(1001) ن «نكت وتنبيهات» (ق):105 و.
(1002) فاطر : 22.
(1003) ن «نكت وتنبيهات» (ق):112 ظ.
(1004) الآية: 51.
(1005) الآية: 68.
(1006) يس: 41.
(1007) الحاقة : 11.
(1008) ن «نكت وتنبيهات» (ق):117 و.
(1009) آل عمران:21.
(1010) البقرة: 61.
(1011) ن «نكت وتنبيهات» (ق):25 و.
(1012) البقرة : 126.
(1013) إبراهيم: 35.
(1014) ن «نكت وتنبيهات» (ق):25 و؛ 77و.

– بين قوله سبحانه : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾[1015] وبين قوله[1016] في التي قبلها ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1017].

– بين قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾[1018] وآية الأعراف[1019] ﴿لسريع العقاب﴾[1020].

– بين قوله تعالى : ﴿أَلاَ إِنَّ لِلهِ مَن في السَّماواتِ وَمَن في اِلاَرْضِ﴾[1021] وبين الآية التي قبلها ﴿أَلاَ إِنَّ لله[1022] مَا في السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ﴾[1023].

– بين قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيَ أَعُوذُ بِكَ...﴾[1024]، وآية[1025] ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمُ أَن تَرْجُمُونِي﴾[1026].

– بين قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّه﴾[1027]، وآيةِ القَصَصِ[1028] زيادَةُ ﴿واسْتوى﴾[1029].

– بين قوله تعالى : ﴿وَيُذَبِّحُون﴾[1030] وآية البقرة[1031] ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ - بغير واو -[1032].

(1015) آل عمران: 177.
(1016) آل عمران : 176.
(1017) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :31 و.
(1018) الأنعام: 165.
(1019) الآية: 167.
(1020) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :49 و.
(1021) يونس: 66.
(1022) يونس :55.
(1023) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :54 ظ.
(1024) هود: 47.
(1025) الدخان : 20.
(1026) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :57 و.
(1027) يوسف:22.
(1028) الآية : 28.
(1029) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :59 و؛ 93 و.
(1030) إبراهيم: 6.
(1031) الآية : 49.
(1032) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :72 ظ–73 و.

– بين ما ورد من قوله : ﴿أَلَمْ﴾، كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَاتِكُمْ﴾[1033]، تارة تقع «ألم» دون واو كهذه، وتارة مع الواو كقوله : ﴿أَو لَمْ يَرَوا[1034]﴾[1035].

– بين قوله تعالى : ﴿وَلاَ خِلاَلٌ﴾[1036]، وقوله تعالى في البقرة[1037] : ﴿وَلاَ خُلَّةٌ﴾[1038].

– بين قوله تعالى : ﴿إِنَّ الاِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1039]، وقوله في سورةِ النحل[1040] : ﴿إِنَّ اللهَ لغَفُورٌ رَّحِيم﴾[1041].

– بين قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ﴾[1042]، حيث عطف هنا بالواوِ، وقول قومِ صالحٍ ﴿مَا أَنتَ﴾[1043] دونَ واو[1044].

– بين قوله تعالى : ﴿فَلاَ تَدْعُ مَعَ اَللهِ﴾[1045]، وقوله سبحانه[1046] : ﴿وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[1047].

– بين قوله تعالى في سورة النمل[1048] : ﴿هَذَا نَحْنُ﴾ و قوله سبحانه في سورةِ المومنين[1049] : ﴿نحنُ وآباؤُنا هذَا﴾[1050].

(1033) إبراهيم : 9.

(1034) الرعد : 41؛ النحل : 48؛ الإسراء : 99؛ الشعراء : 7؛ العنكبوت : 19- 67؛ الروم : 37؛ السجدة : 27؛ يس : 31- 71؛ فصلت : 15؛ الأحقاف : 33؛ الملك : 19.

(1035) «نكت وتنبيهات» (ق) :73 و.

(1036) إبراهيم : 31.

(1037) الآية: 254.

(1038) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :76 ظ.

(1039) إبراهيم: 34.

(1040) الآية : 18.

(1041) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :76 ظ–77 و.

(1042) الشعراء: 186.

(1043) الشعراء : 154.

(1044) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :88 ظ.

(1045) الشعراء:213.

(1046) يونس : 106.

(1047) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :88 ظ.

(1048) الآية: 68.

(1049) الآية : 83.

(1050) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :91 و.

– بين قوله تعالى : ﴿وَلاَ فِي اِلسَّمَآءِ﴾[1051] وآية الشورى[1052]، حيث لم يقل «ولا في السماء».

– بين قوله تعالى : ﴿قلْ كَفى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾[1053]، وقوله : ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم﴾ في الإسراء والرعد[1054]، فوقع في آياتِ القرآنِ تقديم ﴿شهيداً﴾ إلا في هذه الآية[1055].

– بين قوله تعالى : ﴿تَنزيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فيهِ﴾[1056]، وقوله سبحانه في البقرة[1057] ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾[1058].

– بين قوله تعالى : ﴿عَذَابَ اَلنَّارِ اِلتي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[1059] وقوله تعالى في سورة السجدة[1060] : ﴿الذِي كُنتُمْ بِهِ﴾»[1061].

– بين قوله تعالى : ﴿وَجَآءَ مِنَ اَقصَى اَلْمَدِينَةِ﴾[1062]، وآية القصص[1063] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾[1064].

– بين قوله تعالى في سورة العنكبوت[1065] : ﴿وَلاَ فِي اِلسَّمَآءِ﴾، وآية الشورى[1066]، حيث لم يقل «ولا في السماء»[1067].

(1051) العنكبوت: 22.
(1052) الآية : 31.
(1053) العنكبوت:52.
(1054) الآية 96؛ الآية: 43.
(1055) ن «نكت وتنبيهات» (ق):95 و.
(1056) السجدة: 2.
(1057) الآية : 2.
(1058) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :96 ظ.
(1059) الأحزاب: 42.
(1060) الآية : 20.
(1061) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 109 و.
(1062) يس: 20.
(1063) الآية : 20.
(1064) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 114 ظ.
(1065) الآية : 22.
(1066) الآية : 31.
(1067) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 95 و.

ج - الاهتمام بأسرار النظم القرآني وأسئلة القرآن (النكت والتنبيهات) :

أفرزت المدرسة التونسية، امتدادا من ابن زيتون وابن عبد السلام وابن عرفة، وانتهاء إلى تلاميذ هذا الأخير، عرفا خاصا في مجالس الدرس، يعتمد على مبدإ التفقه، والسجال العلمي بين الأستاذ وتلاميذه، بشكل يحيل وجود الصوت الواحد في حلقة الدرس، كما هو المعهود؛ ومن ثم فقد نهض التحصيل العلمي على استنبات الإشكالات العلمية وحلها، وطرح الأسئلة المتناسلة، والإجابة عنها في جو من الحوار العلمي المقنع.

وهذا الذي ذكرنا نجد له ترجمة واضحة في كتاب البسيلي، كأنه صدى حي لمجالس ابن عرفة في التفسير، من حيث الاهتبال بأسرار النظم القرآني، وإثارة الأسئلة القرآنية؛ وهذه طائفة صالحة منها، ساقها وأردفها بالإجابة عنها، شاهدة على كونها كانت طرفا من منهج البسيلي في التعاطي مع تفسير كتاب الله جل وعز :

- عند قوله تعالى : ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾[1068] : «لم يؤتَ بالفاء هنا كما أُتَى بها في الآية المتقدمة[1069]؛...»[1070].

- عند قوله تعالى : ﴿إن كنتم صادقين﴾[1071] : «فإن قلت : إنما نفوا القتل، فلم ذكر في الرد عليهم الموت...؟»[1072].

- عند قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾[1073]، حيث تساءل عن علة تقديم العبادة على التوحيد وهي متأخرة عنه، ثم أجاب عنه[1074].

- عند قوله تعالى : ﴿إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾[1075]، استشكل استثناء الظن من الشك، وهما ضدان، ثم أجاب عن ذلك[1076].

(1068) البقرة: 277.
(1069) البقرة: 274.
(1070) ن الجواب في «نكت وتنبيهات» (ق): 20 ظ.
(1071) آل عمران: 168.
(1072) ن الجواب في «نكت وتنبيهات» (ق) :31 و.
(1073) النساء: 36.
(1074) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :39 و.
(1075) النساء: 157.
(1076) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :46 ظ.

– عند قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ﴾ الآية[1077] «ذكر أربع جهات، ولم يذكر جهتي "فوق" و"تحت"...»[1078].

– عند قوله تعالى : ﴿وَنَادى نُوحٌ رَّبَّهُ، فَقال﴾ الآية[1079] «إذا كان النداء هو قوله "رب" فكيف عطف "قال رب" على "نادى" بالفاء ؟...»[1080].

– عند قوله تعالى : ﴿وَأَخَذَ الذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَة﴾[1081] : «وجمعُ الديارِ معَ الصيحةِ وإِفْرادُها معَ الرجفةِ...»[1082].

–عند قوله تعالى : ﴿قل من رب السماوات﴾[1083] : «وعبَّر عن السماوات بلفظ الجمع، وعن الأرض بلفظ الإفراد في مواضعَ من القرآن...»[1084].

–عند قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَاتِكُمْ﴾[1085] : «تارة تقع "ألم" دون واو كهذه، وتارة مع الواو كقوله ﴿أَوَ لَمْ يَروا﴾[1086]...»[1087].

–عند قوله تعالى : ﴿قالَتْ لَهُمْ﴾[1088] : «أتى بـ "لهم" في هذه الآية دون التي قبلها...»[1089].

– عند قوله تعالى : ﴿سُبُلَنَا﴾[1090] : «إنْ قلت : سبيلُ الحقِّ واحدةٌ بخلاف سُبُلِ الباطل، كما تقرَّرَ في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[1091]...»[1092].

(1077) الأعراف: 17.
(1078) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :49 و.
(1079) هود: 45.
(1080) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :57 و.
(1081) هود:67.
(1082) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :59 و.
(1083) الرعد: 16.
(1084) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :70 ظ.
(1085) إبراهيم: 9.
(1086) الرعد : 41؛ النحل : 48؛ الإسراء : 99؛ الشعراء : 7؛ العنكبوت : 19 - 67؛ الروم : 37؛ السجدة : 27؛ يس : 31 - 71؛ فصلت : 15؛ الأحقاف : 33؛ الملك : 19.
(1087) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :71 و.
(1088) إبراهيم: 11.
(1089) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :74 ظ.
(1090) إبراهيم: 12.
(1091) الأنعام : 1.
(1092) ن «نكت وتنبيهات» (ق).

– عند قوله تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ والزَّانِي﴾[1093] : «قُدِّمتِ الأنثى هُنا على الذَّكَرِ، وعُكِسَ في قوله : ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ﴾[1094]...»[1095].

– عند قوله تعالى : ﴿مِن بُيُوتِكُمْ﴾[1096] : «ذُكِرَ وإنْ كانَ لاَ جُناحَ فيهِ؛ لإفادةِ التسوية بينَهُ وبينَ ما عُطِفَ عليه؛ وقدَّمَ بيوتَ الآباءِ لتكرُّرِ دخولِ الأبناءِ إياها؛ لأنَّ نفقتَهم عَلى آبائهمْ. وقُدِّمتِ العمَّةُ على الخالةِ لتقْديمِها عليها في الحَضانةِ عند مالك، وأُفْرِدَ الصَّديقُ لقلَّته !»[1097].

وهذه طائفة صالحة من أسئلة القرآن، أوردها البسيلي على شاكلة : «لما ذا قال كذا ولم يقل كذا ؟» :

– عند قوله تعالى : ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[1098] : «لَمْ يَقُلْ "غيرِ الذينَ غَضِبْتَ عليهِم"؛ كمَا قَالَ : ﴿الذِينَ أنعمْتَ عليهِمْ﴾[1099]».

– عند قوله تعالى : ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[1100] : «ولم يقل في الرعد "يكاد كذا"»[1101].

– عند قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾[1102] : «لم يقل "بناتكم" في مقابلة "أبنائكم"»[1103].

– عند قوله تعالى : ﴿مِنَ التَّعَفُّفِ﴾[1104] : «لم يقلْ "من تعففهم"...»[1105].

(1093) النور: 2.
(1094) المائدة : 38.
(1095) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :83 و.
(1096) النور: 61.
(1097) «نكت وتنبيهات» (ق) :84 ظ.
(1098) الفاتحة: 7.
(1099) الفاتحة: 7. ن الجواب في «نكت وتنبيهات» (ق) :16 ظ.
(1100) البقرة: 20.
(1101) «نكت وتنبيهات» (ق) :17 و.
(1102) البقرة: 49.
(1103) ن الجواب في «نكت وتنبيهات» (ق) :17 و.
(1104) البقرة: 273.
(1105) ن الجواب في «نكت وتنبيهات» (ق) :19 و.

– عند قوله تعالى : ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ : «لم يقلْ "في أبنائكم"؛ لصِدْقِ "الابن" على التبنّي، وليسَ مُراداً هنا»[1106].

– عند قوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾[1107] : «إنْ قلت: هلاَّ قيل "أحد" مكان ﴿رجل﴾، ليتناول الكبيرَ والصغير، والذكرَ والأنثى ؟»[1108].

– عند قوله تعالى : ﴿وأخرى كافرة﴾[1109] : «لِمَ....لم يقلْ "وأخرى تقاتلُ في سبيل الطاغوت"»[1110] ؟.

– عند قوله تعالى : ﴿مَا تَقُولُونَ﴾[1111]، لم عدل عن قوله "ما تتكلمون"؟[1112].

– عند قوله تعالى : ﴿فَلَن تَجِدَ له نصيرا﴾[1113] : «لم يقلْ : "ناصرا"...»[1114].

– عند قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ هَذَا اَلْقُرْآنُ أَنْ يُّفْتَرَى مِن دُونِ اِللَّهِ﴾[1115] : «الأصل "على الله"؛ لأنه المطابق لقولهم "افترى على الله"، وعدل عن هذا الأصل....»[1116].

– عند قوله تعالى : ﴿أنزِلَ بِعِلْمِ اِللَّهِ﴾[1117] : «ولم يقلْ : "مِنْ عند الله"...[1118].

– عند قوله تعالى : ﴿التي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾[1119] : «لمْ يقُلِ امْرَأَةُ العزيزِ"....»[1120].

– عند قوله تعالى : ﴿مِنَ اَلْخَاطِئِينَ﴾[1121] : «لمْ يقلْ : من الخاطئاتِ...»[1122].

(1106) «نكت وتنبيهات» (ق) :35 و.
(1107) النساء: 12.
(1108) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :36 ظ.
(1109) آل عمران: 13.
(1110) ن الجواب في «نكت وتنبيهات» (ق):24 ظ.
(1111) النساء: 43.
(1112) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :39 و.
(1113) النساء: 52.
(1114) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :41 و.
(1115) يونس:37.
(1116) ن «نكت وتنبيهات» (ق) :52ظ–53و.
(1117) هود: 14.
(1118) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 55 و.
(1119) يوسف: 23.
(1120) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 60 ظ.
(1121) يوسف: 29.
(1122) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 63 و.

– عند قوله تعالى : ﴿فِي اِلْمَدِينَةِ﴾[1123] : «لمْ يقلْ "مِن المدينةِ"...»[1124].

– عند قوله تعالى : ﴿أم الله﴾[1125] : «لمْ يقُل : "أَم الرَّبُّ"...»[1126].

– عند قوله تعالى : ﴿مِنَ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾[1127] : «لم يقلْ "متعدِّدةٍ"...»[1128].

– عند قوله تعالى : ﴿ويذبحون أبناءكم﴾[1129] : «ولم يقل "بناتكم" في مقابل "أبناءكم"...»[1130].

– عند قوله تعالى : ﴿لَنُهْلِكَنَّ اَلظَّالِمِينَ﴾[1131] : «لم يقل "الكافرين"...»[1132].

– عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ الله وَعَدَكُمْ وَعْدَ اَلْحَق﴾[1133] : «لم يقل "وعد الباطل" كما قال "وعد الحق" أي الصدق؛ ولم يقل في وعد الله "فصدقكم" كما قال في وعد الشيطان ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾...»[1134].

– عند قوله تعالى : ﴿ذَاتِ حَمْلٍ﴾[1135] : «لمْ يقلْ "حاملٍ" كما قالَ "مرضِع"...»[1136].

– عند قوله تعالى : ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[1137] : «لَمْ يقلْ "ماذا يُجيبُونَ"...»[1138].

(1123) يوسف: 30.
(1124) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 63 و.
(1125) يوسف: 39.
(1126) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 65 و.
(1127) يوسف:67.
(1128) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 66 ظ.
(1129) إبراهيم: 7.
(1130) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 73 و.
(1131) إبراهيم: 13.
(1132) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 74 ظ.
(1133) إبراهيم: 22.
(1134) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 75 و.
(1135) الحج: 2.
(1136) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 81 و.
(1137) النمل: 28.
(1138) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 89 و.

– عند قوله تعالى : ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ اَلذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ﴾[1139] : «لمْ يقلْ "أمْ لاَ تهتدي"...»[1140].

– عند قوله تعالى : ﴿أَهَكَذَا﴾[1141] : «لم يقلْ "أهذا ؟"...»[1142].

– عند قوله تعالى : ﴿علا فِي اِلاَرْض﴾[1143] : «لم يقل "استعلى" كما قال ﴿لَعَالٍ فِي الاَرْض﴾[1144] دون "مستعل"...»[1145].

– عند قوله تعالى : ﴿لأُخْتِهِ﴾[1146] : «لمْ يقلْ "لابنتِها"...»[1147].

– عند قوله تعالى : ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1148] : «لمْ يقلْ "مَا يعملونَ"...»[1149].

– عند قوله تعالى : ﴿لَّجَآءَهُمْ﴾[1150] : «لم يقل "لعاجلهم"...»[1151].

– «وقال في ذكر مريم بنت عمران ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[1152] فأدخلَها في وصف الذكور، ولم يقل "وكانت من القانتات"...»[1153].

– «وسؤال آخر : قال فيما تقدم ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الاَرْض﴾[1154]، ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَيْلُ﴾[1155] ولم يقل هنا "وآية لهم الفلك تحملهم"...»[1156].

(1139) النمل: 41.
(1140) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 89 و.
(1141) النمل: 42.
(1142) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 90 ظ.
(1143) القصص: 4.
(1144) يونس : 83.
(1145) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 92 ظ.
(1146) القصص: 11.
(1147) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 93 و.
(1148) العنكبوت: 4.
(1149) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 95 و.
(1150) العنكبوت: 53.
(1151) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 96 ظ.
(1152) التحريم : 12.
(1153) ن «نكت وتنبيهات» (ق) : 103 و.
(1154) يس: 33.
(1155) يس : 37.
(1156) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 117 و.

– «فإنْ قلت : لِمَ لَمْ يقل : "ولا منقذ"؛ كما قال ﴿فلاَ صَرِيخَ﴾[1157]، أو يقول "فلا يصرخون" كقوله ﴿يُنقِذُونِ﴾...»[1158].

– عند قوله تعالى : ﴿سَاعَةً مِّن نَّهارٍ﴾[1159] : «لم يقل تعالى "ساعة من ليل"...»[1160].

– عند قوله تعالى : ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾[1161] : «لم يقل "فأصمَّ آذانَهم"، كما قال ﴿وَأَعْمى أَبْصَارَهُمْ﴾...»[1162].

– عند قوله تعالى : ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ﴾[1163] : «لم يقل "يتفكرون ولا يتذكرون"...»[1164].

– عند قوله تعالى : ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾[1165] : «لم يقل "لِنَرْميَ"...»[1166].

– عند قوله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[1167] : «وقال ﴿خَافَ﴾ : فعبر بالفعل ولم يقل "وللخائف"، فيعبر بالاسم...»[1168].

– عند قوله تعالى : ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾[1169] : «ولم يقل "يختارون"...»[1170].

– عند قوله تعالى : ﴿أَجْسَامُهُمْ﴾[1171] : «لم يقل "أجسادهم"...»[1172].

(1157) يس: 43.
(1158) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 117 و.
(1159) الأحقاف: 35.
(1160) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 138 ظ.
(1161) القتال: 23.
(1162) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 139 و.
(1163) القتال: 24.
(1164) ن «نكت وتنبيهات» (ق):139 و.
(1165) الذاريات: 33.
(1166) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 149 و.
(1167) الرحمن: 46.
(1168) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 152 ظ.
(1169) الواقعة: 20.
(1170) ن «نكت وتنبيهات» (ق):152 ظ.
(1171) المنافقون: 4.
(1172) ن «تكملة ابن غازي» : 2 و.

– عند قوله تعالى : ﴿يكذب بالدين﴾[1173] : «وإنما قال : "يكذب" بلفظ المضارع، ولم يقل "كذب"...»[1174].

– عند قوله تعالى : ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾[1175] : «لم يقل "فأصبحت"...»[1176].

– «مما يسئل عنه هنا : لم قال ﴿إذا وقب﴾[1177] و﴿إذا حسد﴾[1178]، ولم يقل من شر النفاثات إذا نفثت ؟...»[1179].

– عند قوله تعالى : ﴿في صُدُورِ النَّاس﴾[1180] : «لم يقل "في قلوب الناس"...»[1181].

د ـ مناقشة الفرق الكلامية خاصة المعتزلة :

عرض البسيلي لمحاجَّة المعتزلة في أصولهم، ورَدَّ عليهم في مواطن كثيرة، غير ما تحرَّاه من تعقّب المزالق الاعتزالية التي جَازَتْ على بعض المفسرين، وقد عددتُ له 26 موضعا، ناقش فيها المعتزلة، تكاد تكفي قارئها لرسم صورة عن أهم الملامح الاعتقادية لهذه الفرقة الكلامية، فانظر المواضع التالية من «النكت» :

12ظ؛ 16ظ؛ 17و؛ 20و؛ 30ظ؛ 33ظ؛ 41و؛ 42ظ؛ 44ظ؛ 70ظ؛ 78ظ؛ 82ظ؛ 97و؛ 123و–124ظ؛ 128ظ–129و؛ 130ظ؛ 134ظ؛ 141و؛ 144ظ؛ 147و؛ 148ظ؛ 149و؛ 154ظ؛ و«تكملة ابن غازي» : 3و؛ 8ظ؛ 14ظ؛ 21و.

ويتعلق بما مَرَّ من مناقشة المعتزلة، التنبيه على ما وقع في تفاسير أهل السنة كابن عطية من نزغات اعتزالية غير مقصودة، فمن ذلك عند تعالى ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[1182]، حيث انتقد على ابن عطية قوله : «إن الله تعالى يحب التوفيق على العموم»،

(1173) الماعون: 1.
(1174) ن «تكملة ابن غازي» : 16 ظ.
(1175) الحج: 63.
(1176) ن «تكملة ابن غازي» : 16 ظ.
(1177) الفلق: 3.
(1178) الفلق: 5.
(1179) ن «تكملة ابن غازي» : 18 ظ.
(1180) الناس: 5.
(1181) ن «تكملة ابن غازي» : 19 و.
(1182) البقرة: 276.

وعدّها نزغة اعتزالية لم يتفطن لها ولم يقصدها؛ وبيَّن أن مذهبنا أنه تعالى يحب الخير ويحب الشر»[1183].

ثم جعل البسيلي نقْل ابنِ عطية عن النَّقَّاش : «المعنى : فيغفر لمن يشاء، أي : لِمَن يَنْزَعُ عنه، ويعذب من يشاء، أي أقام عليه»؛ اعتزالا، وهو أن المعاصي إنما تُغفر بالتوبة»[1184].

وعند قوله جل وعز : ﴿وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1185]، يقول ابن عطية : «يريد بعد امتثَالِه في نفسِه»، فيعتبره البسيلي اعتزالا[1186]. ولما بلغ ابن عطية تفسير قوله تعالى : ﴿بِالحَقِّ﴾[1187]، عقب عليه البسيلي بقوله : «فسره ابن عطية بوجهين، ثانيهما اعتزال لم يشعر به!؛ وقد تقدم له نظيره في أول هذه السورة»[1188]، ومثل ذلك عند قوله تعالى : ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1189]، يقول البسيلي : «نقلُ ابن عطية عن الرُّمَّاني أن كراهة هذا اللحم يدعوا إليها الطبع، وكراهة الغيبة يدعوا إليها العقل، اعتزالٌ غفل عنه؛ لأنه مبني على قاعدة التحسين والتقبيح، وأن العقل يحسن ويقبح»[1190].

ومع حرصه على دحض شبهات الاعتزال، والوقوف مع «الكشاف» ـ خاصة ـ في دسائسه الاعتزالية الخفية، إلا أنه لم يكن ليتَوَانَ عن رفع هذه الشبهة حين يحتملُ الكلام وجوها، فلا يكون خالصا في إثباتها، فعند قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكى﴾[1191]، نقل قول الزمخشري في تفسيره : «أي : خَلَقَ القوةَ على الضحك والبكاء». ثم قال : «فإنْ أُورِدَ أنَّ هذا اعتزال مبْنِيٌّ على مذهبه في أن العبد يخلق أفعاله، وهو يوافقُنا في الدَّاعي أنّه خَلْقٌ لله تعالى»؟. فالجواب أن عادةَ الشيوخ أنهم لا يحملون على الاعتزال إلا ما هو صريحٌ فيه، وأمّا المحتَمَل الذي يوجِّهُهُ السُّنّي على مذهبه والمعتزلِّي على مذهبه فَلاَ، وهذا منه؛ بل ما فسَّره به الزمخشري أوْلى، لأنّ الآية حينئذٍ

(1183) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 20 و.
(1184) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 23 و.
(1185) لقمان:17.
(1186) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 96 ظ.
(1187) الزمر: 41.
(1188) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 128 ظ.
(1189) الحجرات: 12.
(1190) «نكت وتنبيهات» (ق) : 146 ظ.
(1191) النجم: 43.

تكون عامةً تتناولُ ما إذا كان الإنسانُ غيرَ ضاحكٍ ولا باكٍ، ووجودُ الضحك عند التعجب، ووجودُ البكاء عند الحزن نقولُ نحن إنه أمر عادي خلقه الله تعالى عند ذلك لاَ بهِ، ويقول المعتزلة إنه أمرٌ عقلي مِنْ فِعل العبد وطبعِه»[1192].

كما وقع له ذلك مع السكوني حيث صرح أنه لا يتعين كون قول الزمخشري ـ عند قوله تعالى : ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾[1193] ـ «لايستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين؛ أحدهما أن يكون المشفوع له مرتضى». لا يتعين أن يكون قوله «مرتضى» اعتزالا كما زعم ابن خليل في "التمييز"؛ لاحتمال كون معنى «مرتضى» أي مومنا، ولا يتعين تقييده بالطائع»[1194].

وقد يتجاوز البسيلي مناقشة الزمخشري إلى مناقشة شراحه، كالطيبي والسكوني، فيرى أن قول الزمخشري : «إن سبب الحكمة والمصلحة» اعتزال، ثم يورد عليه كلام صاحب "فتوح الغيب"، ويتعقبه في قوله : «معنى بالحق أي بالثواب»؛ بأنه إن أراد الثّواب الشرعيَّ لا العقليَّ فهو مذهبنا، وأمّا المعتزلة فيقولون بالتحسين والتقبيح، وأنّ الله تعالى يجب عليه عقلا أن يُثِيبَ الطائع؛ فمعنى كلام الطيبي أن الله تعالى خلق السماوات والأرض بسبب الثواب والعقاب شرعا[1195].

ومع أنه يمتح من معين شراح الكشاف، إلا أنه يخالفهم في أحايين في تقرير موضع الاعتزال، فعندما فسر الزمخشري قوله تعالى : ﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1196]، بقوله : «أي بمشيئته وإرادتِه»؛ أورد البسيلي بعده قول السُّكوني : «اعتزالٌ هنا، بناءً على نفْيِ الكلام، والمرادُ بالإذن قولُه تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1197]. لكنه توقف في قبول كلامه فقال : «حدوثُ الحادثِ لا يتوقَّفُ عقْلا على الكلام، بل على العلمِ والقدرةِ والإرادة، وأمَّا شرعاً فيتوقف على الكلام، لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً﴾ الآية[1198]، وإنما اعتزالُ الزمخشري هنا مِن

(1192) «تكملة ابن غازي» :21 و.
(1193) الزمر: 43.
(1194) «نكت وتنبيهات» (ق) : 128 ظ.
(1195) «نكت وتنبيهات» (ق) : 134 ظ.
(1196) المجادلة: 10.
(1197) النحل :40.
(1198) يس : 82.

حيثُ قولُه إن العبدَ يخلُق أفعالَه، فلذلك قال «إلا بإرادته»، ولم يقلْ : «إلا بقدرته»»[1199].

هـ ـ عنايته بالمنطق وتطبيقاته على الآي القرآنية :

لم يعزب عن ذهن الرصاع وهو يأخذ عن البسيلي تضلعه في فنون منها المنطق، ولعل هذا الأمر هو الداعي لقوله «لازمته شهورا في قراءة المنطق وغيره». وهو يقول في موضع آخر من "فهرسته"[1200] «ينبغي في حق الطالب أن يأخذ العلم من أصله، وصاحب حقيق العلم المشتهر به هو الأحق بالأخذ عنه، لأنه أقعد به، لأن رب الدابة أولى بمقدمها، وصاحب الدار أولى بالإمامة فيها، وسمعت بعض مشايخنا يذكر في مثل ذلك مثلا عاميا أن ألذ ما تاكل الهريسة في حانوت السفاج، وقد كان أهل الطلب والرواية يرحلون لمن اختص بالعلم للقراءة عليه لأنه أقعد بذلك. وقد كانت الأوائل من العلماء رحمهم الله كل عالم في علم لا يخلط معه غيره تحقيقا لأصول ذلك العلم وبيانا لاصطلاحهم...».

وعلو كعب البسيلي يجد تفسيره في أخذه عن ابن عرفة، الذي «لو لم يكن ضليعا في المنطق، متمرسا بأساليب الجدل بين الفرق، لما ألف فيه مختصره الوجيز المحكم[1201]، وأنتم تعلمون أن المنطق في الفلسفة القديمة، هو قطبها الهادي وفلكها الدائرة حوله كواكبها»[1202].

وأظن أن البسيلي، على ما تشهد له ترجمته به من إخلاص للنهج العلمي لشيخه ابن عرفة، وعكوفه على كتبه بالتلخيص والشرح والتقييد، لم يخرم هذه القاعدة إلا مرة واحدة، حين عنَّ له أن يشرح "جمل الخونجي" في المنطق، متجاهلا كتاب شيخه، فيؤلف كتابا مستقلا، لا يحاذي كتاب شيخه، ولا يشرحه، ولا يختصره، فكأنه استشعر في هذا الفن استقلاله العلمي التام، وسلم له ذلك طلبة العلم، فقصدوه لدراسته عليه.

ولئن كان لي رأي في إدارة مصطلحات المنطق وفروضاته في تفسير كتاب الله جل وعز، يجعلني أذهب مذهب من يرى أن نحو العرب منطق كاف يغني عن التلمظ

(1199) «نكت وتنبيهات» (ق) : 154 ظ.

(1200) ص: 108.

(1201) ن مطلب مؤلفات ابن عرفة، عند مبحث شيوخ البسيلي.

(1202) «الإمام ابن عرفة في مجلس درسه» للشيخ محمد صادق بسيس، ضمن «ملتقى الإمام ابن عرفة» (417).

بعبارات تحصيل حاصلها يقع لذوي الأفهام السليمة والأذواق النقية والشفوف الروحاني الإيماني، من دون كد في طلب مفاهيم أكثرها يمجه الطبع، ويوقر به السمع. مع ذلك فإني أرى أن البسيلي كان جريئا في عرض المقولات المنطقية على آي الكتاب، وما ساقه منها أشبه بتطبيقات عملية لا يقدم عليها إلا من أوتي بسطة في هذا العلم. وهذه أمثلة لتطبيقاته المنطقية :

– المثال الأول : عند قوله تعالى : ﴿وَإِن تُومِنُواْ وَتَتَّقُوا يُوتِكُم أجُورَكُمْ وَلاَ يَسْأَلْكُمُ أَمْوَالَكُمُ﴾[1203]؛ حيث استعرض ما في الآية على اصطلاح المناطقة، فقال : «هنا شرطيتان[1204] لما تتقرر في علم المنطق، من أنَّ الشرطيةَ تتعدد بتعدد أجزاء تاليها، ومفهوم الأولى من الشرطيتين معمل؛ لأنهم إذا لم يومنوا ويتقوا لا أجر لهم؛ والثانية لا مفهوم لها، لأنهم إذا لم يومنوا لا يسألون أموالهم»[1205].

– المثال الثاني : قوله عند قوله جل وعز : ﴿وَمَنْ يَّتَوَلَّ اَللهُ﴾[1206] : «هو قياس شرطي اقتراني، إحدى مقدماته مضمرة؛ التقدير : ومن يتول الله ورسوله فهو من حزب الله، وكل من هو من حزب الله غالب، فمن يتول الله ورسوله غالب، وعلى هذا التقدير لا إشكال، فإن المرتب على هذا الشرط ثابت في نفس الأمر»[1207].

–المثال الثالث : ما قرره على قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ﴾[1208]؛ حيث قال : «هذا من قياس الضمير، وهو مركب من مقدمتين : إحداهما مذكورة، والأخرى مضمرة. التقدير : القرآن ليس من عند غير الله، وكل ما ليس من عند غير الله، هو من عند الله. بيان الصغرى بما ذكر في الآية، وبيان الكبرى بأنه لا ثالث»[1209].

– المثال الرابع : وقع له عند قوله تعالى : ﴿قل لوْ كَنتُمْ في بُيُوتِكُمْ﴾[1210]؛ وذلك قوله : «الآيةُ إمَّا تكذيبٌ للقضية المتقدمة، بِصِدْقِ نقيضِها، وإمّا إبطالٌ لإحدى مقدِّمَتَيِ

(1203) سورة محمد ﷺ : 36.
(1204) الأولى : «وإن تومنوا وتتقوا يوتكم أجوركم».
الثانيـة : «وإن تومنوا وتتقوا لا يسألكم أموالكم».
(1205) «نكت وتنبيهات» (ق) : 140 ظ.
(1206) المائدة: 56.
(1207) «نكت وتنبيهات» (ق) :47 و.
(1208) النساء: 82.
(1209) «نكت وتنبيهات» (ق) : 43 و.
(1210) آل عمران: 154.

القياس، وهي الكبرى. فالمعنى على الأول أنهم قالوا : لوْ كان لنا من الأمر شيءٌ لَمَا خرجْنا، ولو لم نخرجْ ما قُتِلْنا. فأُبْطِل ذلك كلُّه بأَنْ قيل لهم : بل لو كان لكم من الأمر شيء لخرجتم. والمعنى على الثاني - وهو منعُ الكبرى وإبطالُها - وهي : «كلَّما لم نخرُجْ لم نُقتَلْ»، فصدق الأخص من نقيضها؛ لأن كونَهم في بيوتهم، أخصُّ مِن قولهم ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[1211]، فإذا رُتِّبَ الموتُ على كونهم في بيوتهم، فأحْرَى أن يترتَّبَ على عدمِ خروجهم»[1212].

وقد يستطرد عند التفسير إلى عرض مبادئ علم المنطق، كما وقع له في مواضع متعددة؛ منها عند قوله تعالى : ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ﴾[1213]، حيث استفاد من الآية فائدة أصلية، وهي إفادة التعريف بالخاصة، ثم قال: «وهو الصحيحُ في علم المنطق عندهم - خلافاً لنصير الدين السمرقندي - فإنّه مَنَع التعريفَ بالمفردِ الجنس وحدَه أو الخاصَّةِ وحدها، قائلا : «لم يُعرِّف المتقدمون بذلك، بل من المركَّب من الجنس والخاصة»، واختاره الشيرازي في شرحِه "أصْلِيَّ ابنِ الحاجب". وجميعُ المناطقة على خلافه، لذِكْرِهم في المعرفات : الرّسم الناقصُ ما كان بالخاصَّة فقط، أو بها وبالجنس»[1214].

والبسيلي عند عرضه معنى الآي على مقتضى قواعد المنطق، يصادف إشكالات لم يُخْل كتابه من ذكرها، فمنها عند تنكيته على قوله تعالى : ﴿إِنْ يُّعْفَ عَن طَآئِفَة﴾[1215]؛ حيث قال : «في فهمِها على قاعدةِ المنطق إشْكالٌ، وهو أن القضيةَ الشرطيةَ المتصلةَ يلزمُهَا منفصلةٌ مانعةُ الجمع، مِنْ عينِ مُقَدَّمِها ونقيضِ تالِيهَا، ومنفصلةٌ مانعةُ الخلُوِّ من نقيض مقدَّمِها وعينِ تاليها متعاكستينِ عليها، وتقريرُ ذلك هنا أن اللازم : «إما أن يُعْفى عن طائفةٍ منكم، وإمّا ألا تعذبَ طائفةٌ»، ولا عِنَادَ بين هذين، فليست مانعةَ جمع». ثم نقل عن ابن عرفة قوله : «وأجابني الآبلي وبعض طلبته، بأن ذلك إنما يلزم في القضايا العقلية، وأما الشرعية الجُعْلية فلا. ويكون اللزومُ هنا اتفاقياً، مثل : «كلما كان الإنسان ناطقا كان الحمار ناهقا»»[1216].

(1211) آل عمران : 154.

(1212) «نكت وتنبيهات» (ق) :29 و–30 ظ.

(1213) الرحمن: 41.

(1214) «نكت وتنبيهات» (ق) : 152 ظ.

(1215) التوبة: 66.

(1216) «نكت وتنبيهات» (ق): 51 و.

ويحتاج البسيلي في تقريره للتطبيقات المنطقية، إلى تذكير القارئ بين الفينة والأخرى بمقولات هذا العلم، وما قرره أهله، فتتناثر طي كتابه مصطلحات المنطق وقواعده، من دون أن تخطئها العين، لكثرتها ووضوحها؛ فمن ذلك، قوله في مواضع مختلفة :

- «تقرر في علم المنطق في العكوسات أن هذا من باب استلزام الأعم أمرا لا من باب نفي الأعم، فهو نفي لاستلزام الأعم أمرا، ولا يلزم من عدم استلزامه إياه عدم استلزامه الأخص»[1217].

- «... يرد بأن المنطقيين ذكروا الفرق بين الحكم على الموضوع من حيث ذاته، والحكم عليه من حيث صفته»[1218].

- «وأَوْرَدَ على ذلك قولَ المنطقيين أن السالبة الدائمة تنعكس كنفسها»[1219].

- «كقول المنطقيين في الضرورة إنها تشمل الأزلية والزمانية»[1220].

- «خلاف قول المنطقيين أن التعجب لازم للإنسان بغير وسط، فلا يقال : تعجب لأجل كذا»[1221].

- «يؤخذُ من الآية أيضاً إفادةُ الرسمِ التعريفَ - كما يقولُه المناطقة - »[1222].

- «في جملةِ أَحكامِ القَضاياَ عندَ المنَاطقَةِ، مِنْ ضرورةٍ وإِمكانٍ وإِطْلاقٍ ودوامٍ وغيرِهَا»[1223].

وقد صرح المؤلف بمصادره من كتب المنطق، ونقل عنها، وهي مصادر أصيلة طائرة الصيت عند أهل الفن؛ فمنها :

(1217) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 155 و.
(1218) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 127 و.
(1219) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 100 ظ.
(1220) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 143 و.
(1221) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 147 و.
(1222) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 18ظ.
(1223) ن «نكت وتنبيهات» (ق): 81 و.

- «الجمل في المنطق» لأفضل الدين أبي عبد الله محمد الخونجي (ت 646هـ)؛ قال فيه ابن خلدون : «على كتبه معتمد المشارقة لهذا العهد، وله في هذه الصناعة... مختصر "الجمل"، في قدر أربعة أوراق، أخذ بمجامع الفن وأصوله، فتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به، وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كأن لم تكن»[1224]؛ وقد نقل البسيلي عنه في مواضع[1225].

- «شرح جمل الخونجي» لابن واصل : والمقصود محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم، ابن واصل الحموي، جمال الدين (ت 697هـ)، واسم شرحه «شرح ما استغلق من ألفاظ كتاب الجمل في المنطق»[1226]. نقل عنه المؤلف في «التقييد الكبير»[1227]، والكتاب مخطوط، منه نسخة مبتورة الأخير، بخط مغربي، في دار الكتب الناصرية، رقم 1570 أول مجموع[1228].

- «المختصر المنطقي» لابن عرفة؛ تقدم التعريف به. نقل البسيلي عنه مرات[1229].

و ـ توظيفه لمعطيات العلوم الطبيعية :

قديما استشعر الفخر الرازي أن استغراقه في الاهتمام بالآيات الكونية وذكْرِ نُبَذٍ من علم الهيئة والحساب والفلك وغيرها، قد يدفع نقّاده إلى وصفه بالتزيد والإكثار من ذلك؛ فاعتذر في تفسيره بقوله : «وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين : إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته، وتقريره من وجوه :

- الأول : أن الله تعالى ملأ من كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار... وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها.

(1224) «المقدمة» (189/2).

(1225) ن «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 605؛ 648؛ 722.

(1226) «الأعلام» (133/6).

(1227) ن خ ع ق 611 : 649.

(1228) «دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية» (91).

(1229) ن «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 576.

– الثاني : أنه تعالى قال : ﴿أو لم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾[1230]، فهو حث على التأمل في أنه كيف بناها، ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها.

– الثالث : أنه تعالى قال : ﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[1231] فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطرة في أجرام السماوات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس، ثم إنه تعالى رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[1232]، فما كان أعلى شأنا منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها.

– الرابع : أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السماوات والأرض... ولو كان ذلك ممنوعا لما فعل.

– الخامس : ... أن كل من كان وقوفه على دقائق كتابٍ ولطائفه أكثر، كان اعتقاده في عظمة ذلك المصنف وجلالته أكمل»[1233].

وإذا علمنا أن تفسير الرازي كان من مآخذ البسيلي الأولى، فهمنا أنه يشاطر الفخر أن إيراد الفوائد العلمية واللطائف الحكمية، ليس على سبيل التكثر، وإنما هي ضرورة دعته إليها طبيعة تفسير كتاب الله. وقد أورد في تفسيره جملا من مبادئ العلوم الكونية، استعان بها على إصابة المعنى المراد، فاستفاد من الهندسة والرياضيات وعلم الفلك والتوقيت.

فمن استغلاله لمبادئ علم الهندسة، استدلاله عند قوله الله تعالى : ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ﴾[1234]، على أن ما حل بهم من العذاب لا ينتهي؛ لأنه عبر بالدائرة، وهي كما تقرر في الهندسة لا طرف لها ولا آخر[1235].

(1230) ق: 6.

(1231) غافر: 57.

(1232) الذاريات: 21.

(1233) «التفسير الكبير» (14/99). بتصرف.

(1234) الفتح: 6.

(1235) «نكت وتنبيهات» (ق) : 141 و.

وقد يفزع للاستدلال على معنى من المعاني بمقولات رياضية، مثلما فعل عند قوله تعالى : ﴿وَيَا قوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِىَ أَنْ يُّصِيبَكُم مِثْل مَا أَصَاب قَوْم نُوح أوْ قَوْم هُود أوْ قَوْم صَالِح﴾[1236]؛ حيث قرر أن الذي أَصَاب قومَ نوحٍ الغَرَقُ، والذِي أَصَابَ قَوْمَ هودٍ الصَّيْحَةُ، والذي أَصابَ قومَ صالحٍ الهلاَكُ. ثم ساق قول أقليدس : «الأشياءُ المساويةُ لشيءٍ واحدٍ مُتساوية»، واستشكل ذلك بأن هذه متبَاينةٌ، فكيْفَ يُصيبُهم مثْلُها ؟. ثم أجاب أَنَّ المُماثَلَةَ في القدْرِ المشترَكِ بيْنهما، وهو مُطْلَقُ الإهلاكِ[1237].

ومما يدل على إلمامه بالرياضيات، إحالته على كتاب في الفن شهير، وهو "رفع الحجاب عن أعمال الحساب" لأبي العباس ابن البناء العددي المراكشي[1238]؛ والذي وصفه ابن خلدون بأنه مستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المباني، وهوكتاب جليل[1239]؛ فقد قال البسيلي عند قوله جل وعز : ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة﴾[1240] : «وفرق ابن البناء في "رفع الحجاب" بين العدد والعدة بأوجه؛ فانظره»[1241].

وهو يستفيد من علم الفلك أيضا، مثاله قوله بمناسبة تفسير قوله تعالى : ﴿تُولِجُ الْيْلَ فِي اِلنَّهارِ﴾[1242] : «إن قلت : في الآية رد على قول من قال إن وسط الأرض يستوي ليله ونهاره دائما، وأن بعض المواضع يدوم نهاره، وبعضها يدوم ليلها؛ فالجواب من وجهين :

– الأول : أن الآية مطلقة لا عامة. ويرد عليه أن الإطلاق في الإيلاج لا في لفظ الليل والنهار لتعريفهما بـ«ـأل» فيعم.

– الثاني : أن المقصود من الآية ذكر حال المعمور من الأرض دون غيره، ويرد عليه أن وسط الأرض وهو موضع خط الاستواء معمور أيضا، وأما ما بعده من جهة الجنوب، فقال بطليموس : «المعمور منه قدر ست عشرة درجة من الفلك»[1243].

(1236) هود : 89.

(1237) «نكت وتنبيهات» (ق) : 59 و.

(1238) ن «نشاط الدراسات الرياضية في مغرب العصر الوسيط» للمنوني، ضمن مجلة المناهل المغربية، ع 33، س 21، دجنبر 1985، صص : 82–86.

(1239) «المقدمة» (180/2).

(1240) المدثر: 31.

(1241) «التقييد الكبير» (ن خ ع ك 2038) : مج 2 : ورقة 204.

(1242) آل عمران:27.

(1243) «نكت وتنبيهات» (ق) : 26 ظ–27 و.

وهو موفق في استثماره لهذا العلم، في حل المشكلات الفقهية، ومحاذاة تفسير كلام الله، فعند قوله تعالى : ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾[1244]، يورد ما يلي : «سئل الفقيه المفتي أبو عبد الله محمد السكوني : كيف يتقرر الصيام بالنسبة إلى أهل الجزر الخالدات، الذين ليلهم ستة أشهر، ونهارهم ستة أشهر، فقال : لعلهم لم تبلغهم الدعوة!. قال بعضهم : بل الصواب أن يقال : إن الشمس إذا لاقت جزءا من الفلك الذي هو ثلاثمائة وستون درجة، فإذا عادت إلى محاذاة ذلك الجزء، فهي الدورة، وبها يحسبون الليل والنهار، وكذا إذا كان زمنهم كله ليلا أو كله نهارا»[1245].

والجدير بالذكر أن البسيلي لا يتابع فيما ترى الفخر أو غيره، بل يعتمد مصادره الخاصة، والتي يعرب عنها أحيانا، فقد ذكر من مآخذه النادرة : «رصد الشيخ عبد الخالق[1246]»[1247]، و«رمح» الرقام[1248].

وحاصله أنه يستفيد من العلوم الكونية في توجيه معاني الآيات، ولكنه لا يُطغي هذا الجانب إلى حد يخرجه عن التفسير كما لوحظ عند الفخر، بل يطرز به كتابه، ويدلل به على مدى الانفتاح العلمي الذي بلغه علماء إفريقية في القرن الثامن والتاسع.

12 ـ عناية البسيلي بالنقل عن المفسرين ونقد التفاسير :

لقد غلب على تفسير البسيلي التوسع في اللغة ومباحثها، ونقد المفسرين المشهورين بالاتجاه اللغوي والبياني، كلما عثر لهم على خطأ في الفهم والتأويل، وخاصة الزمخشري وابن عطية وأبا حيان الأندلسي[1249].

وقد زخر الكتاب بنقول وافرة عن ابن عطية والفخر والزمخشري وأبي حيان وابن العربي، وهي تاتي مرة لتكون من مادة التفسير العاضد لرأي المؤلف، فتكون نقولا صرفة، وأحيانا يوردها البسيلي للانتقاد؛ وقد استقريت نقوله عن المفسرين المذكورين ومواطن تعقبه لهم، فجاءت على النحو التالي :

(1244) يس: 38.

(1245) «التقييد الكبير» (ق) : 640.

(1256) أغلب الظن أنه تقويم وضعه المذكور.

(1247) «التقييد الكبير» (ق) : 640–641.

(1248) «التقييد الكبير» (ق) :641. وانظر هل يكون المقصود القاسم بن سعد العذري المعروف بالرقام (بعد 507هـ)، لكن هذا صوفي لا ذكر لاشتغاله بالتوقيت، فليحرر. ن «كتاب العمر» (2/497).

(1249) «التفسير واتجاهاته بإفريقية من النشأة إلى القرن الثامن» (387).

1- ابن عطيــــة :

النقول عن ابن عطية	عددها	الانتقادات	عددها
7 و	1	7 و	1
9 و	1	17 و	1
17 و	1	18 ظ	1
18 ظ	1	19 و	1
19 و	2	20 ظ	1
20 ظ	1	21 و	1
21 و	1	22 ظ	3
22 ظ	2	23 و	2
26 ظ	1	25 و	1
28 ظ	1	27 و	4
31 و	1	28 ظ	1
33 ظ	1	29 و	1
34 و	1	30 ظ	1
36 ظ	1	31 و	2
38 ظ	1	36 ظ	1
46 ظ	3	37 و	1
50 ظ	1	38 ظ	2
52 ظ	1	39 و	1
55 و	1	40 ظ	1
53 ظ	1	43 و	1
60 ظ	1	52 ظ	1
65 و	2	57 و	1
67 و	2	63 و	1
68 و	1	80 ظ	1
71 و	1	81 و	1
79 و	4	83 و	2

النقول عن ابن عطية	عددها	الانتقادات	عددها
80 ظ	1	84 ظ	1
81 و	1	87 و	1
84 ظ	1	89 و	1
92 ظ	1	92 ظ	1
93 و	1	96 ظ	1
97 و	1	104 ظ	1
101 و	1	105 و	1
108 ظ	1	109 و	1
114 ظ	1	113 و	2
115 و	1	128 ظ	1
131 و	1	130 ظ	1
136 ظ	1	131 و	1
137 و	1	133 و	1
140 ظ	1	134 ظ	1
141 و	2	136 ظ	2
142 ظ	1	138 ظ	1
143 و	1	145 و	1
145 و	2	146 ظ	2
146 ظ	1	149 و	1
148 ظ	2	التكملة	
155 و	1	2 و	1
التكملة		7 و	1
2 و	2	8 ظ	1
10 ظ	1	11 و	1
11 و	1	13 و	2
14 ظ	2	14 ظ	1
		19 و	1
		22 ظ	1

2- الزمخشري :

النقول عن الزمخشري	عددها	الانتقادات	عددها
12 ظ	1	12 ظ	1
18 ظ	2	12 ظ	1
22 ظ	1	22 ظ	1
25 و	1	23 و	2
27 و	1	26 ظ	3
29 و	1	27 و	1
30 ظ	1	31 و	1
37 و	1	34 ظ	1
41 و	2	44 ظ	1
45 و	1	47 و	1
47 و	1	52 ظ	1
50 ظ	2	58 ظ	3
51 و	2	64 ظ	1
57 و	1	79 و	1
63 و	1	81 و	1
65 و	1	84 ظ	1
68 و	1	89 و	1
73 و	2	97 و	1
75 و	1	100 ظ	1
79 و	2	108 ظ	1
81 و	1	110 ظ	1
84 ظ	1	127 و	1
85 و	1	133 و	1
86 ظ	1	143 و	1
87 و	1	146 ظ	1
91 و	2	147 و	2

النقول عن الزمخشري	عددها	الانتقادات	عددها
92 ظ	2	154 ظ	2
93 و	1	155 و	1
94 ظ	1	التكملة	
95 و	1	13 و	1
97 و	1	16 ظ	1
99 و	2	17 و	1
101 و	1	21 و	1
103 و	1		
104 ظ	1		
105 و	1		
109 و	1		
113 و	1		
114 ظ	1		
115 و	3		
116 ظ	1		
118 ظ	1		
125 و	1		
127 و	1		
128 ظ	1		
132 ظ	1		
134 ظ	1		
135 و	1		
137 و	2		
138 ظ	1		
141 و	1		
146 ظ	1		
149 و	1		

النقول عن الزمخشري	عددها	الانتقادات	عددها
153 و	1		
التكملة			
8 ظ	1		
13 و	1		
18 ظ	1		
20 ظ	1		

3 ـ أبـو حـيـــان :

النقول عن أبي حيان	عددها	الانتقادات	عددها
2 ظ	2	20 ظ	1
3 و	2	23 و	1
4 ظ	1	29 و	2
14 ظ	1	34 ظ	1
19 و	1	39 و	1
41 و	1	44 ظ	1
42 ظ	1	47 و	2
44 ظ	1	52 ظ	1
58 ظ	1	53 و	1
69 و	1	54 ظ	1
70 ظ	1	68 و	2
71 و	1	70 ظ	1
75 و	2	71 و	1
76 ظ	1	72 ظ	2
77 و	1	76 ظ	1
78 ظ	2	80 ظ	1
132 ظ	1	132 ظ	1
134 ظ	1	143 و	1
144 ظ	1	التكملة	
149 و	1	15 و	1

4ـ الفخر الرازي :

النقول عن الرازي	عددها	الانتقادات	عددها
12 ظ	2	13 و	1
21 و	1	18 ظ	1
27 و	1	25 و	2
30 ظ	1	26 ظ	1
39 و	1	30 ظ	2
43 و	1	35 ظ	1
48 ظ	1	46 ظ	1
49 و	1	98 ظ	1
63 و	1	100 ظ	1
65 و	1	104 ظ	1
70 ظ	1	105 و	1
76 ظ	1	111 و	1
77 و	1	126 ظ	1
79 و	1	138 ظ	1
106 ظ	2	149 و	1
109 ظ	3		
111 و	2		
112 ظ	1		
114 ظ	1		
115 و	1		
116 ظ	1		
117 و	1		
118 ظ	4		
119 و	2		
120 ظ	2		
121 و	2		

النقول عن الرازي	عددها	الانتقادات	عددها
123 ظ	1		
124 ظ	1		
125 و	1		
126 ظ	1		
128 ظ	1		
131 و	1		
132 ظ	1		
135 و	1		
153 و	1		

5- ابن العربي :

النقول عن ابن العربي	عددها	الانتقادات	عددها
22 ظ	3	23 و	1
26 ظ	1	47 و	1
38 ظ	1	104 ظ	1
39 و	1	التكملة	
42 ظ	1	7 و	1
43 و	2		
66 ظ	1		
78 ظ	1		
108 ظ	1		
135 و	2		
145 و	1		
147 و	1		
150 ظ	1		
154 ظ	1		
التكملة			
12 ظ	1		
13 و	1		

المبحث الخامس :
مصادر البسيلي في ((نكت وتنبيهات))

إن المتصفح لنكت البسيلي، يستوقفه لاريب هذا الزخم المتنوعِ من المصادر المشرقية والمغربية يكاتف فيها النحو التفسير، ويضَافُ فيها الحديثُ والفقهُ العلومَ الحِكَمِيةَ والفلسفية لتشكل برمتها كشكولا بديعَ النسق، متواشج العلائق، لا ينبو به الفكر، ولاتسمُجُ فيه العبارة، مع غلبة ظاهرة مبَّررة لكتب التفسير.

وسنسوق موارده موردا موردا، مصنفين الموارد إلى الفنون التالية :

أ ـ كتب التفسير وعلوم القرآن.

ب ـ كتب القراءات وتوجيهها.

ج ـ كتب الحديث، وفقهه.

د ـ كتب الفقه.

هـ ـ كتب أصول الفقه.

و ـ كتب الأدب واللغة والنحو والبلاغة.

ز ـ كتب أصول الدين والعقائد والرقائق وكتب الحكمة.

ح ـ كتب السيرة و التراجم.

ط ـ التقييدات الخطية والأسئلة، ومتفرقات.

أ ـ كتب التفسير وعلوم القرآن ومعانيه :

– البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ).

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت 542هـ).

– مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي (ت 606هـ).

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ).

– أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري المالكي (ت 543هـ).

– الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ).

– معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ).

– الكتب بفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للحسن بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطِّيبِي (ت 743هـ).

– المجيد في إعراب القرآن المجيد لبرهان الدين أبي إسحق إبراهيم السفاقسي (ت 742هـ).

– ملاك التأويل، القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، توجيه المتشابه من اللفظ من آي التنزيل، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت 708هـ).

– كتاب الفرائض وشرح آية الوصية، للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، السهيلي الخثعمي المالقي الحافظ (ت 581هـ).

– قانون التأويل لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي (ت 543هـ).

– الانتصاف، لأبي العباس أحمد بن محمد ناصر الدين بن المنير الجذامي الإسكندراني (ت 683هـ).

– التمييز لما دسه الزمخشري من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز، لأبي علي عمر بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن خليل السُّكُوني (ت717هـ).

ب ـ كتب القراءات وتوجيهها :

– شرح الهداية، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت نحو 440هـ).

– حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للإمام المقرئ القاسم بن فيرُّه الشاطبي (ت 590هـ).

– مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حموش القيسي الأندلسي (ت 437 هـ).

– التبيان لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت 616هـ).

ج ـ كتب الحديث وفقهه :

– صحيح الإمام البخاري.

– صحيح الإمام مسلم.

– سنن الترمذي.

– مسند الإمام أحمد.

– المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري الصقلي (ت 536هـ).

– شرح الجوزقي للمازري أيضا.

– إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت 544هـ).

– الأذكار، لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي (ت 676هـ).

– علوم الحديث لأبي عمرو عثمان ابن الصلاح الشهرزوري (ت 642هـ).

– المنتقى شرح موطأ مالك، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474هـ).

–المسالك في شرح الموطإ لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي (ت 543هـ).

– عارضة الأحوذي لابن العربي أيضا.

– الاستذكار الجامع لمذهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي النمري (ت 463هـ).

– التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر أيضا.

– الأحكام الوسطى لأبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي، ابن الخراط (ت 581هـ).

– بيان الوهم والإيهام لابن القطان، أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الحميري الكتامي الفاسي (ت 628هـ).

د ـ كتب الفقه :

– الأحكام لإسماعيل القاضي، أبي إسحق بن إسحق بن إسماعيل بن حماد الأزدي البصري المالكي (ت 282هـ).

– المدونة للكبرى للإمام أبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العُتَقي بالولاء (ت 191هـ).

– التبصرة، تعليق على المدونة، لأبي الحسن علي بن محمد الربعي، شهر اللخمي (ت 478هـ).

– الفروق في القواعد الفقهية للقرافي، المسمى بـ«أنوار البروق في أنواء الفروق»، لأبي العباس شهاب الدين القرافي (ت 684هـ).

– العتبيية لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي (ت 254 أو 255).

– البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، لأبي الوليد ابن رشد القرطبي (ت 520هـ)، وضمنه «المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعتبية» لمحمد العتبي القرطبي (ت 255هـ).

– مسائل أبي الوليد ابن رشد الجد(ت 520هـ).

– الرسالة للإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ).

– الجامع لمسائل المدونة وزياداتها ونظائرها وشرح ما أشكل منها، وتوجيهه والفرق بينه وبين ما شاكله، مجموع بالاختصار وإسقاط التكرار وإسناد الآثار من أمهات الدواوين للأئمة المالكيين؛ للشيخ الفقيه أبي بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي القيرواني، شهر الصقلي (ت 451هـ).

– النظائر لأبي عمران موسى بن عيسى الفاسي الغفجومي (ت 430هـ).

– تهذيب المدونة والمختلطة، لأبي سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي، ابن البراذعي (ت بعد 386هـ).

– المعونة على مذهب أهل المدينة، للقاضي عبد الوهاب البغدادي (ت 422هـ).

– التلقين في المذهب المالكي، للقاضي عبد الوهاب أيضا.

– جامع الأمهات، وهو المختصر الفقهي لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمرو بن أبي بكر، ابن الحاجب (ت 646هـ).

– شرح التلقين.

– شرح التهذيب للشرمساحي عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر المغربي الزواوي الإسكندري (ت 693 هـ).

– شرح التفريع لشرف الدين أبي محمد عبد الله بن يحيى بن علي الفهري، المشهور بابن التلمساني (ت 644هـ).

– المبسوط، وهو المختصر الفقهي للإمام أبي عبد الله محمد ابن عرفة الورغمي التونسي (ت 803هـ).

– المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، لابن رشد الجد (ت 520هـ).

– شرح الفرائض الحوفية، لأبي عبد الله محمد بن علي بن سليمان السّطّي (ت 749هـ).

– النهاية والتمام لأبي الحسن علي بن عبد الله الأنصاري المتّيطي (ت 570هـ).

– الجواهر الثمينة لأبي محمد عبد الله بن نجم بن شاس الجذامي السعدي (ت 610هـ).

– التنبيهات المستنبطة على كتب المدونة والمختلطة، وتقييد مهملاتها وشرح غريب كلامها وبيان اختلاف رواتها وإصلاح الغلط الواقع من بعض رواتها ... للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت 544هـ).

– الاستغناء في أدب القضاء والأحكام، لخلف بن مسلمة، يعرف بابن عبد الغفور الأقليشي (ت نحو 440هـ).

هـ ـ كتب أصول الفقه :

– شرح «الحاصل من المحصول لتاج الدين الأرموي» لابن سرور قاضي الأنكحة بتونس، المتوفى بها سنة 700هـ.

– المحصول في علم أصول الفقه، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت 606هـ).

– المعالم في علم أصول الفقه، للفخر أيضا.

– التحصيل للسراج الأرموي.

– شرح المعالم الفقهية لشرف الدين، أبي محمد عبد الله بن يحيى بن علي الفهري، المشهور بابن التلمساني (ت 644هـ).

– الحاصل لتاج الدين الأرموي.

– شرح المختصر الأصولي، المسمى بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، لمحمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر، العلامة شمس الدين أبو الثناء الأصبهاني الشافعي (ت 749هـ).

– منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، لجمال الدين أبي عمرو عثمان ابن عمرو بن أبي بكر، ابن الحاجب (ت 646هـ).

– المحصول في أصول الفقه لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي (ت 543هـ).

– قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لسلطان العلماء العز بن عبد السلام السلمي (ت 660هـ).

– مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول للشريف محمد بن أحمد التلمساني (ت 771هـ).

و ـ كتب الأدب واللغة والنحو والبلاغة[1250] :

– المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ).

– كتاب الجمل في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي (ت 340هـ).

– شرح جمل الزجاجي الكبير، لابن عصفور الإشبيلي (ت 669هـ).

– المقرب في النحو، لابن عصفور أيضا.

– شرح الإيضاح لابن عصفور.

– الدرة الألفية في النحو لابن معط، أبي الحسين زين الدين الزواوي المغربي (ت 628هـ).

– مغني اللبيب لابن هشام أبي محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ).

– نقد المقرب لعلي بن محمد الكتامي الإشبيلي، أبي الحسن المعروف بابن الضائع (ت 680هـ).

– شرح كتاب سيبويه لعلي بن محمد، نظام الدين أبي الحسن بن خروف الأندلسي النحوي (ت 606هـ).

– المقدمة النحوية لأبي الحسن طاهر بن أحمد ابن بابشاذ النحوي المصري (ت 469هـ).

(1250) انظر مقالنا «المصادر الأدبية والنحوية والبلاغية عند أبي العباس البسيلي» ضمن مجلة حوليات كلية اللغة العربية، بمراكش، عدد 14، 2000، صص : 189 ـ 202.

– شرح تسهيل ابن مالك لأثير الدين محمد بن يوسف، أبي حيان الغرناطي الجياني (ت 745هـ).

– تأليف للقرافي في إعراب «فضلا».

– محاجاة في مسائل نحوية لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ).

– شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري(ت478هـ).

– فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت 429هـ).

– كتاب الأمالي، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت 356هـ).

– الاقتضاب في شرح شرح أدب الكتاب، لأبي محمد عبد الله بن محمد ابن السِّيد البطليوسي (ت521هـ).

– تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، لابن مكي الصقلي (ت501هـ).

– المثل السائر لضياء الدين أبي الفتح، نصر الله ابن الأثير (ت 637هـ).

– مفتاح العلوم للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت 626هـ).

– البردة لمحمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله البوصيري الصنهاجي (ت 697هـ).

ز - كتب أصول الدين والعقائد والرقائق وكتب الحكمة :

– المتوسط في الاعتقاد لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي(ت 543هـ).

– سراج المريدين لابن العربي أيضا.

– الإرشاد لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت 478هـ).

– الشامل للجويني أيضا.

– التلخيص في أصول الدين للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474هـ).

– الاقتصاد لأبي حامد محمد بن محمد، زين الدين الطوسي الغزالي (ت 505هـ).

– التفرقة بين الإيمان والزندقة للغزالي أيضا.

– الحقائق للغزالي.

– إحياء علوم الدين للغزالي.

– نهاية الإقدام، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت 548هـ).

– الإشارات والتنبيهات لأبي علي الحسين بن عبد الله، ابن سينا (ت 428هـ).

– محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين للإمام فخر الدين الرازي (ت 606هـ).

– شرح الإرشاد في أصول الاعتقاد، لأبي الفتح تقي الدين مظفر بن عبد الله الشافعي، المعروف بالمقترح (ت 612هـ).

– عقيدة المقترح، المسماة بالأسرار العقلية في الكلمات النبوية.

– الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن حزم القرطبي (ت 456هـ).

– الهداية للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت 403هـ).

– لحن العامة والخاصة في المعتقدات لأبي علي عمر بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن خليل السَّكُوني (ت 717هـ).

– مختصر الإمام ابن عرفة في علم الكلام (الشامل).

– موازنة الأعمال لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي الظاهري (ت 488هـ).

– شرح المعالم الدينية لشرف الدين، أبي محمد عبد الله بن يحيى بن علي الفهري، المشهور بابن التلمساني (ت 644هـ).

- التذكرة في علم أصول الدين أبو علي الحسن بن علي المسيلي القاضي.

- جمل الخونجي في المنطق.

- قوت القلوب لأبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي الواعظ المذكر (ت 386هـ).

- العاقبة في ذكر الموت، لأبي محمد عبد الحق الإشبيلي (ت 581هـ).

- تلبيس إبليس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ).

ح- كتب السيرة والتراجم والفهارس :

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي النمري (ت 463هـ).

- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي (ت 581هـ).

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي الأندلسي (ت 544هـ).

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض أيضا.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت 430هـ).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (ت 681هـ).

- فهرست اللبلي، أحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري (ت 691هـ).

- المُشرق في ذكر علماء المغرب والمشرق لأبي العباس أحمد بن عبد الله القرشي الشريف الغرناطي (ت 692هـ).

ط ـ التقييدات الخطية والأسئلة، ومتفرقات :

- نتيجة النكتتين في بيان وحدة الليلتين، للإمام ابن عرفة (ت 803هـ).
- كتاب أقليدس في الرياضيات.
- كتاب بطليموس في الهيئة.
- أسئلة وردت على ابن عرفة.
- طرر للزبيدي على ابن عطية.
- الأسئلة لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري الصقلي (ت 536هـ).
- نقول وحكايات عن المعاصرين.
- سؤال وجه لأبي محمد عبد العزيز المهدوي (ت 623هـ).
- نقول خطية عن شيخيه ابن عرفة وأبي مهدي عيسى الغبريني.

المبحث السادس:

المقارنة بين تقييدين عن ابن عرفة:
تفسير البسيلي
وتفسير أبي القاسم الشريف السلاوي

(بين تقييدي البسيلي والسلاوي)[1251]

يظهر بالمقارنة البسيطة تهافت القول بأن واحدا من مقيدات البسيلي والأبي والسلاوي قد جمع تفسير ابن عرفة، دليله أنك تجد في بعضها ما لاتجده في الآخر، فعند قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾[1252]، نجد السلاوي يبحث في عدد السماوت، وهل تقوم الآية دليلا على المشهّر من أنها سبع، ثم يحكي عقيبه الخلاف، مستشهدا بقيل الفلاسفة وبطليموس، ثم يسوق الحكاية التالية: «ويحكى عن شيخ يقال له ابن عبد القادر، كان قرأ على الشيخ ابن الدراس[1253] الطبيب، أنه اجتمع مع الفقهاء عند السلطان المستنصر، فبحثوا ثم في التشاؤم بعدد السبع[1254]، وأنه مستقبح مرجوح، فبحث هو على أنه مستحسن، وألف فيه كتابا وقال في جملة احتجاجه أن السموات سبع»[1255]؛ ثم ينقل السلاوي عن ابن عرفة أنه أعدل الأقوال.

وقد أضرب البسيلي صفحا عن ذكر كل هذا، وأوجز ما أورد فيه عن ابن عرفة بقوله: «وفي كتب الهيئة في عدد الأفلاك خلاف»[1256]. ولعل هذا الاقتضاب مئنة فقه البسيلي

(1251) لم نتعرض للمقارنة بين تقييدي الأبي والبسيلي، لأن الدكتور المناعي كفانا مؤنة ذلك، مع اعتراضنا عليه في بعض النقط. انظر مقدمة تحقيقه لتفسير الأبي (1/32– 36).

(1252) المومنون: 17 .

(1253) الظاهر أن هذا تصحيف عن ابن أندارس الطبيب، راجع ترجمته في «تراجم المؤلفين التونسيين» (1/70– 71).

(1254) حرف العدد ونظائره الرديفة إلى «التسع»، وليس المقصود، فوجب التنبيه !.

(1255) «تفسير السلاوي» (المجلد 3؛ الورقة 1، وجه 1). وسيلحظ القارئ أننا اقتصرنا في إيراد الأمثلة على سورة المومنون، فما بعدها. وعذرنا في ذلك بين، وهو أنه أول الموجود من تفسير السلاوي.

(1256) «تقييد الكبير» (611ق) : 553. ولا وجود للنكتة في «النكت» الصغير.

وإدراكه أن الخوض في مثل ما ذكر، ليس من التفسير في شيء، ويعفيه من عدم ذكره أنه لم يلتزم بنقل كلام ابن عرفة برمته، ولا أخلى نفسه من عهدة التصرف فيه، والزيادة عليه.

وقد يدع البسيلي التنكيت على آية ما، فيما أن السلاوي يثبت ما لابن عرفة عليها من الكلام، مثاله ما أورده أبو القاسم على قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾[1257]: «قال [ابن عرفة]: فيه حجة للقول بأن المياه كلها من السماء، وقال الإمام فخر الدين: قال بعضهم: المراد السحاب، وسماه سماء لعلوه[1258]، والمعنى أن الله تعالى أصعد الأجزاء المائية[1259] من قعر الأرض [إلى البحار][1260]، ومن البحار إلى السماء، حتى صارت عذبة بسبب ذلك التصعيد، فائتلفت وتكاثفت، ثم أنزلها الله على قدر الحاجة إليها[1261]. قال الفخر ابن الخطيب: واعلم أن هذا إنما ينتحله[1262] من ينكر الفاعل المختار؛ قال ابن عرفة: يريد به الفلاسفة. قال: وهذا لايصح نسبته للفلاسفة، فإن القاضي أبا بكر بن العربي ذكر في تفسيره هذا القول بعينه؛ قال: إن جميع فضلات الأرض يخرج إلى البحر، وتجتمع فيه وتصعد بخارا... إلى آخره[1263]. وسكت عنه ولم يعزه للفلاسفة، وظاهره أنه عنده صواب، وهو من عادته التشنيع عليهم. وحكى ابن رشد في كتاب السواد والأنهار في سماع أشهب، في ذلك ثلاثة أقوال. وأما الأنهار التي في الجنة، فسيحان بالهند، وجيحان، ويقال: سيحون وجيحون، والدجلة والنيل والفرات، فسيحان بالهند، وجيحان ببلخ، والدجلة والفرات بالعراق، والنيل[1264] بمصر»[1265].

وما سقناه لا ذكر له عند البسيلي لا في «التقييد الكبير»[1266] ولا في اختصاره[1267].

(1257) المومنون: 18.

(1258) صحفت في «تفسير السلاوي» إلى «العلو»؛ والتصويب من «التفسير الكبير».

(1259) في «تفسير السلاوي»: «المادية»؛ والتصويب من الفخر.

(1260) ساقط من «تفسير السلاوي».

(1261) «التفسير الكبير» (78/23).

(1262) «التفسير الكبير»: «يتمحله»؛ ولكلا الروايتين وجه.

(1263) لم أجده بنصه عند ذكر القاضي لهذه الآية في «أحكامه» (1300/3– 1301)؛ فلعله ذكرها في تفسيره المخطوط.

(1264) نقله ابن العربي حديثا يرفعه ابن عباس. (أحكام القرآن: 1301/3).

(1265) «تفسير السلاوي»: مج 3 ورقة 1.

(1266) انظر «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611 : 553).

(1267) انظر «النكت والتنبيهات» (ن خ ع ق: 82ظ).

وقد يذكر البسيلي والسلاوي عند إيراد الآية مالا يذكره كل منهما منفردا، فيزيد أحدهما على الآخر بتفصيل أو زيادة.

فعند قوله تعالى : ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾[1268]، يرى البسيلي أن «الآية دالة على تعلق القدرة بالعدم الإضافي»[1269]؛ وهذ كل كلامه على الآية، فيما أن السلاوي يأتي بكلام أئمة التفسير على الآية ـ ابن العربي والزمخشري ـ، مطرزا له بانتقادات ابن عرفة، مردفا له بحكاية عن أحمد بن حنبل، لصيقة الدلالة بالآية.

وليس يغضي من قيمة تفسير البسيلي الإقرار بأن كلام الشريف أقوم بالمعنى وأوعى في النقل، وأخلص في التوجيه؛ وهذا سياق كلامهما عن قوله تعالى : ﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب﴾[1270]، ليتبدى لك ما أسلفته. قال البسيلي : «نسب الإنشاء إلى الماء، وإن شاركه التراب؛ لأن الماء هو الجزء المكمل»[1271]. ويورد الشريف عن ابن عرفة ما يشفي الغلة ويوضح المعنى فيقول : «فإن قلت : إن السبب في خروج النبات التراب والأرض والماء، فلم أسند إنشاءه في جميع آيات القرآن إلى الماء خاصة دون ما عداه ؟. فأجاب : بأنه إشارة إلى إبطال مذهب الطبائعية ومن تبِعهم، وتنبيه على أن جميع الكائنات إنما هي بقدرة الله تعالى؛ لأنه لو أسند ظهور النباتات إلى التراب والأرض، لكان فيه إبهاما ودليلا للطبائعية، لأن الأراضي مختلفة بالجودة والرداءة[1272] والتوسط، والنبات مختلف الطعم والروائح والألوان، فكأن يقول الطبائعي: هذا الاختلاف في النبات لاختلاف الأراضي، فأسند ظهور النبات إلى المطر المنزل من السماء، وهو متحد في اللون والطعم والريح، فدل أن ذلك الاختلاف في النبات لا لسبب ولا لطبع ولا طبيعة، بل بقدرة الله تعالى وإرادته، ولو يشاء أن ينبت تلك الأشياء بغير مطر لأنبتها، ولو شاء أن ينبتها في غير تراب لأنبتها ولكنه أجراها على الأمور العادية المألوفة، وهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال : وهذا ذكره الناس في كتبهم؛ قال الضرير في أرجوزته :

وَرُدَّ قولُ الطَّبَعِيِّ الجاحدِ   بقوله تُسْقى بماء واحد[1273]

(1268) المومنون: 18.

(1269) «النكت والتنبيهات» (82ظ).

(1270) المومنون : 19.

(1271) «نكت وتنبيهات» (82ظ)؛ «التقييد الكبير» 553.

(1272) في الأصل : الرداء.

(1273) «تفسير أبي القاسم السلاوي» (مج 3 : 2ظ). و في الأصل : «ودرٌ قول الطبيعي»؛ وما أثبتناه أقوم بالمعنى وأحفظ للوزن.

وقد انفرد البسيلي في هذا الموضع ببيان أن الآية اشتملت على العلل الأربعة : المادية وهو الماء؛ والصورية، وهو اختلاف الأنواع؛ والغائية وهو الأكل؛ والفاعل وهو الله تعالى»[1274].

وسيظهر من خلال هذا الجدول الذي يبين الآيات التي تكلم عليها كل من المفسِّرين في سورة المومنون[1275]، أن ما يورده السلاوي على الآية أغزر مادة وأوفى نقلا :

الآيات المفسرة عند البسيلي	رقمها	موضعها	الآيات المفسرة عند السلاوي	رقمها	موضعها
الذين هم في صلاتهم خاشعون	2	552	أول السورة مبتور من التفسير		
حافظون	5	552	وأنزلنا من السماء ماء بقدر	18	مج 1/3
ثم إنكم بعد ذلك لميتون	15	552	فأنشأنا لكم به جنات من نخيل	19	مج 2/3
فوقكم	17	553	ومنها تاكلون	19	مج 2/3
سبع طرائق	17	553	وشجرة	20	مج 2/3
وإنا على ذهاب به لقادرون	18	553	من طور سيناء	20	مج 3/3
فأنشأنا لكم به	19	553	وإن لكم في الأنعام لعبرة	21	مج 3/3
تخرج من طُورِ سيناء	20	553	نسقيكم مما في بطونها	21	مج 3/3
وصبغ للآكلين	20	553	ولكم فيها منافع كثيرة	21	مج 3/3
مما في بطونها	21	553	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه	23	مج 3/3
ولو شاء الله لأنزل ملائكة	24	553	أن اعبدو الله	23	مج 3/3
ولا تخاطبني في الذين ظلموا	27	553	أفلا تتقون	23	مج 3/3
لما توعدون	36	553	فقال الملأ	24	مج 4/3
ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين	31	554	ما هذا إلا بشر مثلكم	24	مج 4/3
وما يستاخرون	43	554	إن هو إلا رجل به جنة	25	مج 4/3
ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون	45	554	حتى حين	25	مج 4/3
إلى ربوة	50	554	قال رب انصرني بما كذبون	26	مج 4/3
يا أيها الرسل	51	554	فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيينا ...	27	مج 4/3
من خشية ربهم مشفقون	57	554	وفار التنور	27	مج 4/3
ولا نكلف نفسا إلا وسعها	62	555	ولا تخاطبني في الذين ظلموا	27	مج 5/3
بل قلوبهم	63	555	الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين	28	مج 5/3
حتى إذا	64	555	وقال الملأ من قومه	33	مج 5/3
أفلم يدبروا القول	68	555	الذين كفروا	33	مج 6/3

(1274) «نكت وتنبيهات» (ق) : 82ظ.

(1275) وقع اختيارنا على هذه السورة، لأنها أول ما وجد من تفسير الشريف السلاوي؛ انظر م خ ع ك 2002. والإحالة على «التقييد الكبير»ن خ ع ق 611.

الآيات المفسرة عند البسيلي	رقمها	موضعها	الآيات المفسرة عند السلاوي	رقمها	موضعها
أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير	72	555	بلقاء الآخرة	33	مج 6/3
فما استكانوا لربهم وما يتضرعون	76	555	وأترفناهم في الحياة الدنيا	33	مج 6/3
حتى إذا فتحنا	77	555	ما هذا إلا بشر مثلكم	33	مج 6/3
وإليه تحشرون	79	556	ويشرب مما تشربون	33	مج 7/3
بل قالوا	81	556	إنكم إذا لخاسرون	34	مج 7/3
قل لمن الأرض	84	556	أيعدكم	35	مج 7/3
ملكوت	88	556	إنكم مخرجون	35	مج 7/3
وهو يجير	88	556	هيهات هيهات لما توعدون	36	مج 8/3
ما اتخذ	91	556	إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا	37	مج 8/3
فلا تجعلني في القوم الظالمين	94	557	افترى على الله كذبا	38	مج 9/3
وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون	95	557	ذات قرار	50	مج 9/3
ادفع بالتي هي أحسن السيئة	96	557	إني بما تعملون عليم	51	مج 9/3
من همزات	97	557	وأنا ربكم فاتقون	52	مج 9/3
وأعوذ بك رب أن يحضرون	98	557	فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا	53	مج 10/3
ومن ورائهم	100	557	كل حزب بما لديهم فرحون	53	مج 10/3
أخرجنا منها	107	557	فذرهم في غمرتهم	54	مج 10/3
ولا تكلمون	108	557	إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون	57	مج 10/3
ربنا آمنا	109	557	والذين هم بآيات ربهم يومنون	58	مج 11/3
فاغفر لنا	109	557	والذين يوتون ما آتوا	60	مج 11/3
خير الراحمين	109	557	أولئك يسارعون في الخيرات	61	مج 11/3
حتى أنسوكم ذكري	110	557	ولا نكلف نفسا إلا وسعها	62	مج 11/3
إنهم هم الفائزون	111	557	إلا وسعها	62	مج 12/3
قال كم لبثتم	112	557	ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا	62	مج 12/3
وانكم إلينا لا ترجعون	115	557	أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون	69	مج 12/3
انتهى			وأكثرهم للحق كارهون	70	مج 12/3
			انتهى		

نتائج :

نستخلص بادي الرأي من هذا الجرد، أن السلاوي أكثر استيفاء للكلام على الآية، إذ قد يطول ما يورده عنها، ففي حين أن نكت البسيلي على مجمل سورة المومنون في 5 صفحات كبيرة (552 - 557، بإدخال الغاية)، بلغت عند السلاوي 11 صفحة متوسطة بخط دقيق (مج 3 : 1 - 12)، وهي تستوعب ثلث السورة فقط؛ إذ أول السورة وآخرها

مبتور، والقطعة المتضمنة لتفسير السورة تبتدئ بقوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾[1276]، وتنتهي بقوله تعالى : ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾[1277].

ثم إن تفسير السلاوي، صورة خالصة عن مجلس ابن عرفة، ينقل فيها الشريف كلامه ومناقشات تلاميذه، فإن كان الكلام للشيخ سماه، أو رمز له بحرف العين، وإن كان النقل سؤالا من لدن حاضر، أورده على شاكلة «قيل لابن عرفة»، فإن أجاب أثبت الجواب على طريقة الفنقلة. وقد يعتور النكتة أسئلة شتى، فيثبتها على الولاء، دون أن يتدخل بالزيادة أو الحذف، مثاله عند قوله تعالى : ﴿وَنَجِّنِي وَمَن معي من المومنين﴾[1278] : «قال ابن ع : في هذا إشارة إلى ما ورد في الحديث في قوله ﷺ لمن قال له : «أنهلك وفينا الصالحون ؟. فقال : نعم؛ إذا كثر الخبث». فكأن نوحا عليه السلام استشعر هذا فاحترز منه بهذا الدعاء. قيل لابن ع : هلاّ قال : فنجني ومن اتبعني من المومنين ؟، فيكون مقابلا لما تقدم، فقال : أعرض عن مقالتهم، ولم يلتفت إليها بالكلية وهو الأنسب في العدو مع عدوه الذي لا يأبه به»[1279].

ولا حضور لذاتيته خلال التفسير، فهو لا يسمي نفسه حتى، ولا يذكر شيئا من أمور دراسته أو أسرته، ولا ذكر عنده لحكايات موضوعية إلا ما ذكره الشيخ؛ وقد يقتصر تدخله في النص على تعقيب بسيط لا تجده إلا لماما، فمن هذه المواضع النادرة التي تدخل فيها بالزيادة قوله عند قوله تعالى : ﴿قالوا أنومن لك واتبعك الأرذلون﴾، ـ على قول من قال إن المقصود الحاكة !ـ : «وحكى بعض الطلبة[1280] أنه رأى في تاريخ الأندلس أن القاضي ابن السليم، بلغه عن شاهد أنه حائك، فرد شهادته. قال ابن ع : ولا ينبغي هذا في زماننا، وهي عندنا الآن من أشرف الصنائع وأحسنها. **قلت** : وهذا نص على أن الحاكة هم الحريريون. قال الزمخشري : وقيل : الأرذلون غوغاء الناس. قال ابن ع : ولهذا قال بعضهم فيهم، هم الذين إذا اجتمعوا لم يمنعوا وإذا تفرقوا لم يعرفوا. **قلت** : ونقل عن القاضي ابن عبد السلام، أنه أرسل إليه الأمير عمرو في تقديم أمين على الحجامين، فقرأ الآية، وقال : قيل : هم الحاكة والحجامون»[1281]. وتعليقاته على عزتها

(1276) المومنون : 17.

(1277) المومنون : 70.

(1278) الشعراء : 118.

(1279) «تفسير السلاوي» (مج 3/14 ظ).

(1280) لاحظ دقته في تحديد كل تدخل في حلقة ابن عرفة.

(1281) «تفسير السلاوي» (مج 3/13و - 14ظ).

عند التصفح وجيزة لا تطغى على طبيعة النص التفسيري لابن عرفة، وهي مميزة غالبا بقوله «قلت»؛ مثال ذلك عند قوله تعالى : ﴿فذرهم في غمرتهم﴾[1282]، وإليك سوق الكلام برمته : «قال ابن عطية[1283] هذه موادعة منسوخة بآية السيف. قال ابن ع : انظر هذا فإن ابن عطية كثيرا ما يقوله وليس هو كذلك هنا، إذ لا يُحتاج إلى النسخ إلا عند الضرورة، ولنا أن نقول : معنى هذه الآية : «لا يهمك أمرهم». فيكون المراد بالترك، تركه التأسف عليهم والتحسر على كفرهم، لا أنه أمر بترك قتالهم. **قلت** : وعلى هذا يجيء من باب تعارض النسخ والتخصيص، فالتخصيص أولى»[1284].

ولم يقتصر الشريف السلاوي على نقل كلام ابن عرفة، بل إنه حكى سكوته أيضا، ولم أر أدق من هذا في نقل صورة مجالس الدرس، مثاله أنه قال : «قيل لابن ع : إن المعذبين في قبورهم أحياء. فسكت ولم يجب !»[1285]. وحين يناقش ابن عرفة طلبته على سبيل السجال، كان السلاوي يثبت ذلك أيضا؛ مثاله قوله : «قوله تعالى : ﴿كذبت عاد المرسلين﴾[1286]، وقال قبله : ﴿كذبت قوم نوح﴾[1287]؛ فأجيب بوجهين :

– الأول : قال ابن ع : عادتهم يجيبون بأن عادا صار علما على قومه بخلاف قوم نوح.

– الثاني : قال بعض أعرف الطلبة ـ طلبة ابن ع ـ : وذلك أن قوم نوح كانوا كثيرين متفرقين؛ لأنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض كافة، فلذلك قال قوم نوح، بخلاف غيره من الرسل. ولم يرضه ابن ع»[1288].

وحاصل الأمر أن السلاوي التزم بنقل صورة أمينة عن مجالس التفسير لدى الشيخ، ولو بقيت لنا مقدمة روايته، لربما كنا نجده أفصح عن هذا الأمر دون مواربة.

والبسيلي حين ينقل ابن عرفة لا يلتزم تسميته في كل حين، ولا التخليص في النقل عنه، فتراه يذكر قيله مرة يصدِّره بالنسبة (الإمام، ابن عرفة، شيخنا...)، وتراه أخرى

(1282) المومنون: 54.
(1283) «المحرر الوجيز» (368/10).
(1284) «تفسير السلاوي» (مج 10/3).
(1285) «تفسير السلاوي» (مج 1/3و).
(1286) الشعراء: 123.
(1287) الشعراء: 105.
(1288) «تفسير السلاوي» (مج 15/3و).

يذكر فحوى كلامه فحسب، كأن يقول: ورده ابن عرفة، أو تعقبه، وقد يسكت عن نسبة الكلام إليه، وتجده عند الأبي أو السلاوي معزوا إليه. أما السلاوي فلا يريم عن نهجه في الإتيان بكلام ابن عرفة بنصه عقيب الآية، ولا يتخلف عن هذا الصنيع إلا حين يورد أصل كلام مفسِّر سيتعقبه ابن عرفة، فيورده ثم يردفه بما قاله الشيخ في التنكيت عليه؛ فمما أخلص النقل فيه عن ابن عرفة، ما أورده عند قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾[1289] : «نقل ابن عرفة هنا كلام ابن العربي وقصة الشعراء مع عمر بن عبد العزيز، واستوفى جميع شعرهم، وما أجابهم به[1290]؛ ثم قال: الظاهر أن في الشعر قبيحا وحسنا. قال: واختلفوا فيمن قذف فيه أحدا، هل يُحد بذلك أم لا؛ بناء على أنه قال ما لايفعل أو لم يقل. قيل له: قد قال بعضهم: الدليل على ذمه مقدمتان ونتيجة؛ وهو أن الشاعر يقول ما لا يفعل عملا بهذه الآية؛ وكل من يقول ما لا يفعل ممقوت، عملا بقوله تعالى: ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون﴾[1291]، فالشاعر ممقوت. قال ابن عرفة: نمنع أن كل شاعر يقول ما لا يفعل؛ لأنهم نصوا على أن بعضهم لا يقول إلا ما يفعل. قال: وقال المبرد في أول "الكامل"، عن عمر رضي الله عنه أنه قال: تعلموا العوم، والرمي بالنبل، واحفظوا من الشعر ما يجمل، وخير خصال النساء المغزل. قال ابن ع: ولفظ الشعراء عندي عام لوجهين: الأول الألف واللام، والثاني الاستثناء منه، والعام إذا استثني منه كان ذلك دليلا على عمومه فيما بقي»[1292].

ومما قدم فيه السلاوي كلام المفسرين على كلام ابن عرفة، باعتبار هذا تحشية على ذاك ما أورده عند قوله تعالى: ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾[1293] : «قال ابن الخطيب (الرازي): إن قلت: إذا جوزوا الكذب على المنزِل، فكذلك يجوزوه على الكتاب الذي تكتبه الحفظة وهي الصحف. وأجاب بجواب حسن حاصله أن قال: يفعل الله ما يشاء على أنه لا يبعد أن يكون ذلك الكتاب مصلحة للمكلفين من الملائكة[1294]. قال ابن عرفة: وحاصله أن الشيخ عز الدين ذكر أن الأحكام قسمان: منها ما علمنا تعليله، ومنها ما لم ندرك ذلك منه، وهي التعبدية، وهذه

(1289) الشعراء: 224.

(1290) انظر تفصيل القصة في «أحكام القرآن» (3/1430 - 1433).

(1291) الصف: 3.

(1292) «تفسير السلاوي» (مج 3/21).

(1293) المومنون: 62.

(1294) «التفسير الكبير» (23/95).

التعبدية قال عز الدين : اختلفوا فيها فقيل : إنها لها تعاليل استأثر الله بعلمها لم ندركها نحن. وقيل : إنها لا تعليل لها، ولذلك كانت تعبدية، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال ابن عرفة : والصحيح عندي أن يقال في الجواب عن السؤال المذكور أن الصحف إذا ظهرت يوم القيامة، وخالفوا فيها، تقوم عليهم الشهادة على صحة مكتوبها وصدوره منهم؛ قال تعالى : ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾[1295]. قال : وقوله : ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾، هو عندي من مجاز الإسناد»[1296].

(1295) النور : 24.
(1296) «تفسير السلاوي» (مج 12/3).

المبحث السابع :
عناية العلماء بتفسير البسيلي والنقل عنه

أ ـ نموذج من عناية المغاربة به :

للمغاربة ولع بذخائر الكتب، يشهد لذلك ما يعج به بلدنا من خزائن عامة وخاصة، غير أن هذا الولع لم يقف عند حد الإقتناء والتملك، بل جاوزه إلى الاستفادة والتمثل؛ ينطلي هذا على تفسير البسيلي خصوصا والمقيدات عن ابن عرفة عموما. وقد سبقت الإشارة إلى شغف المنصور السعدي بتقييد البسيلي، حيث يذكر الفشتالي في "مناهل الصفا" «أن هذا السلطان كان له اعتناء بتفسيري الإمامين البسيلي والسلوي، ويحضرهما عند قراءة ورده من المصحف الكريم لمراجعة ما يستشكل. وقد ندب العلامة الجليل أبا عبد الله محمد بن أبي عبد الله الرجراجي إلى الجمع بين هذين التفسيرين، مع شرح ما لم يتكلم عليه المقيدان، ووفى هذا الشيخ بالشرط، وتخطى ذلك إلى الكلام مع ابن عرفة نفسه. وقد كان هذا التفسير الذي جمعه الرجراجي، من محتويات خزانة المنصور السعدي»[1297].

وفي فاس المنصور السعدي، كان لهذه التقييدات، حضور في مجالس الدرس، حيث يعتمدها العلماء في حصص التفسير، ومنهم أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الحميدي، الذي كان «في فصل الشتاء يقرأ التفسير على الكرسي الكائن عن يمين الخارج من الباب المقابلة لوجه الخارج بانحراف يسير لدرب ابن حيون، وبعد التفسير يقرأ رسالة ابن أبي زيد وحكم ابن عطاء الله، وكان يحضر مجلسه خواص الطلبة والفقهاء، يطرز تفسيره ـ رحمه الله ـ بنكث وغرائب مفيدة من أبحاث الإمام المحتسب أبي عبد الله ابن عرفة، وجدت مقيدة عنه، على اختلاف في مقيدها واختلاف في نسخها، وكانت أول مرة غريبة الوجود : الغالب في الظاهر أنها كانت بيده، ثم انتشرت بعد ذلك»[1298].

(1297) – «فصلة تصف الدراسة بالقرويين» : التعليق رقم 34. ون «نزهة الحادي» للإفراني (218)، مع مراجعة مطلب أوهام المترجمين.

(1298) «فصلة تصف الدراسة ...» : التعليق رقم 34.

ثم إن إكمال ابن غازي المكناسي للتقييد الصغير اعتمادا على الكبير، من أكبر ما يدل على قيمة الكتاب وتقدير المغاربة له.

ب ـ نماذج من النقول عنه :

1 ـ ما جاء في "فهرس الفهارس"[1299] للكتاني؛ عند الترجمة لابن تيمية : «ومن أشنع ما نقل عن ابن تيمية، قوله في حق شفاء القاضي عياض «غلا هذا المغيربي». وقد قال في ذلك شيخ الإسلام بإفريقية، الإمام أبو عبد الله بن عرفة التونسي :

شفاء عياض في كمال نبينا ... كواصف ضوء الشمس ناظر قربها
فلا غرو في تبليغه كنه وصفه ... وفي عجزه عن وصفه كنه شخصها
وإن شئت تشبيها[1300] بذكر أمارة ... بأصل ببرهان مبين لنقصها
وهذا بقول[1301] قيل عن زائغ غلا ... عياض فتبت ذاته عن محيصها

وقد نقل نفس الحكاية، شهاب الدين المقري التلمساني، في "أزهار الرياض"[1302].

2 ـ نقل محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ت 1376هـ) في "الفكر السامي" بدوره عن البسيلي؛ وذلك قوله : «قال عز الدين بن عبد السلام : السياسة الراجعة لأمور الناس والمصالح العامة من أفضل الأشياء، لأن فيها جلب مصالح ودرء مفاسد» اهـ، نقله البسيلي[1303] في تفسيره، لدى قوله تعالى : ﴿وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾؛ في سورة ص، الآية 35»[1304].

3 ـ أفاد منه الوزير السراج، في "الحلل السندسية في الأخبار التونسية"، إفادات موضوعية كثيرة، منها ما نقله حين ترجمته لابن عرفة : «وفي "تفسير البسيلي"[1305] في

(1299) المجلد 1 ،الصفحة 278.
(1300) في «أزهار الرياض» (10/5) :شبهه.
(1301) في المصدر السابق : لقول .
(1302) نفسه .
(1303) ورد في النسخة التي اعتمدتها : «المسيلي».
(1304) «الفكر السامي» (575/4).(طبعة دار الكتب العلمية 1995). ونسخة الحجوي من «التقييد الكبير»، آلت إلى الحزانة العامة بالرباط، حرف الحاء (حجوي)، تحت رقم 34.
(1305) في المطبوع : المسيلي .

سورة الأحزاب ما نصه : وتهذبت بين يديه طائفة من الأعيان، كأبي عبد الله الأبي والمشذالي والوانوغي وابن ناجي وغيرهم»[1306].

4 ـ نقل أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحطاب (ت 954هـ) عنه في "مواهب الجليل" في عدة مواطن؛ منها :

– «فائدة : قال البسيلي في "نكت التفسير" عن ابن عرفة، أن رجلا جاء إلى الأمير أبي الحسن بلؤلؤة صغيرة ذكر أنه أخرجها من الماء العذب، وشهد له بذلك شهود لا بأس بهم، انتهى»[1307].

– «... وقال البسيلي : كل ما صنعه هذا المؤذن حسن مأمور به، مرغب فيه، قديم من فعل الصالحين؛ كان عروة يقوم بالليل يصيح في الطرق يحض ويخوف ويتلوا ﴿أو أمن أهل القرى﴾ إلى ﴿يلعبون﴾»[1308].

– «قال البسيلي في "نكت التفسير" : قال شيخنا ـ يعني ابن عرفة ـ : كان شخص يقال له النحاس، له في امرأته طلقتان، فخالعها ثم ردها قبل زوج، بناء على أن الخلع فسخ، ففرق بينهما ولم يحد للشبهة؛ اهـ»[1309].

5 ـ استفاد منه جان فونتان، عند ترجمته لابن عرفة[1310].

6 ـ نقل عنه التنبكتي في "نيل الابتهاج" في غير موضع؛ منها : (297؛ 466؛ 469؛ 432؛ 635؛ 268؛ 107؛ 115؛ 252. وفي "كفاية المحتاج" : (286/1)؛ (72/2)...

7 ـ أفاد منه ابن غازي وصنع له تكملة بالاعتماد على الكبير.

(1306) «الحلل» (ق 1/3 : 585).
(1307) «مواهب الجليل» (130/1).
(1308) «مواهب الجليل» (68/2).
(1309) «مواهب الجليل» (19/4).
(1310) «فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية» (78).

المبحث الثامن :
مآخذ على المؤلف

منها :

أ- مواطن نقل فيها بالحرف ولم يعين مظنة النقل، ولم يعزها إلى أحد، فأوهمت أنها للمؤلف:

1- الموطن الأول، عند كلامه على الاستعاذة؛ وذلك قوله :

«واختلف في الجن والشياطين على القول بوجودهما؛ وهو مذهب أهل الحق. قيل هما نوع واحد، والشياطين متمردة الجن. ثم قال المتكلمون إنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل. وزعمت الفلاسفة أنها لا متحيزة ولا قائمة بمتحيز، وأكثرهم على أنها مخالفة بالنوع لأرواح البشر، ومنهم من يقول: الأرواح البشرية إذا فارقت أبدانها كانت شديدة الانجذاب إلى ما يشاكلها إن خيرة فخيرة، وإن شرية فشرية، وتعينها على الخير أو الشر، متعلقة بها ضربا من التعلق، وهي الشياطين.

وأوائل الفلاسفة والمعتزلة أنكروا الشياطين قائلين: إن كانت بلطافة الهواء لم تقو على شيء من الأفعال وأفسد تركيبها أدنى سبب، وإن كثفت لزم رؤيتها. والجواب: عدم لزوم الرؤية ما لم يخلقها الله سبحانه»[1311].

والنص المذكور نقل عن "المختصر الكلامي" لابن عرفة. انظره في ن خ ع ك 1 : 91-و.

2- الموطن الثاني عند حديثه عن البسملة :

«ثمَّ اختَلفُوا في الْمَجَازِ المرادِ بِهَا، فقال الشَّيْخُ أَبُو الحسَنِ الأَشْعَرِيُّ : «المرادُ بِهَا إرادةُ الإِحسَانِ»، وقال القَاضِي أَبُو بكْرِ البَاقِلاَّني : «المرادُ بها نفْسُ الإِحْسَان»، فهيَ صِفَةُ فِعْلٍ، وعَلَى الأَوَّلِ صفةُ ذَاتٍ؛ وفي القرآن مواضِعُ يتَعَيّنُ فيها مَذْهَبُ الشَّيْخِ، ومواضعُ يتَعَيَّنُ فيهَا مذْهَبُ القَاضِي، ومواضعُ تحتَمِلُ المذْهبَيْن :

(1311) «نكت وتنبيهات» (ق) :11و– 12 ظ.

– فالأَوَّلُ : كقولِه تعَالى : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رحمَةً وعِلْماً﴾، فهذا ظاهِرٌ في الإرادَةِ؛ لأنَّ الوُسْعَ عبارةٌ عنْ عُمُومِ التَّعلُّق، ويدُلُّ على ذلك أيضاً اقترانُها بالعِلْمِ، وأَنَّ وُسْعَ الرحمةِ كوُسْعِ العِلم. وهذا ظاهِرٌ في الإِرَادةِ.

– وأمَّا مَا يَتَعَيَّنُ فيه مَذْهبُ القاضِي فقولُهُ تعَالَى : ﴿هَذا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي﴾ إشارةً إلى السَّدّ، وهُو إحسانٌ مِنَ اللهِ تَعالى، لاَ إِرَادَتُهُ القديمَةُ.

– وأمَّا مَا يحتمِلُ الأَمْرَيْنِ، فهَذَا الموضِعُ، والذِي في فاتِحَةِ الكِتَابِ.

وَمَذهبُ الشَّيْخِ أقربُ منْ مذهبِ القَاضي؛ لأَنَّ الرَّحمةَ التي وُضِعَ اللفْظُ بإِزَائِهَا حقيقةً فيها هِيَ رِقَّةُ الطَّبْعِ، ويلْزَمُهَا أمْران : الأَوَّلُ إرادةُ الإحْسانِ، والثَّاني الإحسانُ نفسُه؛ فهُمَا لازمَان للرِّقَّةِ التي هي حقيقةُ اللفْظِ. والتَّعبيرُ بلفْظِ الملْزُومِ عَنِ اللازِمِ مجازٌ عُرْفِيٌّ شائِعٌ ، وإنْ شئْتَ جعلتَهُ مِنْ إطْلاقِ اسْمِ السَّبَبِ على الْمُسَبَّبِ ، غيرَ أَنَّ إرادةَ الإحسانِ أَلْزَمُ للرِّقَّةِ؛ فإِنَّ كلَّ مَن رحمتَهُ فأحسنتَ إليْه، فقدْ أَرَدْتَ الإحسانَ إليه، وقد تريدُ الإحسانَ وتقْصُرُ قدرتُكَ عنه، فَثَبَتَ أنَّ الإرادةَ أكثرُ لزوماً للرِّقَّةِ، ومَتَى قَرُبَتِ العلاقةُ كانَ مجازُها أرْجَحَ».

والنص بطوله للقرافي في "فروقه"، وهو أيضا في "ترتيب الفروق واختصارها" للبقوري : 1/458 - 459.

3- الموطن الثالث، عند شرحه لبيت الشاطبي :

ومهما تصلها مع أواخر سورة   فلا تقفن الدهر فيها فتثقلا

«وقوْلُ الشَّاطبي : «ومهما» : عَامَّةٌ، فَيَصِحُّ فيهَا الابتداءُ والنَّصبُ بفعْلٍ يُفَسِّرُهُ «تَصِلْ»، والتَّقدير : وَأَيُّ بسْملةٍ تصلُ «تَصِلْهَا»؛ والظَّرْفِيَّةُ بمعْنى : وَأَيّ وقتٍ تصلُ البسملةَ علَى القَوْلِ بجوَازِ ظَرْفيَّتِهَا. وأمَّا هُنَا فيتعَيَّنُ كونُها ظرْفاً لـ«تَصِل»، بتقْديرِ : «وأيّ وقْتٍ تَصِلُ بَرَاءَةَ». أَوْ مفعولاً بِهِ حُذِفَ عاملُه : أي «وَمَهْمَا تَفْعَلْ»، ويكون «تصل» و«بَدَأْتَ» بَدَلَ تَفْصِيلٍ من ذلك الفِعْلِ.

وأمَّا ضميرُ «تَصِلْهَا» فَلَكَ أنْ تُعيدَه على اسْمٍ مضمرٍ قَبْلَه محذوف، أَيْ : ومهْمَا تفعل في تصلها، أوْ بَدَأْتَ بِهَا، وحَذَفَ «بِهَا». ولَمَّا خَفِيَ المعنى بحذفِ مَرْجِعِ الضَّميرِ، ذَكَرَ بَرَاءَةَ بياناً له، إِمَّا على أَنَّهَا بَدَلٌ منه، أوْ على إضمارِ «أعْني». وَلَكَ أن تعيدَه

على ما بعدَه وهو بَرَاءَة، إمَّا على أنَّه بدلٌ منه، مثل : «رأيتُه زيداً»، فمفعولُ بدأْتَ محذوفٌ، وإمَّا على أنَّ الفعليْنِ تَنَازَعَاهَا، فأُعْمِلَ الثاني منهُما، وأُضْمِرَ الفضلةُ في الأوَّل على حَدِّ قولِه :

إِذَا كُنْتَ تُرْضِيهِ ويُرْضِيكَ صَاحِبٌ جِهَاراً فكُنْ فِي الغَيْبِ أَحْفَظَ لِلْوُدِّ»

وهذه الفقرات مثبتة برمتها عند ابن هشام في "مغني اللبيب" (438)، ولم يعزها البسيلي إليه.

4- الموطن الرابع : عند تعقبه للزمخشري في تفسيره معنى المحبة بالميل :

«كلام الزمخشري هنا لا يحل كتبه، فقد نبه عليه الفخر قائلا مع عياض في "الإكمال" : «محبة العبد لله ليست بمعنى الميل، لاقتضائه ممالا إليه في جهة»؛ قلت : قولهما في جهة ممنوع».

والتعقب في أصله لابن عرفة، نص عليه في "مختصره الكلامي"، انظره في ن خ ع ك1 : 103و.

ب- مواطن ذكر فيها مظنة النقل، بعزوه إلى معين، ثم أظهر البحث أنه لغيره :

منها أنه نقل في موضع عن القرافي في "الفروق"، ثم عطف عليه نقلا يظهر بادي الرأي أنه تابع له؛ غير أني مع مزيد البحث لم أجده في الفروق، إلى أن عثرت عليه في "أحكام ابن العربي". وإليك كلامه : «قال : ولا يُقال للمريض : اللهم اجعل له بهذا المرض كفارةً؛ لأنه تحصيل الحاصل، مع كونِه سوءَ أدبٍ»[1312].

قال : «وقال علماؤنا : هذه الآية تدُلُّ على القَوَدِ مْن شريك الأب - خلافاً لأبي حنيفة - ومِن شريكِ الخاطئ قد اكتسب القتلَ، وهما يقولان : اشتراكُ مَن لا يُقتَصُّ منه مع مَن يُقتص منه (شبهة)[1313] في درْء ما يدْرأ بالشبهة». فالنقل الأول عند القرافي في "الفروق"

(1312) «الفروق» (235/4). وتمام كلامه : «...بل يقال : اللهم عظم له الكفارة لأن تعظيمها لم يعلم ثبوته بخلاف أصل التكفير فإنه معلوم لنا بالنصوص الواردة في الكتاب والسنة، فلا يجوز طلبه».

(1313) زيادة ساقطة من كل النسخ؛ وهي ثابتة في «أحكام» ابن العربي، ولازمة لاتضاح المعنى؛ غير أن القرطبي - ناقلا عن ابن العربي - ينفي كون الاشتراك المذكور شبهة في درأ ما يدرأ بالشبهة، حيث يقول : «إن اشتراك من لا يجب عليه القصاص مع من يجب عليه القصاص لا يكون شبهة في درء ما يدرأ بالشبهة»، والكلام أعلاه يثبته، فوجب التحقق.

(235/4). والثاني لابن العربي في "الأحكام" (264/1). ثم إن البسيلي رحمه الله لم يخلص النقل في الثاني، فسقطت كلمة «شبهة» من كل النسخ، ولا استقامة للمعنى بدونها.

– ومنها أنه أورد ما يلي : «وقال ابن مالك :

وَمِثْلُ خُطْوَةٍ وسِدْرَةٍ أَتَتْ   في جَمْعِهَا لُغى ثَلاَث رُوِيَتْ»

ولمْ أُلفه في أنظام ابن مالك، وتبيَّنَ لي بعدُ أن الصحيح نسبتهُ لابن معط، أبي الحسين زين الدين الزواوي المغربي (ت 628هـ) : صاحب الألفية في النحو، المقصودة بقول ابن مالك «فائقة ألفية ابن معطي». والبيت فيها؛ انظر "الصفوة الصفية في شرح الدرة الألفية" لتقي الدين النيلي (154/1).

– ومنها أنه قد ينقل عن كتاب ما بواسطة، فيوقعه ذلك في الخطأ في العزو، مثاله أنه كثيرا ما يعول على السفاقسي في حكاية أقوال أبي حيان ـ كما تتبعته في كتابه ـ، اعتمادا على كونه اختصارا له في الغالب، إلا أنه غفل عن كون كتاب المجيد، يحتوي أيضا إفادات العكبري في "التبيان"، كما صرح به السفاقسي في صدر كتابه، عند قوله : «ولما كان كتاب أبي البقاء المسمى بالبيان في إعراب القرآن، كتابا قد عكف الناس عليه، ومالت نفوسهم إليه، جمعت ما بقي فيه من إعرابه مما لم يضمنه الشيخ في كتابه وضممت إليه من غيره ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى»[1314]. فتراه يحيل على كلام أبي حيان، فلا تجده في "البحر"، وتجده بحروفه في "التبيان"، مثاله عند تفسير قوله تعالى : ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾[1315]، فقد قال : «يحتملُ كونه حالاً منَ النَّكِرَةِ الموصوفةِ. وذَكرَ أبو حيان وجهين : صفةٌ لـ«وادٍ»، أوْ بدل»[1316]. ولم أجد الكلام في "البحر"؛ وهو بحروفه في "التبيان" للعكبري (69/2).

ج ـ أنه ربما يقول عقيب قول أو رأي : «فيه نظر»؛ ثم لا يفصح عن مراده وعن علة عدم ارتضائه، فينبهم على القارئ مقصود المؤلف بذلك :

فمنه قوله : «تكلّم الفخر هنا في الفرق بين القدر والقضاء بكلام فيه نَظر»[1317]. وقد أغفل أن يبين لنا سبب توقفه في قبول كلام الفخر.

(1314) «المجيد في إعراب القرآن المجيد» : ن خ ع ق 596 الورقة 1. ون أيضا تحقيق إعراب الفاتحة من المخطوط المذكور، ضمن مجلة المورد، مج 17، ع 4، 1988، ص 138.

(1315) إبراهيم : 37.

(1316) «نكت وتنبيهات» (ق) : 77 و.

(1317) «نكت وتنبيهات» (ق) :104ظ ـ 105و.

ثم إنه كثيرا ما يحيل القارئ على كلام العلماء في بعض كتبهم، فيحار أيَّ كلامهم المقصود؛ وقد وقعتُ في حيص بيص، حين أردت أحيانا أن أحدد بعض هاته النقول؛ خاصة عندما تطول فلا يكفي الاستدلال عليها بالآية موضوع النكتة، وتحتاج إلى إعمال النظر غير يسير حتى تستدل عليها بسياق الكلام. ويعضل الأمر حين يحيل على كتب غير مسماة أو نادرة، ويعتاص حين يصطاد الحوت في غير بحره، فيفيد نكتة تفسيرية من غير كتب التفسير.

فمن أمثلة ما طال فيه الكلام المحال عليه، فأغلق على القارئ تبين أيِّه المقصود، قوله عند قوله تعالى : ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ : «انظرْ كلامَ الفخر، فإنه لا يتِمُّ؛ للفرق بين العزّة القديمة التي هي صفةُ ذاتِه تعالى، والعزةِ الحادثة التي هي فعلُه. وقد قال الفقهاء في الحالف بعزة الله إنْ أرادَ الحادثةَ فلا كفارةَ»[1318]. ولك أنْ تعود إلى كلام الفخر[1319] على الآية، لتتحقّق ما قلتُه.

وقد يحيل على تفاسير ابن عطية[1320] والزمخشري[1321] والفخر[1322] وأبي حيان[1323]، فيكون الوقوف على مراده أيسر، لأن هذه المظان أعرف، بيد أن ذلك يشتد على المتفحص حين يحيل على كتب نادرة لا يسمِّيها، مثلما فعل عند قوله تعالى : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾[1324]، عند قوله ـ من كلام طويل ـ: «واستدل المالكية على أن العظام من أجزاء كل حيوان تابع للحمه؛ فمتى حكمنا للحم بالطهارة حكمنا بذلك للعظم، لأنه مما تحله الحياة، لقوله تعالى : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1325].

والظاهر إضافة الحياة إلى نفس العظام، لكن في الآية ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الذِي أَنشَأَهَا﴾[1326]، فأضاف الإحياء[1327] إلى الدار الآخرة[1328]، والإنشاء إلى الدنيا،

(1318) «نكت وتنبيهات» (ق) : 25 و.
(1319) «التفسير الكبير» (7/8).
(1320) كما فعل في المواضع التالية من «نكت وتنبيهات» (ق):27 و(مرتين)؛ 89 و؛ 145 و.
(1321) كما فعل في المواضع التالية من «نكت وتنبيهات» (ق):65 و؛ 87 و؛ 91 و؛ 94 ظ.
(1322) كما فعل في المواضع التالية من «نكت وتنبيهات» (ق):25 و؛ 76 ظ؛ 77 و؛ 149 و.
(1323) كما فعل في المواضع التالية من «نكت وتنبيهات» (ق):42 ظ؛ 77و.
(1324) يس: 76.
(1325) يس : 79.
(1326) ساقط من «ك ، س».
(1327) ق : لا حيا.
(1328) ق : الآخر.

والإنشاء تركيب لا إحياء، لكن اجتمعت الأمة على أن العودة في حلول الحياة كالبَدْأة، فيكون معنى إنشائها هاهنا إحياؤها...انتهى من ابن بشير، وانظر ابن عبد السلام»[1329]. فقد أحال البسيلي هنا على ابن عبد السلام الهواري، ويغلب على ظني أنه يقصد من كتبه "شرح المختصر الفقهي" لابن الحاجب، وهو مخطوط تفرقت أجزاؤه في الخزائن، وقد حاولت أن أقع على موضع النقل في ما وصلت إليه يدي من أجزائه فلم أوفق. وشبيه بما مرّ قوله عند قوله تعالى : ﴿إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّا﴾[1330] : «أبو حيان : لا يجوز أن تقول «ما ضربت إلا ضربا» لعدم الفائدة. ثم ذكر الجواب من ثلاثة أوجه، انظرها في ابن عرفة[1331]. فقول المؤلف هنا «انظرها في ابن عرفة» مشكل.

وأظن أن البسيلي كان يحيل بدقة وتحديد على المصادر التي كانت ماثلة بين يديه، ـ وهو أمر لا تخطئه العين ـ، فيما كان يكتفي بمجرد الإرشاد إلى تلك التي لم تبلغها يده، دون تحديد موضع النقل، مثال الأول، قوله : «انظر "سراج المريدين" لابن العربي في الاسم الثامن والتسعين»[1332]؛ أو قوله : «انظر "سراج المريدين" في اسم «العابد»»[1333]؛ أو قوله : «انظر "سراج المريدين" لابن العربي في الاسم 28»[1334]. ومثال الثاني، قوله : «انظر مقدمات ابن رشد»[1335].

د ـ أنه قد يطيل في بعض النقول، إطالة تدعوه إلى الاعتذار :

فقد نقل مرة عن التفتازاني في "شرح تلخيص المفتاح"، نصا يتعقب فيه كلام صاحب الأصل، فأحس بالإطناب، فنقل أيضا عبارة التفتازاني في الاعتذار عن الإطالة : «قال : وإنما أطنبت الكلام في هذا المقام، لأنه من مسارح الأنظار، ومطارح الأفكار، فكم من زلت فيه بالأفاضل أقدامهم، وكلت دون الوصول إلى الحق أفهامهم»[1336]. ومثل هذه الإطالة واقعة أيضا عند تفسير الهم في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ

(1329) «نكت وتنبيهات» (ق) :123 و.

(1330) الجاثية: 32.

(1331) «نكت وتنبيهات» (ق) :134 ظ.

(1332) «نكت وتنبيهات» (ق) :136 ظ.

(1333) «نكت وتنبيهات» (ق) :149 و.

(1334) «نكت وتنبيهات» (ق) :49 و.

(1335) «نكت وتنبيهات» (ق) :154 ظ.

(1336) «التقييد الكبير» (ن خ ع ق 611) : 517- 518. وقد بقي لنا أن ننبه أن الإطالة في النقول لم يكن ميسما بارزا في «نكت وتنبيهات» الصغير، مساوقة من المؤلف لشرط الإيجاز، ولا يضر خروجه عنه في مواطن عدد أصابع الكف.

هَمَّتْ بِهِ﴾[1337]، حيث شغل نص منقول، قرابة صفحات ثلاث من الأصل المخطوط[1338].

هـ - أنه قد يوهّم غيره فيما أنه هو الواهم :

مثاله أنه عدّ قول أبي عمران في "النظائر" : «لا يُستكشف شهودُ السرقة» غلطا؛ وقال : «وشرطُه اتحادهم في زمن الأداء كشهود الزنا، غلطٌ منه أيضا».

والحق أن البسيلي هو الذي التبس عليه كلام أبي عمران، وإلا فمحصَّل كلامه وجوب استكشاف شهود السرقة، إلا أن يكونوا من أهل العلم والانتباه، فلا يسئلوا؛ وهاك نصَّ كلام أبي عمران بتفصيل :

«أربع مسائل يكشف فيها عن شهادة الشهود، من ذلك : الشهود على الزنا والسرقة، فلا بد أن يسئلوا عن صفة الزنا والسرقة كم هي وإخراجها من الحرز. وكذلك يكشف عن الشهود إذا شهدوا على الدابة : هل علموا أنه باعها أو لم يعلموا. وإذا شهدوا على معتَق أنه مولى لفلان، فإنهم يسألوا (كذا) من أعتقه ؟، فإن منعوا أن يسألوا أو يكشفوا فشهادتهم داحضة؛ فإن غابوا قبل السؤال فإنه يكشف عن شهادتهم؛ وإن كانوا من أهل العلم والانتباه فلا يسألون، وإلا فلا يحكم بشهادتهم حتى يسألوا».

و - أنه لا يراعي باطراد ترتيب الآي في التنبيهات والنكت، فيقدم في بعض الأحيان، بعض الآيات على بعض[1339].

(1337) يوسف : 24.

(1338) «نكت وتنبيهات» (ق) : 60 ظ- 63 و.

(1339) تمت الإشارة إلى ذلك في حواشي الكتاب.

المبحث التاسع :
عمل ابن غازي في «تكملة النكت»

1ـ التعريف بابن غازي وذكر مصادر ترجمته :

أـ التعريف به[1340] :

«محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي، العثماني المكناسي ثم الفاسي، شيخ الجماعة، العلامة الحافظ الحجة المحقق، خاتمة علماء المغرب وآخر محققيهم. قال في "الروض الهتون" : العثماني نسبة لأبي عثمان، قبيلة من كتامة، نشأتُ بمكناسةَ وقرأتُ بها ثم رحلتُ لفاس لطلب العلم سنة ثمان وخمسين ظنّاً، وأقمت بها زمنا، ولقيت بها جماعة من الأشياخ، ثم عدت لمكناسة زمانا ثم رحلت لفاس مستوطنا، اهـ.

وقال تلميذه عبد الواحد الونشريسي : شيخنا الإمام العالم الأثير السيد. كان إماما مقرئا مجودا، صدرا في القراءات، متقنا فيها عارفا بوجوهها وعللها، طيِّبَ النعمة[1341] قائما بعلم التفسير والفقه والعربية، متقدما في الحديث حافظا له واقفا على رجاله وطبقاتهم ضابطا لذلك، معتنيا به، ذاكرا السير والمغازي والتواريخ والأدب. فاق في كلِّه أهلَ وقته. ولد بمكناسة وأخذ العلم بها وبفاس عن الأستاذ النيجي والقَوْري وغيرهما. أنفذ عمره في طلب العلم ونشره وتقييده وألَّف في القراءة والحديث والفقه والعربية والفرائض والحساب والعروض وغيرهما تآليف نبيلة. وخطب بمكناسة ثم بفاس الجديد ثم بالقرويين. وليس في عصره أخطب منه. يُسمِع في كل شهر رمضان صحيح البخاري. وتخرج به عامة طلبة فاس وغيرها. ورحل إليه الناس وتنافسوا فيه.

(1340) هذا سياق ما في «كفاية المحتاج» (2/217– 218)، نقلناه بحروفه، وقد علقنا عليه بما رأيناه ضروريا، واقتصرنا عليه فحسب، لاشتهار ابن غازي وكثرة مترجميه؛ ولمن شاء التوسع النظر في مصادر ترجمته المذكورة بعد.

(1341) كذا، وإخالها «النغمة»، كأنه يصفه بجمال الصوت حال التلاوة.

كان عذب المنطق حسن الإيراد والتقرير فصيح اللسان عارفا بصنعة التدريس ممتع المجلس، جميل الصحبة، سري الهمة، نقي الشَّيبة حسن الأخلاق والهيبة، عذب الفكاهة، معظما عند الخاصة والعامة. مجالس إقرائه في غاية الاحتفال. وبالجملة فهو آخر المقرئين وخاتمة المحدثين، لم يزل يحرض الناس في خطبه ومجالس تدريسه على الجهاد والاعتناء به. وحضر بنفسه مواقف عديدة ورابط مرات. وخرج آخر عمره لقصر كتامة للحراسة فمرض ورجع لفاس، فتوفي يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة تسع عشرة. وكثر الناس في جنازته وحضرها السلطان فمن دونه، وتبعه ثناء حسن، وعظم التأسف عليه، اهـ.

قلت[1342] : وممن أخذ عنه بوعبد الله بن العباس والدقون وعلي بن هارون وغيرهم. ألف "شفاء الغليل في حل مقفل خليل"[1343]، بين فيه مواضع مشكلة منه، ونبه على ما سها فيه بهرام، من أحسن حواشيه، عم نفعه مشرقا ومغربا. و"تكميل التقييد وتحليل التعقيد" على المدونة، كمل به تقييد أبي الحسن الزرويلي مع حل عقائد[1344] ابن عرفة، في ثلاثة أسفار[1345]، ويذكر أن بعض معاصريه كان يقول : أما التكميل فكمله، وأما التعقيد فما حلله. و"حاشية لطيفة على الألفية"، نبه فيها على مواضع من كلام المرادي مع نقل بعض تحقيقات الإمام الشاطبي ونكته[1346]. و"منية الحساب"، في الحساب، بديع النظم[1347]، وشرحها "بغية الطلاب"، في سفر[1348]. و"ذيل الخزرجية" في العروض[1349]. و"نظم

(1342) المقصود : التنبكتي.

(1343) من أقدم نسخه نسخة الناصرية، ثاني مجموع 508، حيث نسخت سنة 905هـ.

(1344) ن هل يصح هذا التعبير.

(1345) مخطوطاته كثيرة، ن نماذج منه في مقدمة تحقيق «التعلل برسوم الإسناد» (11).

(1346) حقق منه جزئين حسين عبد المنعم بركات، ونشرته مكتبة الرشد في الرياض، ط 1، 1999، تحت عنوان «إتحاف ذوي الاستحقاق»، وقد يسمى : «حل بعض مشكلات كلام الإمام المرادي وتطريزه ببعض ما يستملح من نكت أبي إسحق الشاطبي». انتهى من تأليفه سنة 898هـ؛ من مخطوطاته : الكَنونية : 10291. خزانة وزان : 1274، خزانة تطوان : 544.

(1347) 439 بيتا، أولها : الحمد لله الذي قد نورا قلوبنا بما بها تفجرا
وآخرها : ثم التماثل بواحد اكتفى وأما التداخل كبير يكفي

(1348) منشور بالمطبعة الحجرية الفاسية من عام 1317هـ، في 248 صفحة من القطع المتوسط، ومن مخطوطاته : الخزانة الحسنية بالرباط: 9966، بخط محمد العربي بن أحمد بنيس. خزانة وزان، رقم 1080.

(1349) هو تثليت على الخزرجية، عدد أبياته مجردا عن أبيات الخزرجية 337؛ منه نسخة بالكَنونية، ضمن مجموع 10365.

مشكلات الرسالة"[1350]. و"حاشية لطيفة في أربع كراريس على البخاري"[1351]، و"إنشاد الشريد في ضوال القصيد"[1352]، على الشاطبية. و"فهرسة شيوخه"[1353]. و"الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"[1354]. و"المطلب الكلي في محادثة الإمام القلي". و"المسائل الحسان المرفوعة لحبر فاس وتلمسان"[1355]، و"الجامع المستوفي بجداول الحوفي"[1356].

"نظم مراحل الحال"[1357] و"شرحه". واستنبط من حديث «أبا عمير، ما فعل النغير؟» مائتي فائدة[1358]، وترجمها في ورقتين[1359].

(1350) نشرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، شرح الحطاب له، محققا بمعرفة ذ. أحمد سحنون، سنة 1988. ومن مخطوطات النظم، نسخة بالناصرية، سابع مجموع 1630، في 50 بيتا. ونسخة جامع مولاي عبد الله الشريف بوزان ضمن مجموع رقم 2521. أوله :

قال ابن غازي واسمه محمد   الله ربي الكريم أحمد

(1351) نشرته وزارة الأوقاف المغربية سنة 1989، بتحقيق ذ. عبد الله التمسماني، تحت عنوان : «إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب». يتكلم فيها غالبا على ما أغفله الزركشي، فهي كالتكملة له.

(1352) منه نسخة بجامع مولاي عبد الله الشريف بوزان ضمن مجموع رقم 1230.

(1353) طبعت بتحقيق محمد الزاهي، ونشرته دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة الفهارس، 3، سنة 1979.

(1354) طبع بالمطبعة الملكية، بالرباط، سنة 1964.

(1355) ضمّنه المقري في «أزهار الرياض».

(1356) منه نسخ كثيرة، منها : ن خ ع ك: 3314؛ ن خ ع د 10136؛ الكَنونية: ضمن مجموع 10277.

(1357) كذا ورد في المطبوع، و هو تصحيف للمجاز.

(1358) المعروف أن ابن الصباغ المكناسي هو الذي أملى على الحديث أربعمائة فائدة. ولابن القاص الشافعي جزء مطبوع بفوائد الحديث، وقد علقت هذا من ذهني فلم يحضرني ما أوثقه به.

(1359) مما لم يذكره التنبكتي من مؤلفاته :

- **شرح الطوالع في علم الكلام** : منه نسخة بأوقاف الجزائر، تحت رقم 271، في 192 ورقة. كذا في موقع وزارة الأوقاف الجزائرية.
- **نظم ألفية في السيرة** : الزاوية الحمزاوية، رقم 285، ثالث مجموع، أولها :

الحمد لله الذي قد نورا   قلوبنا بما بها تفجرا

وآخرها: وأطرب العيش بحسن النغم   حاد يسوقها لخير حرم

- **أرجوزة في القراءات** : نظارة آسفي ، ثالث مجموع رقم 361، نسخة متلاشية؛ دار الكتب الناصرية ضمن مجموع 1689، تاسع مجموع 1635.
- **إسعاف السائل في تحرير المقاتل والدلائل** : شرح لأبيات ستة جمعت من كلام ابن رشد في حكم المتردية والنطيحة؛ منه نسخة بدار الكتب الناصرية، ثالث مجموع 2088.
- **منظومة في تذييل الدرر اللوامع لابن بري** : منه نسخة بدار الكتب الناصرية، سادس مجموع 1689.
- **إمداد أبحر القصيد ببحر أهل التوليد.**

=

قال الشيخ أحمد المنجور : ولد عام أحد وأربعين وثمانمائة».

ب ـ مصادر ترجمته :

– الروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس، المنسوب للشراط محمد بن محمد بن محمد بن طاهر بن عيشون الفاسي (ت 1109هـ) : ن خ ع د 525؛ 1246؛ 1419؛ ن خ ع ك 2401.

– طبقات المالكية (ن خ ع د 3928 : 456 ـ 457).

– قصيدة تعزية مطولة في محمد بن أحمد بن غازي، لأحمد المدعوّ بشقرون بن أبي جمعة الوهراني (ت 917هـ) : دار الكتب الناصرية، ضمن مجموع (يَب)[1360].

– إجازة ابن غازي لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن المعافري الوقاد المكناسي، مؤرخة بعام 891هـ : شريط مصورات جائزة الحسن الثاني، سنة 1974، في قطاع إقليم بني ملال.

– دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لابن عسكر الحسني الشفشاوني : 46 ـ 47.

– كفاية المحتاج : 2/217 ـ 218؛ رت: 622.

– نيل الابتهاج : 359.

– درة الحجال : 1/224.

= – **تفصيل عقد الدرر**؛ شرحه جموع الفاسي، وحقق برسم رسالة جامعية.

– **تكملة أوضاع المخمس الخالي الوسط، وكيفية التصريف به على أحسن نمط.**

– **الكليات في المسائل الجارية عليها الأحكام في الفقه المالكي** : طبعت على الحجر بفاس دون تاريخ في سفر صغير؛ حققها د. محمد أبو الأجفان ونشرها.

– **منظومة في الذكاة** : شرحها أبو سليمان الأغيلي الدرعي في «الروض الفائح في بيان صفة الذبائح» منه نسخ شتى كنسخة خ ع د 2186.

– **مذاكرة أبي إسحق بن يحيى** : رسالة في خمرة «ماحيا» التي كان يصنعها اليهود.

– **منظومة في البدع.**

– **تكملة النكت الصغرى لأبي العباس البسيلي** : ولم يذكره أحد من مترجميه ممن وقفت على كلامه.

(1360) «دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكَروت» (138).

– الموسوعة المغربية : 2/73 - 74.

– شجرة النور الزكية : 1/276.

– إتحاف أعلام الناس : 4/2.

– مقدمة تحقيق "التعلل برسوم الإسناد" (7– 17).

– صلة الخلف بموصول السلف : 21؛ ومواضع متفرقة.

– تاريخ الشرفاء لبروفنصال:224.

– المصادر العربية لتاريخ المغرب : 1/120؛ 1/122؛ 1/124.

– فهرست المنجور : 17.

– الفكر السامي: 2/ق4 : 314 - 315؛ رت : 701.

– سلوة الأنفاس : 2/73 - 74.

– معلمة الفقه المالكي : 91 - 92.

– حلقة ابن غازي من "ذكريات مشاهير رجال المغرب".

2. عمله في اختصار التكملة :

صدّر ابن غازي تكملته بقوله : «... استخرت الله تعالى في تكميله بذكر عيون نكت انتقيتها من "التقييد الكبير"، وجعلت علامة ع للإمام ابن عرفة»[1361]. فعمله إذن تكملة وانتقاء، وقد غلب على اختياره انتقاء النكت التي ترتبط بأنظار فقهية أو عقدية لأعلام في الفتوى والفقه، أو حتى بعض نظراتهم في التفسير، فنقل بعضا من ذلك عن ابن سلامة[1362] وابن الحباب[1363] وأبي العباس ابن حيدرة[1364] وابن عبد السلام[1365]

(1361) «تكملة ابن غازي» : 1– ظ.

(1362) ن التنبيه على الآية 14 من سورة الصف. والآية 9 من سورة التغابن.

(1363) ن التنبيه على الآية 8 من سورة الجمعة.

(1364) ن التنبيه على الآية 4 من سورة المنافقون.

(1365) ن التنبيه على الآية 5 من سورة المسد.

وابن الجوزي[1366]، وساق بعضا من المساجلات كتلك الواقعة بين المازري وشيخه عبد الحميد[1367].

ولم يُخْلِ نكتَه من تنبيهات نحوية أو تعقبات لأقوال تفسيرية، وهي في مجملها تنم عن ذوق رفيع في الانتقاء، وفهم عميق لمحمولات النصوص.

إلا أن نسخة التكملة تطرح إشكالا بارزا؛ لأنها تخالف خواتيم كل أصول "التقييد الكبير"، فالأصل الذي انتقى منه ابن غازي، يتفق مع كل الأصول في بعض النكت، ويخالفها في الأخرى، وتوجد به نكت توجد في نسخة من التقييد الكبير ولا توجد في أخرى، وقد يأتي بنكتة لا وجود لها البتة في نسخ تقييد البسيلي، فيما هي واردة عند الأبي، فهي خليط من تقييد الأبي والبسيلي وتقييد آخر لم نتمكن من معرفته[1368].

(1366) ن التنبيه على الآية 7 من سورة المنافقون.

(1367) ن التنبيه على الآية 12 من سورة الطلاق.

(1368) ن تعليقنا على نكت الآيات التالية : الضحى: 3؛ 7. الشرح : 2. فاتحة سورة التين. القدر : 5. وغيرها.

المبحث العاشر :
نقد تحقيق مقدمة «نكت وتنبيهات»

لم يطبع من كتابنا هذا غير مقدمة حققها د. الطوالة بعد أن سلخها عنوة وأثبتها صدر "التقييد الكبير" رغم أنها منه براء، وليس تمت بصلة إلا للتقييد الصغير، إذ هي ثابتة في نسخه المعروفة؛ وقد استغرقت هذه المقدمة نحوا من ثماني صفحات في مخطوط خ ع ق[1369].

ورغم ما بدا من جهد للأستاذ المحقق في أن يخرج الكتاب في صورة علمية، إلا أن عمله على النص، قد شابته هنات ونواقص، فما شئت من أسقاط وأوهام، وخلط وخبط في تراجم الأعلام وتحديد الموارد، منشأ ذلك كله أمران : الاجتراء على النص بالحذف والإضافة، وإعواز التلبث والتثبت. ونحن لا نعذله بل نعذره، ولا ننقم عليه بل نقومه، ولم نتتبع كل ما تجانف فيه عن الصواب في تضاعيف الكتاب، فليس ذلك من شرط كتابنا هذا، فلا علينا ألا ننقد منه إلا ما ألحق به شططا، وأقحم فيه عنتا، ويكفي من القلادة ما أحاط بالطلى؛ فمن ذلك، أنه :

1 ـ أسقط فقرة كاملة ثابتة في النسخة التي اعتمدها من النكت الصغير؛ وهاهي بتمامها :

«وله يَرْثِي شيخه أبا مُضَرٍ، حسبما وجدته مقيَّداً بخطِّ شيخِنا أبي مهْدِي عِيسَى الغُبْرِينِي :

وقَـــائِـلَـةٍ مَـا هـذِهِ الـدُّرَرُ الـتِـي تساقط مِنْ عينِكَ سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ

فقُلْتُ هُو الدُّرُّ الذي قدْ حَشَـا بِهِ أبُـو مُضَـرٍ أذْنِـي تسَـاقَطَ مِنْ عَيْنِـي

قال أبو حيان : «وذكر الوزير أبُو نصْرٍ الفتْحُ بنُ خَاقَان الإشبيليُّ، في كتابه المسمى "قلائِدَ العِقْيَان في مَحَاسِنِ الأعْيَان"، أبَا محمَّد بن عطيّة وأَثْنَى عليه، وأَثْبَتَ له نظماً ونثراً».

(1369) من 2 ظ إلى 10 ظ.

2 ـ أسقط المحقق النص التالي برمته ـ وهو يتعلق بترجمة ابن بزيزة ـ من كتاب البسيلي، رغم ثبوته في النسخة المخطوطة المعتمدة عنده؛ وإليكها :

«عَرَّف به الحافظ أبو العبَّاس الأغرناطي في كتابه المسمى بـ"الْمُشْرِق في ذِكْرِ علماءِ المغربِ والمشرِق"، قال :

«تفقَّه بأبي عبد الله السُّوسي وأبي محمدٍ البُرْجِيني والقاضي أبي القاسم بن الْبَرَاء، وكان حافظاً للفِقْهِ والحديثِ والشِّعرِ والأدَبِ، مشاركاً مُصَنِّفاً. لهُ في التفسيرِ "الجمع بين ابن عطية والزمخشري"، وله "شرح التَّلْقينِ والأحكامِ الكبري"، و"شرح الإرشاد"».

3ـ حرّف العبارة التي وردت في الأصول هكذا : «ولد بتونس يوم الإثنين رابع عشر محرم عام 606، ومات رابع ربيع الأول من عام 663» إلى النحو التالي : «ولد بتونس يوم الإثنين رابع عشر محرم عام ستة عشر وستمائة، وتوفي ليلة الأحد أربع ربيع أول سنة اثنين وستين وستمائة»[1370].

4ـ أسقط المحقق فقرة كاملة ثابتة أيضا في النسخة التي اعتمدها من كتاب "النكت" الصغير؛ وهاهي بتمامها :

«وَأَخبرني عنهُ عم والدي، الشيخ الصالح الزاهد العابد أبو فارس عبدُ العزيزِ البسيلِي؛ أنه رَأَى في نومه بعضَ من كان مُعَاصِراً لشيخِنا ابن عَرَفَة، وَهُوَ الشيخُ الفقيهُ المفْتي القاضِي أبُو العبَّاسِ أحمدُ بنُ حَيْدَرَةَ ـ وكَانَ في نفسِهِ مِنْهُ شيء ـ فقالَ له : اطلُبْ لي منْهُ المُحَالَّةَ؛ لأنِّي رأيتُ لهُ منزلةً عظيمةً عندَ اللهِ تَعالى فقال له نعم. قالَ لِي العَمّ : فالْتَقَيتُ بالشيخِ ابنِ عَرَفَةَ وأخبرتُهُ بذلك، فقال لي : الْمُلْتَقَى بيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى. وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلك».

5ـ صحف كلمة «يضيف» إلى «يضعف» في عبارة الأصل : «... وكَانَ اعْتِمادُهُ في التَّفسير على ابنِ عَطِيَّةَ والزمخشريِّ معَ الطِّيبِي، ويضيفُ تفسيرَ ابنِ الخَطِيب»[1371].

6 ـ مسخ عبارة المؤلف «تفقه بمراغة على مذهب الشافعي»، إلى ما يلي : «المعروف بابن الخطيب، فقيه على مذهب الشافعي!»[1372].

(1370) «التقييد الكبير» (المطبوع) : 204/1.
(1371) «التقييد الكبير» (المطبوع) : 205/1.
(1372) «التقييد الكبير» (المطبوع) :206/1.

7ـ استحالت عبارة النسخة «ودفن في الجبل المصاقب لقرية مزداخان»، إلى ودفن في الجبل المقابل لقرية مركاخان»[1373].

8ـ سلخ المحقق نصا طويلا من مقدمة الكتاب، رغم أنه ثابت في كل نسخ "النكت" الصغير؛ وهذا هو النص المحذوف:

«ومِنْ فهْرَسَةِ اللبلي : قال أحمدُ بنُ محمدِ بن خِلِّكَان في تاريخهِ : الإمامُ فخرُ الدِّين، هو أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عمرَ بنِ الحسينِ بن الحسن بن بنِ عليٍّ البَكْريُّ الطَّبَرِسْتَاني الأصْلِ، الرَّازي المولِد، المعروف بابن الخطيب.

ولد في خامس عشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعينَ وخمسمائةٍ بالرَّي، وتُوفي يومَ عيدِ الفِطْر، سنةَ ستٍّ وستِّمائةٍ بِهَرَاة، مِنْ أعمالِ خُرَاسَان، ودُفِنَ آخرَ النَّهارِ بالجبل الْمُصَاقِبِ من قرية مزداخان.

أَخَذَ الأصُولَ عنْ والدِهِ، وأَخَذَ والدُه عنْ أبي القاسِمِ سليمان بنِ ناصرِ الأنْصَارِي.

وذَكَرَ لي شيخُنَا الخُسْروشاهي بِدِمشْق أَشْيَاءَ مِنْهَا، أنَّه ما كان يُنْفِقُ إلا مِن نَسْخِه. وأخْبَرَني ابنُ الطباخ بالقاهرة، أنَّ بعضَهُمْ كانَ يَحضُرُ تدريسَ ابن الخطِيبِ، ويقعُدُ بَعيداً، فَقَال له ابنُ الخطِيبِ: لِمَ تَبْعُدُ عنَّا ؟. فقال : مجلسُكَ البحْرُ، وأَنَا امْرُؤٌ لاَ أُحْسِنُ السَّبْحَ فأخْشَى الغرَقَ؛ فقرَّبَهُ منه. وأخْبَرَني بها أَيْضاً، أنَّه كان يقْرأُ على ابنِ السَّكَّاك النَّحْوَ، يذهبُ إليهِ بعدَ فراغِ مجلسِه، فَعظُم على ابنِ السَّكَّاك مجيئُهُ، وقال له : أنت إمامٌ حقُّك أنْ يُؤْتَى إليكَ. فقَال لهُ ابنُ الخطِيب : هذا الذِي أفعلُه هو الواجِبُ. قال ابنُ السَّكَّاك : بَحَثَ مَعِي الإمامُ في كتاب "المفصَّل"، ففي الجزءِ الأوَّلِ ربما يكونُ مثْلِي أوْ دُوني يسِيراً، وأمَّا الجزءُ الثَّاني فإنَّه كانَ يحُلُّ لي المشْكلاتِ التي كانتْ تَعْتَاصُ علَيَّ.

قال ابنُ الطَّبَّاخ : وكانَ الإمامُ ابنُ الخطِيبِ على فضْلِه شِيعِيًا يَرَى محبَّةَ أهلِ البَيْتِ. قال : وكذَلكَ كانَ التَّاجُ الأرمَوِيُّ.

وَأَنْشَدَني بدمشقَ شيخُنا الْخُسْرُوشَاهي لبعضِهِم فِيهِ :

رَحَلْتُ إِلَى خُوَرزْمَ بَيْنَ عصَابَةٍ　　عِطَاشٍ إِلى التَّحْقِيق أَخْطَأَهَا الرَّيّ
فَسَاقَ إِلَيْنَا اللهُ مِن بعدِ خَيْبَةٍ　　إِمَاماً كَفَيْضِ البَحْرِ أَخْرَجَهُ الرَّيُّ»

(1373) «التقييد الكبير» (المطبوع) : 1/ 206.

9 ـ استحالت عبارة النسخ : «ابن عطية : ما روي عن عائشة : «ما كان....» إلى : «قال ابن عطية : ما روي عن عائشة رضي الله عنها : «ما كان...»[1374]. فزاد المحقق كلمة «قال» في صدر العبارة، ولفظ الترضية، رغم خلو النسخ منه، وسيزيده مرة أخرى في الصفحة 208 من الجزء الأول.

10 ـ انقلبت عبارة المخطوط : «وصدر المفسرين علي بن أبي طالب»، إلى «وأما صدر المفسرين فعلي بن أبي طالب»[1375]، والعبارة صحيحة، ولكنها مخالفة لما في النسخة التي اعتمدها ولما في غيرها، فصنيعه هذا تحريف.

11 ـ أسقط «إن» من العبارة «ثم إن محمد بن جرير الطبري....»[1376]؛ وهي ثابتة في النسخة التي اعتمدها.

12 ـ حذف العبارة التالية : «وهو من قول أنس بن مالك»، وهي ثابتة؛ وموضعها في المطبوع، بعد قول المؤلف «... من الأنصار يكنى أبا زيد»، وقبل قوله «قال المازري: هذا الحديث...».

13 ـ استحالت عبارة المازري : «هذا الحديث مما ذكره بعض الملحدة في مطاعنها» إلى «هذا الحديث مما ذهب بعض الملحدة في طعنها»[1377].

14 ـ استحالت عبارة «مئون لا يحصون» إلى «خلائق لا يحصرون»[1378]. وليس في نسخة من النسخ تعويض «مئون» بـ«خلائق».

15 ـ استبدل المحقق عبارة المخطوط «... لم يحفَظْ كلُّ مائةٍ سوَى البيتِ الذِي روَتْهُ لكانتْ مُتَوَاتِرَةً»، بقوله «ولم يحفظوا غيره من أبياتها لجعلت كلها متواترة!»[1379].

(1374) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) : 1/ 207.
(1375) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) : 1/ 207.
(1376) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) : 1/ 210.
(1377) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) :214/1.
(1378) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) :215/1.
(1379) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) : 215/1.

16 ـ وانظر رعاك الله إلى بعد الشقة بين ما في المخطوط، وبين ما أثبت المحقق في المطبوع؛ فالعبارة في المخطوط هي : «من كثرة من حفظ القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد عددنا...». وفي المطبوع : «من كثرة من حفظ القرآن جزم النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أصحابه. وقد عددنا...»[1380]. فقد حرفت «زمن» إلى «جزم»، وأقحم المحقق العبارة بين المعكّفين، وعلق في الهامش: «زيادة يقتضيها سياق الكلام؛ لأن في الكلام بتر»[1381] (كذا).

(1380) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) :215/1.
(1381) ن «التقييد الكبير» (المطبوع) : 215/1.

المبحث الحادي عشر :
وصف النسخ الخطية ومنهج التحقيق

أ ـ وصف النسخ :

مذ استخرت الله تعالى في تحقيق هذا الكتاب، وأنا أبحث عن نسخه، ولقد أكديت نفسي في التنقيب في فهارس المخطوطات وذخائر الكتب، فلم أعثر مع مزيد البحث الجاد، إلا على ثلاث نسخ، وقد تبين أنه لا يُعرف غيرُها لحينِه، بعد سؤال العارفين بالمخطوطات والمهتمين بها؛ فأما الأولى فأول من أشار إليها العلامة محمد المنوني رحمه الله في تعليقاته على "فصلة تصف الدراسة بالقرويين"[1382]، مقتصرا عليها، وأما الثانية، فمودعة بالخزانة العامة بالرباط، فيما أن الثالثة من مخطوطات مؤسسة خزانة علال الفاسي، وأما "تكملة ابن غازي" فقد قرت ثاوية بالخزانة الحمزية.

– **النسخة الأولى : مخطوطة الخزانة العامة بالرباط** : 271 ق.

وهي مخطوطة من قطع الوزيري الكبير (20 x 30 سم تقريبا)[1383]؛ مؤرخة بتاريخ غرة شوال، عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة (973هـ)، فهي أقدم نسخ "النكت" كبيرها وصغيرها[1384]، نسَخها علي بن أحمد بن حسن، شهر الجزاني[1385]، ويبدو أن عليا هذا كان من أهل العلم، ولذلك جاءت نسخته على قدر كبير من الصحة، ولولاها ما استقام تحقيق الكتاب على النسختين الأخريين لما اعتراهما من سقم ظاهر وتصحيف سافر.

ومما يزيد في أهمية النسخة أنها سلكت نظام التعقيبة (الرقاص)، و بها تصويبات بيد ناسخها الأصلي، وإلحاقات بخط غيره، عدا كونها مقابلة على نسخة أخرى،

(1382) مجلة البحث العلمي : العدد السابع/1966، ص : 262. التعليق 34.

(1383) ن مجلة المورد العراقية، مج 5، عدد 1؛ ربيع 1976؛ مقالة «علم المخطوطات» لحسين علي محفوظ؛ ص : 145.

(1384) ما لم يظهر بعد ما يخرم هذا الحكم.

(1385) «نكت وتنبيهات» (ق) : 155و.

حسبما هو مقيد على طررها، إذ عمد من قابلها إلى وضع كلمة «بلغة» في مواضع متفرقة، مما دل على أنه فرغ من مقابلتها في عدة مجالس؛ وقد كتب هو نفسه بخطه آخر النسخة ما يلي : «انتهت المقابلة على يد الفقير إلى الله محمد بن أبي النمر، لطف الله تعالى به»[1386]. وبالزاوية السفلية اليسرى من آخر المخطوط، عبارة مأروضة لم يبق منها إلا كلمة «قرءه ....»[1387]. وهي منتسخة برسم أحدهم عُفّي على اسمه بالكشط. والبلاغات المذكورة متعددة لا أجزم بتحديدها، لاحتمال خفاء بعضها بسبب فوات تصوير بعض الهوامش؛ فمنها :

- البلاغ الأول : يوجد بالصفحة 49.
- البلاغ الثاني : يوجد بالصفحة 67.
- البلاغ الثالث : يوجد بالصفحة 84.
- البلاغ الرابع : يوجد بالصفحة 126.
- البلاغ الخامس : يوجد بالصفحة 145.

ويلاحظ أنه يفصل بين أغلب البلاغات، 18 صفحة، وإذا سلمنا اطراد هذا الأمر، فقد كان يلزم التنصيص على البلاغ بكلمة «بلغة» التي درج عليها الناسخ في عشرة مواضع.

وقد عمد الناسخ أو غيره، فقسم النسخة إلى ملازم بمعدل 20 صفحة (عشر ورقات) لكل ملزمة، ورقَّمها من النازل للعالي (واحد، اثنان...)، وكتب الرقم بالحروف في الزاوية العلوية اليسرى، بحيث يخفى على غير المتفحص، وذلك بادٍ في الصفحات 1؛ 85؛ 105؛ 125.

وقد أثبت أحدهم بخط مشرقي تعليقات ـ أثبتنا بعضها ـ انقطعت بعد الصفحة العشرين، وهي تشي بعلم الرجل وسعة اطلاعه.

وقد آلت هذه النسخة إلى محمد بن علي المالكي، قبل أن تنتقل إلى شيخ الزاوية الناصرية، أحمد بن محمد بن ناصر، وخطه المعروف مثبت على أولى صفحاته. وهي الآن مودعة بالخزانة العامة، من ضمن ما استقدم من خزانة الزاوية الناصرية.

(1386) «نكت وتنبيهات» (ق) : 155و.

(1387) «نكت وتنبيهات» (ق) : 155 و.

وجاء على صفحة العنوان العبارات التالية :

1 ـ مجموع فيه كتاب "نكات وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد" لخاتمة المحققين والمدققين، أبي عبد الله محمد بن عرفة المالكي؛ جمع تلميذه شهاب الدين أحمد البسيلي المالكي رحمهما الله.(بخط النسخ).

2 ـ في ملك الفقير إلى الله تعالى أحمد بن (.......) الشرعي (.......) والده (......) بكرم الله تعالى محمد بن علي (....) رحمه الله تعالى (.....) بتاريخ ثامن عشر رمضان (.........).[1388] (تمليك بخط النسخ الجميل).

3 ـ وفيه كتاب "ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية"، للعلامة أبو (كذا) الفضل قاسم اللمتوني المغربي، طاب ثراه. (بخط النسخ، وهو نفس خط التعليق رقم 1).

4 ـ ملك لله تعالى بيد أحمد بن محمد بن ناصر، كان الله له، آمين. (تمليك بخط مغربي مسند، وهو خط العلامة ابن ناصر الدرعي).

5 ـ وفيه : كتاب "لحن العوام" للشيخ العارف بالله تعالى سراج الدين عمر السكوني، تلميذ الإمام محمد بن عرفة ؟ طاب ثراه[1389] (بنفس خط التعليقين 1 و 3).

6 ـ لمحمد علي المحلي المالكي، لطف الله به. (تمليك بخط النسخ).

7 ـ هذه نكات وتنبيهات على تفسير القرآن المجيد، للإمام محمد ابن عرفة المالكي، جمع تلميذه البسيلي، وهو بخطه[1390]؟، طاب ثراهما، آمين.

8 ـ هذا المجموع بخط أبي عبد الله شهاب الدين[1391] أحمد البسيلي تلميذ ابن عرفة رحمهما الله، وهذا الخط مما يتبرك به؛ اللهم انفعنا بكاتبه، آمين!؟. (بخط النسخ).

وتحت كل هذا ختمان، الأول ختم مكتبة الزاوية الناصرية، والثاني، ختم مخطوطات الأوقاف، بالخزانة العامة بالرباط.

(1388) عمد أحدهم إلى شطب هذا التمليك شطبا ذريعا تعذر معه تبين ما كُتب إلا ما أثبتناه أعلاه.

(1389) يظهر أن هذا الكتاب كان في المجموع، قبل أن يفصل عنه؛ إذ لا وجود له الآن.

(1390) هذا وهم نبهنا عليه فيما سبق.

(1391) ن ما مر عن اسم وكنية البسيلي ولقبه.

وتقع النسخة في مائة وخمسة وخمسين صفحة من القطع المتوسط، في كل صفحة 24 سطرا، بمعدل 12 إلى 14 كلمة. وهي مكتوبة بخط مغربي مجوهر، ينفرد باصطلاحات مهجورة في الإملاء، والنسخة مكتوبة بخط واحد، إلا في الصفحتين 85 و86، فإنهما بخط مغاير جميل.

وقد نالت الأرضة من أسفل هامش الورقة الأيسر، فضاعت بعض الإلحاقات والتعليقات، بيد أنه أمكن استفادتها من النسخ الأخرى.

ولصحة النسخة وتقدمها الزمني، فقد اخترتها معتمدا في التحقيق - وإن سلكت سبيل النص المحرر - وسأرمز لها بحرف «ق».

– **النسخة الثانية : مخطوطة الخزانة العامة** : 1743/2 د :

هذه النسخة ضمن مجموع من قطع الوزيري الكبير، يتضمن عداها "شرح ابن حمامة المغراوي لغريب الشهاب"، حيث تبدأ من الصفحة 235 إلى الصفحة 385. وهي خالية من اسم الناسخ أو تاريخ النسخ، كما تقع في مائة وخمسين صفحة، في كل صفحة 20 سطرا، بمعدل 18 كلمة تقريبا، عليها طرر يسيرة، وهي تامة منسوخة بخط مغربي معتاد، كتبت فيها عناوين السور والآيات المفسرة بخط بارز أحمر.

ويبدو أن الناسخ نقل عن أصل مصحف أو غفل أثناء النسخ، ولذا تفشت في النسخة تصحيفات وتحريفات متنوعة، تجعل هذه النسخة تالية لسابقتها، ومفيدة في تبين بعض السقط الذي أتت عليه الأرضة من طرر نسخة الأصل في مواضع يسيرة. وسأرمز لهذه النسخة بحرف «ك».

– **النسخة الثالثة : نسخة مؤسسة خزانة علال الفاسي:**

وهي ضمن مجموع رقم 297 ع، من قطع هو ما بين الوزيري والوزيري الصغير، يحتوي غير كتابنا على "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" لزكريا الأنصاري، الذي يشغل من المجموع [125 - 293]. الورق صقيل أصفر يغلب على الظن أنه من ورق القرن 11هـ. والمجموع غير مرقم، تشغل فيه نسختنا 122 صفحة، أي 61 ورقة، في كل صفحة 25 سطرا، بمعدل 12 كلمة في السطر، مقياسها 14,8 / 21,3 سم، ليس عليها بلاغ ولا قراءة ولا ما يفيد أنها مقروءة برسم التصحيح، إلا طررا يسيرة نبه بها الناسخ إلى فوائد توجد في صلب الكتاب.

وهي خالية من تاريخ النسخ، أو اسم الناسخ، مكتوبة بخط مسند رديء الأوضاع، وهي على حال من الرداءة والأسقاط والأوهام والأخطاء التركيبية بحيث لا تصلح معه للتحقيق منفردة.

- تكملة ابن غازي : نسخة الزاوية الحمزية :

هي نسخة مكتبة الزاوية الحمزية، بالريش بإقليم تافيلالت، ثاني مجموع يحمل رقم 279، تشغل 22 صفحة من الصفحة 371 إلى الصفحة 393، من قطع الوزيري الكبير، وهي مكتوبة بخط مغربي، كتبها عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الخالق الجزولي، من خط المؤلف مباشرة. في كل صفحة 21 سطرا، بمعدل 9 كلمات في كل سطر، الآيات والعناوين بالحمرة، وفي أسفل كل صفحة تعقيبة، وقد اعتمدنا على شريط مصور عنها، غير أنه أتى على أسفل المخطوط، فطمست عبارات منها ما لفَّقناها بالعود إلى أصولها، ومنها ما تركنا موضعه بياضا إلى أن ييسر الله الاطلاع على النسخة الأصلية.

ب. منهج التحقيق :

كانت النسخ الثلاث منضافة إلى نسخة التكملة، مع نسخ من التقييد الكبير، عمدتي في إخراج النص، مع ما انضاف إلى ذلك من الاجتهادات اللدنية التي أيدتها المصادر ونصرها المعنى، مما لا سبيل إلى الإخلال بها، لتوقف تمام النص عليها، وبعض ما أحوج إليها هو من أوهام النساخ التي أطبقت عليها النسخ، والآخر من الهنات التي علقت بعمل المؤلف نتيجة إسراعه في عملية الاختصار[1392]؛ وإليك بعض المواطن التي اضطررنا فيها إلى تقويم النص وإتمامه، ناصين على ذلك، واضعين إياه بين قوسين خشية أن يلتبس على القارئ المتيقظ :

(التكملة للجزء 2).

- ص 569، س 10.

- ص 596، س 7.

- ص 634، س 2، س 9.

(1392) ن قصة اختصار التقييد الكبير في هذه المقدمة.

- ص 636، س 2، س 3.
- ص 637، س 3.
- ص 640، س 9.
- ص 641، س 1.
- ص 643، س 12.
- ص 647، س 1، س 6.
- ص 649، س 6.
- ص 659، س 11.
- ص 660، س 2، س 3.
- ص 664، س 3.
- ص 668، س 4.
- ص 670، س 6.
- ص 673، س 6.

وقد سلكت جَدَدَ المحققين الجلة، أمنا للعثار، ولم أحد عن نهجهم إلا بمقدارٍ يفرضه حال النص، فكان أن اتبعت الخطوات التالية :

- جعلت ما زادت به «ق» على «ك» بين مُعكَّفين، وما ربت به الأخيرة على الأولى أو «س» بين زاويتين متقابلتين، وما خلت منه النسخ من سقط لازم أو تتمة مُثْلى بين قوسين، ونبهت على أنه زيادة لدنية اقتضاها النص و استقام بها، ولم أفعل هذا إلا لماما.

- أثبت أرقام مخطوط «ق» في صلب النص بين معكفين، وأرقام «ك، س» بالحاشية بحسب الورود.

- رسمت الحروف القرآنية موضع التنبيهات بالرسم التوقيفي على ما اقتضت قراءة نافع، إلا مواطن لم تسعفني مميزات الطبع، فأثبتها على حالها لشيوعها، أو تركتها بياضا أكتبها باليد بعد؛ فمن الأول القاف المنقوطة نقطة واحدة من فوق، والفاء المنقوطة نقطة واحدة من تحت، ومن الثاني الألفات المحذوفات والياءات المردودات، وعلامة الصلة والإقلاب وما سوى ذلك.

– جعلت ناصية كل آية منبَّه عليها رقمَها، تيسيرا على القارئ ومنعا للتشغيب عليه بالعَوْد المطّرِد إلى الحواشي عند كل آية.

– ضبطت الآيات والأحاديث والشواهد والأغربة ضبطا تاما.

– صوبت الأوهام والهنات الواردة بالنص، وأشرت إلى مصادر التصحيح.

– خرجت الآيات بالحاشية، لأني رأيت فعل ذلك في النص مع كثرة الآي مذهبا لطلاوته.

– خرجت القراءات متواترها وشاذها ونصصت على القرَأَة بها.

– خرجت الأحاديث النبوية الشريفة، ونقلت عن علماء الحديث أحكامهم عليها بالتصحيح أو التضعيف، وصدرت التخريج بها.

– عرفت بمصطلحات الفقه والأصول والمنطق، وبعض أسماء الأماكن والكتب.

– عرضت ما أشكل من نص الكتاب على أصله "التقييد الكبير"، حين لا تكون النكتة من زوائد الصغير.

– رددت غالب النقول الكثيرة بالنص على أصولها، ليستبين وجه الحق في نقلها، فتكشَّف لي أحيانا ما في النقل من العَسْف أو الاختصار المخل؛ على ما في ربط النقول بمظانها المخطوطة من نصب ووصب يخبره العارفون.

– خرجت شواهد الشعر والرجز بالعوْد إلى دواوين أصحابها، وإلى كتب الأدب والنحو واللغة والتفسير.

– خرجت الأمثال والحكايات وضريب ذلك كله، وترجمت للأعلام.

– عرضت محمولات النص على كتب التفسير والنحو واللغة والحديث، باعتبار موضوع كل نكتة، ولم أخْلِ مع ذلك نفسي من عهدة عرضي لمادة الكتاب برمتها على التفاسير المعتبرة المشهورة.

– انتحيت في التعليق تفصيل المجمل أو توضيح المبهم أو التنبيه على الوهم أو إرشاد القارئ إلى مزيد البحث في المظان، ولربما أرخيت العبارة في التعليق زيادة بيان أو حرصا على فائدة أو محاذاة لكلام المؤلف بما يشاكله ويماثله.

– ختمت التحقيق بفهارس تفصيلية :

فهرس الآي.

فهرس الآثار.

فهرس الأشعار.

فهرس الأعلام.

فهرس الأماكن.

فهرس الأمثال.

فهرس الكتب المذكورة في المتن.

فهرس الجماعات والفرق.

فهرس المصطلحات المنطقية.

جريدة المصادر والمراجع.

فهرس مواد التقديم والتحقيق.


مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء